القلزم للدراسات التاريخية والحضارية

مجلة علمية محكمة

تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر – السودان

بالتعاون مع الاتحاد الدولي للمؤرخين – الدنمارك

ISSN:1858-9952

في هذا العدد :

- السودانوية في هوية السودان القومية: دراسة حالة ثورة 19 ديسمبر2018م

  أ.د. عبد الرحيم محمد خبير
- أثر الحركة الوهابية خارج الجزيرة العربية التيار السلفي في السودان(أنموذجاً)

  د.هاجر أبوالقاسم محمد الهادي
- الأقباط وسكة حديد السودان(1864 - 1884م)

  أ.أسماء رمضان محمود احمد
- المقومات الاقتصادية في الكويت(1022- 1332هـ/ 1613 - 1914م)

  أ. منال بنت سيف بن علي العبيوي
- ملامح من مخلفات الاستعمار الفرنسي في لبنان(1920 -1943م)

  أ.سليمان بن إبراهيم آل قيس الشاردي
- جُهُودُ المَلِكِ عَبد العَزيزِ في إِصْلَاحِ سِكَّةِ حَدِيدِ الحِجَازِ (1344 – 1373هـ / 1926 – 1953م)

  أ. أَرِيج فهد علي الرحيلي
- تنظيم المحاجر الصحية بالحجاز والبحر الأحمر في العصر الحديث(1246-1357هـ/1831-1938م)

  أ.عبد الله فايز محمد الشهري
- ولاة خراسان خلال العصر العباسي الأول (132- 232 هـ / 749 -846 م)

  أ.حمد راشد سالم الرشيد
- مؤتمر أكرا (1377هـ/1958م)(دراسة تحليلية)

  أ. عبد العزيز بن عبد الله بن سبيل الرشيدي

العدد السادس عشر (مزدوج) - ذو القعدة 1443هـ - يونيو 2022م

مجلة القلزم العلمية للدراسات التاريخية والحضارية علمية دولية محكمة - العدد السادس عشر (مزدوج) - ذو القعدة 1443هـ - يونيو 2022م

ISSN: 1858 - 9952 ردمك

دار آريثريا للنشر والتوزيع

Arrythria for Publishing and Distribution

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية-السودان
Alqulzum Journal for:مجلة القلزم
Historical and cultural Studies
الخرطوم : مركز دول حوض البحر الأحمر 2022
تصدر عن دار آريثيريا للنشر والتوزيع -السوق العربي
السودان - الخرطوم
ردمك: 1858-9952

مجلة القلزم للدراسات التاريخية و الحضارية

هيئة التحرير

المشرف العام

أ.د.إبراهيم البيضاني

رئيس هيئة التحرير

أ.د.حاتم الصديق محمد احمد

رئيس التحرير

د. عوض أحمد حسني شبا

سكرتير التحرير

د.سلوى التجاني فضل جبر الله

التدقيق اللغوي

أ.الفاتح يحيى محمد عبد القادر

الإشراف الإلكتروني

د. محمد المأمون

التصميم الداخلي

أ. عادل محمد عبد القادر

تصميم الغلاف

ايلين عبد الرحيم ابنعوف

الهيئة العلمية و الإستشارية

أ.د. حسن أحمد إبراهيم-السودان

أ.د. سارة بنت عبد الله العتيبي- المملكة العربية السعودية

أ.د. أسامة عبد الرحمن الأمين- السودان

أ.د. أبو هريرة عبد الله محمود يعقوب- السودان

أ.د. أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس - جمهورية مصر العربية

أ.د. السماني النصري محمد أحمد - السودان

د. أحمد الياس الحسين - السودان

د. داود ساغه محمد عبد الله- السودان

د. سلطان أحمد الغامدي- المملكة العربية السعودية

د. سامي صالح عبد المالك البياضي- مصر

د. محمد أحمد زروق- المغرب

د. سعاد عبد العزيز أحمد السودان

د . أحمد محمد مركز- السودان

د. باب ولد أحمد ولد الشيخ سيديا- موريتانيا

د. عزة محمد موسى - السودان

د. حنان عبد الرحمن عبد الله التجاني- السودان

د. ربيعة أحمد عمران المداح- ليبيا

الآراء والأفكار التي تنشر في المجلة

تحمل وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن آراء المركز

موجهات النشر

تعريف المجلة:

مجلة (القُلزم) للدراسات التاريخية و الحضارية مجلة علمية محُكمة تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر - السودان . بالشراكة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين - الدنمارك تهتم المجلة بالبحوث والدراسات التاريخية والحضارية والمواضيع ذات الصلة لدول حوض البحر الأحمر من الناحية التاريخية والحضارية.

موجهات المجلة:

1. يجب أن يتسم البحث بالجودة والأصالة وألا يكون قد سبق نشره قبل ذلك.
2. على الباحث أن يقدم بحثه من نسختين. وأن يكون بخط (Traditional Arabic) بحجم 14 على أن تكون الجداول مرقمة وفي نهاية البحث وقبل المراجع على أن يشارك إلى رقم الجدول بين قوسين دائريين ().
3. يجب ترقيم جميع الصفحات تسلسلياً وبالأرقام العربية بما في ذلك الجداول والأشكال التي تلحق بالبحث.
4. المصادر والمراجع الحديثة يستخدم أسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع، رقم الصفحة.
5. المصادر الأجنبية يستخدم اسم العائلة (Hill, R,).
6. يجب ألا يزيد البحث عن 30 صفحة وبالإمكان كتابته باللغة العربية أو الإنجليزية.
7. يجب أن يكون هناك مستخلص لكل بحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد على 200 كلمة بالنسبة للغة الإنجليزية. أما بالنسبة للغة العربية فيجب أن يكون المستخلص وافياً للبحث بما في ذلك طريقة البحث والنتائج والاستنتاجات مما يساعد القارئ العربي على استيعاب موضوع البحث وبما لا يزيد عن 300 كلمة.
8. لا تلزم هيئة تحرير المجلة بإعادة الأوراق التي لم يتم قبولها للنشر.
9. على الباحث إرفاق عنوانه كاملاً مع الورقة المقدمة (الاسم رباعي، مكان العمل، الهاتف البريد الإلكتروني).

نأمل قراءة شروط النشر قبل الشروع في إعداد الورقة العلمية.

المحتويات

الأقباط وسكة حديد السودان(1864 - 1884م).....(7-32)

أ.أسماء رمضان محمود احمد

المقومات الاقتصادية في الكويت(1022 - 1332هـ/ 1613 - 1914م).....(33-50)

أ. منال بنت سيف بن علي العبيوي

ملامح من مخلفات الاستعمار الفرنسي في لبنان(1920 -1943م).....(51-66)

أ.سليمان بن إبراهيم آل قيس الشاردي

السودانوية في هوية السودان القومية: دراسة حالة ثورة 19 ديسمبر 2018م.....(67-74)

أ.د. عبد الرحيم محمد خبير

جُهُودُ المَلِكِ عَبد العَزيزِ في إِصْلَاحِ سِكَّةِ حَدِيدِ الحِجَازِ (1344 – 1373هـ/ 1926 – 1953م).....(75-106)

أ. أَرِيج فهد علي الرحيلي

تنظيم المحاجر الصحية بالحجاز والبحر الأحمر في العصر الحديث(1246-1357هـ/ 1831-1938م).(107-134)

أ.عبد الله فايز محمد الشهري

ولاة خراسان خلال العصر العباسي الأول (132 -232 هـ/ 749 -846 م).....(135-164)

أ.حمد راشد سالم الرشيد

مؤتمر أكرا (1377هـ/1958م)(دراسة تحليلية).....(165-178)

أ. عبد العزيز بن عبد الله بن سبيل الرشيدي

أثر الحركة الوهابية خارج الجزيرة العربية التيار السلفي في السودان(أنموذجاً).....(179-198)

د.هاجر أبوالقاسم محمد الهادي

كلمة التحرير

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الخلق أجمعين.

القارئ الكريم:

بعد السلام وكامل التقدير والاحترام يسعدنا أن نضع بين يديك هذا العدد من مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية الذي يأتي في إطار الشراكة العلمية المثمرة والجادة مع الاتحاد الدولي للمؤرخين (الدنمارك).

القارئ الكريم:

هذا هو العدد السادس عشر (مزدوج) من المجلة بفضل الله وتوفيقه بعد أن نجحت المجلة بواسطة هيئتيها العلمية والاستشارية وهيئة تحريرها في إصدار خمسة عشر عداداً من المجلة، الأمر الذي يضع الجميع أمام تحدي كبير يتمثل في بذل المزيد من الجهد بغرض التطوير والتحديث والمواكبة لتصبح هذه المجلة في مصاف المجلات العالمية الرائدة بإذن الله تعالى.

القارئ الكريم:

نأمل أن يكون هذا العدد أكثر شمولاً وتنوعاً من حيث المواضيع وطريقة طرحها وتحليلها ومعالجتها. ونسأل الله تعالى أن يجد المهتمين والمختصين والباحثين في هذا العدد ما يفيدهم ويضيف للبحث العلمي.

وأخيراً نجدد شكرنا وامتنانا لكل الذين أسهموا في إنجاح هذا العدد من باحثين، ومحكمين ونجدد دعوتنا للجميع بأن أبواب النشر مشرعة في جميع مجلات القلزم العلمية المتخصصة.

أسرة التحرير

الاقباط وسكة حديد السودان
(1864 - 1884م)

أ.أسماء رمضان محمود أحمد

مدرس مساعد – قسم التاريخ – كلية الآداب
جامعة القاهرة – جمهورية مصر العربية

المستخلص:

يعتبر مشروع سكة حديد السودان احدى وسائل المواصلات الهامة التى فكرت الحكومة افامتها لربط السودان بمصر ، وقد بدأ التفكير فى انشاء ذاك الخط منذ عهد محمد على و سعيد باشا ولكن ارتفاع تكاليف اقامة المشروع احالت دون ذلك ،وقد اعيد النظر فى المشروع مرة اخرى فى عهد الخديوى اسماعيل عام1865م وتم تقديم عدد من المشاريع والخطط لاقامة ذاك الخط وتم اخيرا اعتماد مشروع فولر و الذى يشمل مد 3 خطوط وهي خط من حلفا الى المتمة 800كلم ، خط من الدبة الى الفاشر 800كلم ، خط من شندى الى البحر الاحمر 650 كم .وبالفعل تم مد الخط الاول لمسافة 53كم حتى وصل الى سرس ولكن توقف العمل فيه عام 1878م بسبب الازمة المالية التى عانت منها مصر بالاضافة الى اعتراض غوردون باشا حكمدار السودان انذاك على المشروع ، لكن احداث الثورة المهدية اعادت النظر فى اعادة العمل بالمشروع لنفل المؤن والعتاد والجنود وفعلا تم العمل فى المشروع عام 1885 م حتى وصل من سرس الى عكاشة بمسافة 180كم جنوب حلفا كما صدرت الاوامر فى نفس العام كذلك الى مد خط من سواكن الى بربر ولكن احداث الثورة اوقفت العمل فى المشروع . وقد استرعى الانتباه وجود عدد كبير من الموظفين الاقباط الذين ساهموا فى العمل فى مشروع السكة وقد تنوعت وظائفهم فى السكة مابين كتبة و صرافين لتنفيذ العمل الاداري والمالى أو كأوسطوات وصنايعية وعساكر وأنفار وغفرة ومفتاحجية ومع استمرار المشروع تزايدت اعدادهم وتوافدوا بعائلاتهم واقاربهم واقاموا تجمع قبطى انشاءوا له دور العبادة وفق معطيات تلك الحياة ويناقش البحث نمط تلك الحياة واشكالها وادوارهم كما اعتمدت الدراسة بالأساس على منهج البحث التاريخى وأدواته المتمثلة فى جمع المادة العلمية من المصادر والمراجع ونقدها وتحليلها وكتابتها فى ضوء الاتجاهات الحديثة فى التفسير، وبخاصة التفسير المادى، كما أنها ستعتمد على منهج التاريخ من أسفل فى جمع المادة العلمية، وكذلك منهج البحث فى علم الاجتماع.

Abstract:

This paper examines the lifestyle of Coptic railway workers of the Sudan railways (1865–1885). The Sudan Railway project developed as the Egyptian government was considering building railways to connect the Sudan to Egypt. Planning started in Said Pasha's time but soon stopped due to the high costs estimated. The enterprise, however, was later reconsidered in 1865 during Khedive Ismail's reign. A number of construction plans were submitted and Fuller's was ultimately approved. Fuller's plan proposed building three lines: A line from Halfa to Al-Matammah (800 km) A line from Al-Dabbah to Al-Fasher (800 km)A line from Shendi to the Red Sea (650 km)The first line was extended for 53 km until Sers but construction was brought to a halt in 1878 by Egypt's financial crisis coupled with the governor of the Sudan General Gordon's objection and staunch resistance to the enterprise. Interest in the project, however, resurged with the outbreak of the Mahdist Revolution as the railway became vital to transport ammunition, materiel and soldiers. By 1885, the line was extended for an additional 180 km from Sers to Okasha south of Halfa. It was also decided to build another line from Suakin to Berber in the same year but incidents of the revolution brought the entire project to a standstill. It is striking, however, that a large number of Copts were employed to work on the project in a variety of jobs. Their roles varied from clerks and cashiers to handle the administrative and financial aspects of the railways to artisans, manual workers, soldiers, navvies, guards and railroad switchmen. Their numbers increased as work on the project continued. More Copts migrated with their families and relatives to work on the railways, establishing a Coptic community and adapting available resources to form a church. This paper investigates the type and ways of life these Copts led as well as their roles.

الأقباط (Coptic) :

مفردهـا قبطـى، والكلمـة مشـتقة مـن الكلمـة اليونانيـة Aigyptos-- ايجيبتـوس، وقـد اسـتخدمها اليونانيـون للتعبـير بهـا عـن كل المصريـين، وهـذا يعنى أن مدلـول الكلمـة ينطبـق عـلى كل المصريـين بغـض النظـر عـن انتماءاتهـم الدينيـة، لكـن مـع الفتـح العربـى لمـصر تـم تحريـف الكلمـة فنطقـت قبـط (Qipt)، لتطلـق عـلى كل مـن يسـكن مـصر، ولـما كان كل المصريـين مسـيحيين أصبحـت الكلمة تشـمل المعنيـين المـصرى والمسـيحى، لكـن مـع مـرور الوقـت أضحـت كلمـة قبـط تطلـق عـلى المسـيحيين مـن أهـل البـلاد بعـد أن تحولـت أكثريتهـم إلى الإسـلام.

بلاد السودان: (Sudan)

تغـير مصطلـح السـودان ومـا يعـبر عنـه باختـلاف العصـور؛ فقـد ورد معناهـا لـدى رحالـة القـرن السـابع والتاسـع الميلاديـين والمؤرخـين لتعنى كل السـود ذوى البـشرة الداكنـة أو الملونـين فى العالـم القديـم، وبخاصـة فى إفريقيا والهند والسـند وغيرهـا مـن البـلاد والأقاليـم التـى كانـت معروفـة لديهـم، ولـم يتعاملـوا مـع اللفظة بوصفهـا مصطلحـا يغطـى أقاليـم محـددة فى إفريقيـا، ثـم جـاء بعدهـم جغرافيـون ورحالـة وتجـار القـرن العـاشر والرابـع عـشر الميـلادى ليجعلـوا مـن اللفـظ مصطلحـا جغرافيـا وحـدوداً للأقاليـم التـى يغطيهـا السـود فى إفريقيـا، واسـتبعدوا بـلاد الهنـد والسـند والزنـج، وبحلـول القـرن الخامـس عـشر الميـلادى بـدأ هـذا المصطلـح فى التقلـص، وصـار يطلـق عـلى بعـض سـودان إفريقيـا، وصـارت بـلاد السـودان تشـمل مـا عـرف بالسـودان الشرقـى والأوسـط والغربـى جنـوب الصحـراء الكـبرى فى إفريقيـا، أمـا فى القـرن التاسـع عـشر صـار مصطلـح السـودان يطلـق عـلى كل البـلاد التـى وقعـت تحـت سـيطرة محمـد عـلى باشـا فى عـام 1825م، وفى عـام 1891م أطلـق عليـه ونجـت السـودان المـصرى، وفى عهـد دولـة الحكـم الثنائـى أطلـق عليـه السـودان الإنجليـزى – المـصرى.

المفتاحجى :

(فى السكة الحديد)(railroad switchmen)

هو حامل المفاتيح ويقوم بتحويل السكة الحديد .

المقدمة :

دخلـت المسـيحية السـودان منـذ القـرون الأولى لهـا، ونتيجـة لسلسـة الاضطهـادات الدينيـة التـى منـى بهـا المسـيحيون المصريـون مـن قبـل أباطـرة الرومـان الوثنيـين، وتحـت وطـأة ذلـك الاضطهـاد، فـر عـدد مـن المسـيحيين الأقبـاط إلى الجنـوب؛ خوفـا عـلى عقيدتهـم، وقامـوا بـدور تبشـيرى بـين النوبيـين، وحينمـا خفـت حـدة الاضطهـادات، وتـم الاعـتراف بالمسـيحية، وأضحـت الديـن الرسـمى

للإمبراطورية الرومانية جمعاء، وأضحت البعثات التبشيرية كأفراد تتوالى على بلاد النوبة.

أما التبشير بالمسيحية على المذهب الكنسى للكنيسة القبطية فكان بتأييد الإمبراطورة ثيودورا، حينما تم الاتفاق بينها وبطريرك الكنيسة المصرية ثيودثيوس لإرسال حملة تبشيرية لبلاد النوبة برئاسة القس يوليان والقس لونجينوس اللذين نجحا في التبشير بالمسيحية، وساهما في انتشار المسيحية في أوساط المجتمعات الوثنية في منطقة النوبة[1]، وفى منتصف القرن السادس الميلادى قامت ثلاث ممالك فى شمال وأواسط السودان على إنقاض مملكة مروى، واتخذت من المسيحية ديانة رسمية لها، وهي (مملكة نوباتيا 543م وعاصمتها فرس - مملكة المقرة 569م وعاصمتها دنقلا الغجوز-مملكةعلوة580م وعاصمتها سوبا)[2]، وقد كانت الكنيسة الأرثوذكسية بالسودان تابعة للبطريركية الأرثوذكسية فى الإسكندرية بمصر، وكانت تستخدم اللغة القبطية واليونانية، فضلا عن اللغة المروية. وحولت الهياكل الوثنية السائدة وقتئذ إلى كنائس، ثم شيدت الأديرة للرهبان[3]، وفي عام 1323م اندمجت مملكتا المقرة ونوباتيا في مملكة واحدة، وفيما بين عامي (641 – 645م) فتح المسلمون بلاد النوبة، وعقدت (اتفاقية البقط) للصلح، وفي عهد الملك مرقوبوس ملك النوبة الأرثوذكسي، دخل المسلمون بلاد النوبة، وصاهروا ملوكهم، فكانت تلك بدايات التمازج بين النوبة والعرب[4]،وبذلك ساد وانتشر الاسلام وفى المقابل اندثرت المسيحية كديانة ،الى ان ظهرت مرة اخرى بعد فتح محمد على السودان بدخول جهازه الادارى الى السودان والذى تكون اغلبه من الاقباط (المسيحين المصريين الارثوذكس) وقد عمل الاقباط فى السودان بجميع جهاته وجميع مصالحه ومشروعاته ،ولعل ابرزها سكة حديد السودان والسكة الحديد هى احدى وسائل النقل ،الذى يستخدم لنقل الركاب والبضائع من خلال عربات صممت خصيصا للسير على القضبان الحديدية ،وتساهم بشكل فعال فى ربط البلاد بعضها ببعض وتلعب دورا هاما فى تطور اقتصاديات البلاد بزيادة الصادرات وتقليل المخاطرة التى تتعرض لها التجارة فى طرق النقل الاخرى ،وقد شارك الاقباط فى العمل فى سكة حديد السودان وتطور وجودهم بعد ذلك فلم يقتصر على الاعمال الكتابية بل طرق عدة وظائف فى السكة الحديد ،ويناقش البحث ذلك الدور ووجودهم وبداية عملهم فى سكة حديد السودان

الاشكالية :

تدور حول معرفة تأثير التطورات المختلفة التى مرت بها العلاقة بين مصر والسودان من خلال التركيز على عمل الاقباط فى سكة حديد السودان

اذا ان عمل هذة الفئة بالسودان ارتبط منذ بداية دخول محمد على للسودان فقد صحب المعلم حنا حملة الفتح ومن بعدها استمر ذلك التواجد وازداد تبعا فى عهد خلفاء محمد على الى اوجد فى سوداننا المعاصر مواطنون سودانيون ذو اصول مصرية ،ومسيحيون قبطيون والحقيقة ان دخول هذة الفئة للسودان كان على حذر شديد وتنفيذا للاوامر السنية ،وعلى غير رغبة من الاقباط انفسهم ،وذلك لصعوبة المقام به وبعدها عن مصر وصعوبة المواصلات اليه وعدم اعتيادهم على مناخ السودان وجوه ،فضلا عن ان السودان ارتبط فى اذهان كثيرين منهم بالمنفى ،الا انه لم يكن بد من تنفيذ تلك الارادة وبخاصة ان الوظائف الكتابية والحسابية فى مصر انذاك يسيطر عليها القبط ،ومن هنا بدء الاقباط يتوافدون على السودان وقد قاموا بدور حضارى مشهود له فى السودان ،وقد ساعد على قيامهم بهذا الدور ،تطور الاحداث بمصر ورغبة حكام مصر على تطوير السودان والحاقه بركاب المدنية من خلال القيام بالعديد من المشاريع الهامة والتى كان ابرازها انشاء السكة الحديد ،فضلا عن تغيير وجهه نظر القبط انفسهم بالسودان فقد أأتلفوا مكانه وجوه واهله ،فضلا عن المكاسب المادية التى حازوها سواء من خلال المرتبات المجزية التى حازوها كموظفين ،او المكاسب الخاصة التى حققوها من العمل بالتجارة والبحث محل الدراسة يناقش تلك الاشكالية من خلال اتجاه الاقباط للعمل فى هذة المشروع فى بيئة صحراوية قاسية غير عامرة ،ويوضح كيفية حياتهم فى تلك البيئة وارتباطهم فيما بينهم ،وتهيئتهم لظروف الحياة حتى يتمكنوا من ذلك العمل الذى يستمر الى درجة السيطرة على هذا القطاع فى الحكم الثنائى للسودان.

الدراسات السابقة :

فيما يخص الاقباط فى السكة لم توجد رسائل علمية تناولت هذا الدور ،اما فيما يخص السكة الحديد السودانية ،فقد وجدت ثلاث رسائل علمية تناولت جميعها الحديث عن السكة الحديد ولكنها لم تتناول الدور الذى اضطلع به الاقباط فى السكة ،بل انها لم تهتم ان تلقى نظرة عن دور هذة العمالة وحجم وجودها فى السكة على الرغم من زخم الوثائق التى تناولت هذة الفئة .

اما يخص هذة الرسائل رسالة محمد عبداللطيف الحسين :المواصلات ومركز العمران فى السودان ،اشراف محمد حنفى الدين ابو العز ،رسالة ماجستير –كلية الاداب –جامعه القاهرة-قسم التاريخ ،1975م وقد تناولت الرسالة وسائل المواصلات جميعها داخل السودان وارتباطها بالمدن السكنية

فى السودان وهناك رسالة سيد احمد توفيق دياب :السكة الحديدية فى مصر فى عصر اسماعيل ،اشراف سعد زغلول عبدربه ،رسالة دكتوراه ،كلية الاداب – جامعه طنطا –قسم التاريخ ،1987م وقد تناولت الدراسة السكك الحديد فى عصر اسماعيل واثارها الاقتصادية والاجتماعية وأيضاً رسالة وسام احمد طه منصور :سكة حديد السودان ودورها فى التطور السياسى والاقتصادى من نشأتها 1864م وحتى عام 1955 ،اشراف السيد على احمد فليفل ،رسالة ماجستير –جامعه القاهرة –معهد الدراسات الافريقية –قسم تاريخ ،2005 ،وقد تحدثت الرسالة عن اهمية مشروع السكة الحديد اقتصاديا وعرضت فكرة تطور فكرة انشائها حتى العام 1955 ،ورغم ذلك لم تقدم اى معلومت عن الهيكل التنظيمى للسكة وموظفيها

الطرق التجارية قبل انشاء سكة حديد السودان:

أمتدت صلات مصر التجارية بالسودان منذ أقدم العصور وعُرفت البضائع السودانية بمصر؛ كسن الفيل وريش النعام والعاج والسنامكى والكحل والصمغ وبالمثل للبضائع المصرية التى وجدت أسواقاً رائجة لها بالسودان وقد سلكت تلك القوافل التجارية طريقها بين مصر و السودان من خلال طريقين :

الطريق الأول يبدأ من سنار فشندى وبربر ، ثم يخترق صحراء العتمور حتى يصل إلى مصر ،ويتفرع هذا الطريق أيضا من بعد بربر إلى سواكن على البحر الأحمر ومنها إلى مصر، أما الطريق الثانى فكان لتجارة مصر مع دار فور وكانت هذة القوافل تسلك درب الاربعين الشهير الذى كان يستخدم منذ عهد القدماء المصريين [5] ومع فتح محمد على للسودان 1821م بدأ يهتم بطرق التجارة وتأمينها سواء البرية او الملاحية بتذليل الصخور من النيل، وقد سلكت التجارة السودانية الى مصر عدة طرق :

1. طريق النيل من أبو حمد الى كرسكو ، وهو أطول الطرق فى السودان الشمالى إذ يبلغ طوله 1750 كم وتميزبمروروه بجوار النهر .
2. طريق سواكن بربر عن طريق البحر الأحمر ويبلغ طوله 230 كم ومن عيوب ذلك الطريق نقص المياه .
3. طريق كسلا – كرت – مصوع وتبلغ مسافته 450كم ويتميز هذا الطريق بوفره مياهه ،ولكنه يخدم السودان الشرقى .
4. طريق سنار-الخرطوم -أبو حمد وهذا طريق نهرى بواسطة المراكب.
5. طريق دارفور – كردفان – الخرطوم – دنقلة .
6. طريق درب الأربعين من دارفور وكردفان الى أسيوط [6].

ومع اتساع النشاط التجاري فى السودان بدأ التفكير كذلك فى تحسين وسائل النقل وربط السودان بمصر وبالعالم الخارجي ،وكان مشروع مد خطوط السكة الحديد بالسودان الأمر الذى من شأنه أن يؤدى إلى زيادة صادرات السودان ، ويقلل المخاطر التى يتعرض لها التجار والتجارة ،كما سيصبح وسيلة من وسائل اتصال السودان بنصف القرى الغربى بالهند وبلاد الشرق، ويؤدى الى اتصال الاسكندرية بالبحر الاحمر من خلال سكك حديد السودان .

انشاء السكة الحديد:

وقد بدأ التفكير فى إنشاء خط حديد سكك حديد السودان ، مُنذ عهد محمد على والذى ايقن بان تقدم اقتصاد وتجارة السودان لايتم الابانشاء سكة حديد وبالفعل عند زيارته للسودان 1838م امر بعض المهندسين الفرنسين بدراسة مشروعان للسكة الحديد اولهما يربط مدن السودان بعضها ببعض والاخر يربط مصر بالسودان ،واصدر اوامره بمسح جميع الاراضى التى تستخدم فى انشاء هذة السكة حتى يتم تمهيدها [7]،ولكن لم يتم تنفيذ هذان المشروعان لانشغال محمد على بحروبه فى الشام ،والتكاليف الباهظة التى تلزم انشاء مشروع ضخم مثل ذلك [(8)]،وقد روادت الفكرة الوالى محمد سعيد باشا ايضا ،ولكنه عَدل عن تنفيذ المشروع لفداحة تكاليفه [9].وفى عهد الخديوى إسماعيل أعيد طرح الفكرة مرة أخرى وقد أبدى اهتمامه بالفكرة مع المسيو جارنية أحد رجال القنصلية الفرنسية فى أكتوبر 1864[(10)]،وفى ذلك العام أيضا أرسلت بعثة برأسة المهندس حسن بك الدمياطى لبحث إنشاء خط حديدى بين سواكن وكسلا مخترقا التلال عن طريق خور النقيب.وقد أستطاع الخديوى إسماعيل البدء في تحقيق ذلك المشروع باستصدار فرمان سلطاني بإعطاء الشركة العزيزة تصريحا بمد خطوط السكة من مصر الى السودان فى سبتمبر 1864 [(11)]

ثم أُعيد النظر فى المشروع مرة أُخرى بعد أربع سنوات من بعثة الدمياطى بإيفاد مهندسين إنجليز لمراجعة ما رُسم من خرائط واقتراحات برئاسة يعقوب جراهام ،الذى عُين باش مفتش لسكة حديد السودان ، فوصل الخرطوم ومعه معاونيه لتفقد الطريق ما بين شندى ووادى حلفا،لدراسة الطريق بطريقة تفصيلية ،وبعد إتمام البحث والمعاينة قفل راجعا بطريق الصحراء الغربية مابين أم درمان و أمباكول فى دنقلة ، وقدم تقريره عن الطريقين إلى مستر فالولر ،الذى قرر أفضلية الطريق الثانى [(12)]وفى فبراير 1871 أبرم الخديوى إسماعيل عقدا مع المهندس الإنجليزى جون فاولر لمدة

خمس سنوات لوضع التصميمات اللازمة لسكة حديد تربط السودان بالوجه البحري دون أن تؤثر على الملاحة فى النيل ، وتمكن البواخر والسفن الكبيرة من اجتياز الجنادل فى أسوان ،وقد قدم فالور مشروعه ونتائج دراسته بعد ذلك بعامين فى فبراير 1873 وتمت الموافقة على تنفيذ مشروع فالور لكن الأزمة المالية التى عانت منها مصر آن ذاك قد أدخلت تعديلات مهمة على المشروع لتقليل النفقات [13]، وليتم مد خط سكة حديد من وادى حلفا إلى سرس شمالى أمباكول [14]. وفى عام 1874م تم تعيين شاهين باشا مأمورا للسكة الحديد السودانية ، وتم التعاقد مع شركة إنجليزية لإنشاء السكة ،وخصصت إيرادات مديرية دنقلة لإتمام السكة الحديد السودانية.[15] وقد تم الاتفاق مع الخواجة جورجى التاجر الإسكندري لتوريد المعدات المطلوبة من مسامير ومناشير وغيرها لمصلحة السكة الحديد السودانية [16]، ومع الخواجة اسكندر نجيلى لتوريد غلال المصلحة[17] فضلا عن توريده جميع لوازم انشاء فلوكة للمصلحة خاص بمأمور المصلحة ، لملاحظة إشغال السكة فى اسوان[18]، بالإضافة الى التعامل مع تجار اسوان بحكم تواجدهم بالقرب من منطقة عمل السكة. وبالفعل قد تم العمل لتنفيذ مشروع فالور، وبدأ العمل من عنقش شمالى وادى حلفا ليتم بناء الورش الخاصة بالسكة الحديد ومد الخط الحديدى جنوبا فى 1873، وقد تم الانتهاء من الجزء الاول من المرحلة الأولى من مد السكة الحديد حتى سرس ، وعند الشروع فى تنفيذ الجزء الثانى من المرحلة الاولى تولى غوردون باشا حكمدارية السودان عام 1877 ، ولم يكن متحمسا لمشروع خط السكة الحديد ،خاصة مع الأزمة المالية التى تعانى منها مصر ولذلك أصدر أوامره بإيقاف العمل ،إلا أن الظروف السياسية فرضت العمل بالمشروع مرة أخرى[19]

فبقيام الثورة المهدية وسيطرة المهدى على أراضى السودان وهزيمة حملة هكس باشا عام 1883 ، قرر إرسال غوردون باشا من أجل إخلاء الحاميات المصرية وترحيل الأ جانب والمدنيين من السودان ،ولكن تحركات المهدى كانت أسرع ، فقد فرض حصارا حول الخرطوم وأضحى غوردون باشا نفسه فى خطر ،ولذلك صدرت الأوامر لإرسال حملة عسكرية إلى السودان عرفت بحملة إنقاذ غوردون تحت قيادة الجنرال ولسلي ،وقد أعتمد ولسلي فى نقل جيشه على سكك حديد السودان ،فقد تم نقل العتاد والزخيرة والمؤن من أسوان حتى سرس (الخط الاول من المرحلة الاولى وقد بدأت الحاجة ملحة إلى مد الخط حتى عكاشة وفى 13 مارس 1884 بدأ العمال فى مد الخط حتى وصل إلى أوتاوا فى 30 أبريل 1885) [20].

الأقباط والعمل فى سكك حديد السودان :

استعان محمد على بالاقباط منذ حملات الفتح اذا استطحبت حملات الفتح المعلم حنا الطويل ثم تلى ذلك الاستعانه باعداد كبيرة منهم وبخاصة بعد استقرار الحكم المصرى فى السودان فى عهد خورشيد باشا واحمد باشا ابو ودان والذى طلب من الادارة المصرية امداده بالموظفين الاقباط بشكل خاصة لقدرتهم المعهودة على اتمام المطلوب منهم وخبرتهم السابقة فى الاعمال الكتابية والحسابية ،فى البداية لم يكن معظم الاقباط راضينةعلى العمل فى ذلك المكان البعيد نسبيا عن مصر وعدم تيسير المواصلات،وقد لقى عدد منهم حتفه لعدم ملائمة الجو لهم مما حدا بالادارة المصرية الى اتخاذ قرار فى نهاية عهد محمد على فى عهد ابراهيم باشا اول خلفاء محمد على يقضى هذا القرار بتحديد المدد الزمنية لمن يرسل للعمل بالسودان ،فمن يعين بدنقلة يمكث بها 8 سنوات ،ومن يرسل الى الخرطوم مدته 6 سنوات ،ومن يرسل الى كردفان وفيزوغلى وتاكة وسائر البلاد السودانية فوق الخرطوم فمدتهم اربع سنوات،[21] الا ان هذا القرار لم يتم العمل به نتيجة للظروف التى مرت بها مصر عقب معاهدة لندن ،وما تأثرت به مصر اقتصاديا مع فتح الملاحة فى النيل الابيض الذى عمد الى جذب كافة العناصر وبالاخص القبطية منها للعمل فى السودان والاستقرار به ، ثم جاء فترة حكم الخديوى اسماعيل وقد اراد اعادة امجاد جدة محمد على وكان يدرك اهمية السودان وان عظمة مصر الحقيقية وميدان توسعها فى السودان ،وهذا الامر دفعه فى بداية حكمة الى الاهتمام بالسودان فشهد طفرة حقيقية فى بداية حكمة ،[22] واقام عدة مشروعات هامة فى السودان لعل ابرزها سكة حديد السودان والتى كان ابرز عمالتها من الاقباط الذين االتلفوا العمل بها وارتبطوا بها

عندما قامت الحكومة فى البدء فى مشروع السكة الحديد تم تعيين مأمور لأشغال السكة الحديد لمتابعة سير العمل وتذليل أي صعوبات تواجه العمل فى المشروع . وقد تم إمداده بالعديد من العمال لتمهيد الطريق وتثبيت الفلانكات وكذلك المهندسين اللازمين للعمل سواء أجانب أو مصريين .

أما عن دور الاقباط فى ذلك المشروع فقد شاركوا فى سكك حديد السودان ،سواء كتبة و صرافون لتنفيذ العمل الإداري والمالى أو كأوسطوات وصنايعية وعساكر وأنفار وغفرة ومفتاحجية . ومع استمرار المشروع تزايد أعداد القبط فى مصلحة السكة الحديد واستمر توافدهم للسكة من قنا و أسيوط والأقصر بشكل أساسي ،وذلك يرجع لوجود عدد كبير من الكتبة القبط فى الصعيد ،فضلا عن قرب الطريق واعتياده من قبل اهالى الصعيد فقد اشتهر تجار

الصعيد بالتجارة مع السودان ، وكان أغلبهم ينتقل للعمل بأسرته وعائلته ، وكانت مصاريف النقل الخاصة به وأسرته تتحملها المصلحة ، مثل عطاالله أفندى فام باشكاتب السكة السودانية الذى انتقل إلى العمل بالسكة ومعه عائلته وأولاده وعفشهم من نقاده إلى أسوان ، وقد قامت المصلحة بتأجير ذهبية خاصة بهم وتحملت مصاريفها[23]. وقد تميزت مرتبات العاملين بالسكة بالرغد شيئا ما وكان هذا دافعا لهم كذك للعمل بالسودان ويؤكد الجدول المرفق فى نهاية البحث ارتفاع هذة المرتبات ،أما من كان يعمل بالمصلحة بدون أسرته ، فقد كان يتم خصم مبلغ من استحقاقه على أن تتولى الحكومة فى مصر إرساله إلى أهله أمثال رفلة أفندى إستنليايوس كاتب بالمصلحة[24]، وقد وُجِد لدى بعضهم وُكلاء يتم صرف جزء من استحقاقهم لهم ،وهم بدورهم يأخذونه ويتولون مهمة تسليمه إلى ذويهم بأنفسهم ،أمثال خير أفندى سعد رئيس ورشة الصنف بمصلحة السكك الحديد السودانية ،حيث قدم إفادة لديوان السكة بأن والدته وإخوانه مقيمون بتفتيش أرمنت والمطاعنة التابع لمديرية إسنا، وليس لهم معاش ويريداستقطاع جزء من استحقاقه ليحول إلى وكيله سيدهم أفندى بولس رئيس تحريرات مدرية إسنا ليوصله إلى أهله [25]،كما كان يصرف لهم تعيين قمح وذرة يتم صرفه من مخازن المصلحة ، اما المستخدمون من غير عائلاتهم فقد كانت لهم مخابز تتبع المصلحة [26]،

سكن الاقباط وحالتهم المادية والخدمات الصحية :

فقد كان للمصلحة منازل تتولى تأجيرها للمستخدمين متى أرادو ذلك عن طريق المزايدة ، وكان الأقباط فى العادة يستأجرون منازل المصلحة ليكونوا بجوار بعضهم البعض ويستأنس بعضم بالآخر مثال ميخائيل افندى واصف باشكاتب الديوان المستاجر للمنزل رقم 3 ، وخير أفندى سعد مستاجر المنزل رقم 2 ، وروفائيل أفندى قرياقوس الكاتب مستاجر المنزل رقم 11 ، وجاد أفندى جرجس مستاجر المنزل رقم 12 ... وهكذا [27]. وإذا أراد أحدهم ترك منازل المصلحة وتأجير غيرها فله مطلق الحرية مثل إبراهيم أفندى القمص الذى تحول إلى سكن منزل أحد اهالى عنقش بقسم حلفا التابع لمدرية إسنا وذلك بسبب الخلاف الذى وقع بينه وبين فام ميخائيل باشكاتب السكة وجاره السابق فى سكن المصلحة [28]، ومن الجدير بالذكر أن منازل المصلحة كان بها بعض الموجودات (أثاث) وعليه كان يتم أخذ إيصال على المستأجر بقيمة الموجودات وإلزامه بدفع ما أتلفه بعد انتهاء عقد إيجاره [29]كما لوحظ وجود اختلاف فى قيمة إيجارات المنازل وذلك لأن نظام الاستئجار يتم بالمزايدة، والمستأجر هو من يدفع أعلى قيمة [30]، كما لوحظ على اغلب المستخدمين

الأقباط إنه عندما يأتي أحد هم للعمل بسكة حديد السودان يأتي بجميع أولاده رغبة منه في الاستقرار في مكان عمله ، ويقوم بتوكيل المصلحة لبيع منزله على حسابه .

مثل روفايل أفندى قرياقوص كاتب ورشة اليومية والصنف ، وحينما جاء للعمل عرض بينه فى أسيوط للبيع لعدم حاجته له ، وتم عرض البيع فى مزاد وتمت الترسية على حكيم باشى صحة أسيوط يوري [31])، كما كان للمصلحة دكاكين ووكايل وزرابي بسوق عنقش وجميعها كان يتم تأجيرها للتجار من خلال المزايدة والإيجار يدفع بصورة شهرية ، وقد لوحظ مستأجرون يونان و أقباط [32]) مثل المعلم عبدالملاك المستأجر للدكان نمرة 13 من أملاك المصلحة الكائنة بسوق عنقش بأجرة شهرية 7 قروش[33]، وقد لوحظ وجود عائلات أقارب أقباط مستخدمين فى المصلحة

مثل أصطفانوس كاتب الدفتر خانه ،الذى رغب فى تقديم استقالته حتى يتم تعيين ابنه وردي أصطفانوس بدلا منه متعللا بضعف راتبه ، و قد تم تعيينه بالفعل ، كما أن لديه أبن آخر يدعى فاخوري أصطفانس ، ويعمل الوظيفة نفسها[34]، كما وجد ميخائيل واصف باشكاتب المصلحة وأبوه واصف يوسف [35] كاتب الورشة ، وأخوه جورجي واصف [36]، وغيرهم كثيرين كما لوحظ من خلال الإطلاع على الوثائق .وقد تميزت حالتهم المادية بالسودان بالرغد شيئا ما ، وقد إتضح ذلك جليا من خلال مرتباتهم المرتفعة ، مثل غبريال أفندى خليل ، حيث كان إستحقاقه 900 قرش ، وعطا الله أفندى 750 قرش ، و أباديير أفندى 750 قرش [37] ، (مرفق جدول بإستحقاقات مستخدمين أقباط فى سكة حديد السودان ، أنظر نهاية البحث) .

كما امتلكوا الخدم والتوابع مثل ميخائيل واصف وشنودة أفندى خليل ريس بورشة التحريرات ، والذى قدم بلاغا للمصلحة بقيام أحد تابعيه ويدعى سليم السودانى ، بسرقته (مصوغات وجوهرات)وطالب من المصلحة إبلاغ المديرية للبحث عنه [38].

كما وجد تمن (قسم بوليس) تابع للمصلحة تم حجز ميناقلته فيه _ كاتب مالية قسم حلفا _وذلك لضربه يعقوب سليمان حتى الموت على إثر المشاجرة التى تمت بينهما ، وعند حدوث الوفاة كان لابد من قيام حكيم باشا السكة بالكشف على المتوفي وتحرير تقرير بذلك[39].

أما عن الخدمات الصحية المقدمة للمستخدمين لمصلحة السكة ، فقد وفرت لهم الحكومة كافة التطعيمات الضرورية ، كتطعيم الجدري ، وأهتمت بتسجيل الكشوفات الخاصة بالمواليد والوفيات لمستخدمي المصلحة ، وإصدار

تذاكر بالوفيات مع ذكر أسباب الوفاة [40]، على أن تسلم بشكل شهري إلى حكيم قسم حلفا وذلك بمعرفة الحلاقين الصحيين والمشايخ وعمد النواحي، لأن ناحية عنقش والتى بها مركز الصحة هي من نواحى حلفا ، كما تم عمل دفتر شهري لعيادة وإستيبالية مصلحة السكة بأعداد المرضى ومقادير الأدوية المنصرفة لهم ، والتعيينات المنصرفة لهم ، وكانت ترسل بصفة شهرية للمصلحة [41]، أما عن التعيينات التى كانت تصرف للمرضى بإستيبالية المصلحة خبر القرصة ، لحم الضأن ، أرز مبيض ، مسلى ، حطب ، صابون ، مصلح ، كل بمقادير معينة ، ويتولى حكيم باشا إسيبالية المصلحة صرفها للمرضى كل على حسب حالته وتقديره مع الادوية [42]،وقد تخصصت إستيبالية المصلحة بعلاج جميع الأمراض التى يعانى منها جميع المستخدمين بالمصلحة ، واستفاد منوجودها جميع أهالى المنطقة المجاورة ، فضلا على اتجاه أقباط السكة للعلاج بها ، مثل العسكري جرجس سعد [43]، وسعيد فرج القطرجي[44] وخليل الكاتب وذلك للعلاج من مرض الرمد العيبني [45] وبطرس ميخائيل القصاب للعلاج من مرض الدوسنتاريا وقد تمت معالجته بالإستيبالية بعد أن مكث بها ثلاثين يوما من 11 يونيه 1883 حتى 10 يوليو 1883.[46]

حياتهم الدينية:

أما ما يخص الامور الدينية الخاصة بالمستخدمين الاقباط بالمصلحة، فنظرا لوجود عدد ليس بالقليل منهم ووجود حياة إجتماعية خاصة بهم والتى نتجت من تواجد أسرهم واهاليهم معم فى منطقة عملهم بعنقش بقسم حلفا ، فقد اكتشفوا أنهم بحاجة ضرورية لتواجد مرشد دينى بينهم لتوعيتهم بألامور الدينية الخاصة بهم ، ولذلك فقد تكاتفوا من أجل تجميع مبلغ من المال قدره ثلاثمائة وثمانية وأربع وعشرون قرشا (3824 قرشا)من خلال تبرع جميع الأقباط المستخدمين بالمصلحة والقاطنين بالمنطقة ، وقد شارك الكل فى تحصيل وتجميع ذلك المبلغ باستثناء باشكاتب المصلحة وفاخوري أفندي أسطفانوس كاتب الهندسة . وتم انتخاب جاد أفندى جرجس كاتب المخازن لجمع ذلك المبلغ ، على أن تقوم المصلحة بتحويل ذلك المبلغ إلى أسقف كرسي إسنا ، وذلك لإرسال أحد المرشدين الدينيين ، على ان يكون هذا المبلغ نظير تكاليف سفر المرشد وسوف يجمعون مبلغا آخر لإقامته بينهم [47] ، وبالفعل قد تم إرسال المرشد الديني ، ولكنهم أرادوا أن يبقى معهم ، فقاموا بتأجير المدرسة التى خصصتها المصلحة من قبل لتعليم أبنائهم على ان تكون المكان الذي يؤدون فيه واجباتهم الدينية ، وكذلك منزل خوجة المدرسة ليكون منزل القس ميخائيل المرسل من قبل أسقف كرسي إسنا ، ثم أرسلوا بعد

ذلك خطاب إلى بطريرك الكرازة المرقسية يشكون فيه من عدم وجود مرشد روحانى للديانة وكذلك قيامهم بدفن الموتى بدون صلاة ، أو حضور المرشدين لإقامة طقوس الزواج لمن أراد الزواج فى هذه الجهه البعيدة ، وذلك لان تكلفة مصاريف وجود مرشد عالية ، وعليه قد قاموا بتأجير مدرسة المصلحة ومنزل خوجتها ، ليكون موقعا دائما للقس المرسل لهم ويطالبون البطريرك بمخاطبة الخديوي لإعتماد ذلك المكان لعبادة المستخدمين الاقباط القاطنين بهذه الجهه ورفع الايجار عنهم .[48]

هذا كان حال طبيعة الحياة للمستخدمين فى سكك حديد السودان بشكل عام وللاقباط وأسرهم بشكل خاص .

ضوابط العمل بالمصلحة :

أولا: مصلحة سكك السودان تتبع حكمدارية السودان رأسا ،وعليه أية لوائح تخص العمل بالسكة تعود بشكل أساسي إلى الحكمدارية ، وعليه يعود للحكمدارية ترتيب المستخدمين وتوضيح عددهم ، وبيان رواتبهم ، واستحقاقاتهم ، وفى حالة استغناء المصلحة عن أى مستخدم دون حدوث اى خطأ من جانبه فى عمله ، حينئذ تصرف له المصلحة جميع مستحقاته ،ويتم ترحيله هو وعائلته على حساب المصلحة [49]، وهذا ما طالب به إبراهيم القمص كاتب سابق بالمصلحة وذلك حينما تم الاستغناء عنه لحدوث شقاق بينه وبين زملائه ، وقد تم رفض ترحيله وعائلته على حساب المصلحة وكذلك عند وفاة أحد المستخدمين ،وكان مخصص له مرتب لعياله ،لابد من إعطاء الإشعار اللازم للحكمدارية من أجل قطع مرتبه من تاريخ الوفاة ،ويكون ذلك العمل من اختصاص الباشكاتب ورئيس الحسابات والكتاب الذين هم من خصائص عملهم ذلك[50]، وإذا كان للمتوفى تركات لدى السكة ، فهذه التركات تؤول إلى بيت المال،ولحكمدار السودان الحق فى أخذ الترك والرسومات الخاصة من بيت المال وذلك إتباعا لسوابق الإجرى[51].

ثانيا : لايجوز النقل من ورشة إلى أخرى فى مصلحة حديد السودان ، وقد حدث هذا عندما طالب وكيل ديوان السكة من مأمور السكة محمد سلامة نقل بشارة افندى خليل من ورشة اليومية بدل عطاالله ميخائيل بورشة الاستحقاقات ، على الرغم من استقاماتهم فى عملهم ، وعدم تعطيلهم العمل ، وبالرغم من تساوي أجورهم وعدم وجود ضرر فى ذلك، ولكن مأمور السكة رفض ذلك ونبه على جميع كتاب الديوان بالعمل كل فى محله دون تغيير مع الآخر وإذا حدثت أدنى مخالفة يتم عمل

مذكرة بالقضية [52] ، كما تم التشديد على الكتاب فى استخدام الورق ، فالكتاب يستلمون الورق وأدوات الكتابة بأعداد معلومة من قمندان مركز حلفا ويوقع ويختم الكاتب على ذلك[53] ، بالإضافة الى ورود إفادات كثيرة من مالية السودان ، للتأكيد على الكتبة بعدم التبذير فى الورق[54] كما أن دفاترهم عرضة للمراقبة والتفتيش ، مثال ذلك إحالة بولس أفندى حنا كاتب اليومية على مجلس إسنا ورفع قضية عليه للقشط والمسح فى دفاتر اليومية الخاصة بيوميات عمال السكة [55] ، كما أن كتاب مخازن العهدة فى مراقبة مستمرة أيضا وأي خلل فى عهدتهم يتم خصمه من استحقاقاتهم مثل ما حدث مع مرقص هاريون كاتب مصلحة السكة،عندما أخلى طرف أحد المستخدمين وكان كاتب عهدة بالمصلحة دون تحقيق ، وتم اكتشاف نقص فى عهدته بعد ذلك ، وكان عبارة عن قفل حديد بمفتاح،وقد تم خصم ثمن القفل ثلاث جنيهات وعشرة قروش من استحقاق المعلم مرقص هاريون المستخدم فى شون المقابلة بالمصلحة[56]، ثم جاء منشور وزارة الداخلية الذى يفضى إلى تنظيم طريقة التحاق المستخدمين فى المصالح الحكومية بشكل عام من خلال :

- قيام مأمور المصالح بعمل تحريات دقيقة عن أي شخص يريد الالتحاق بأي وظيفة تحت إدارتهم من خلال الوقوف على جميع تحركاتهم وخدماتهم السابقة ،وحسن سيرتهم واستقامتهم .
- عدم الارتكان الى تسليم شهادة من بعض الأفراد بعدم أسبقية العمل بالميري على الرغم من سابق استخدامه ، ومن الممكن أن يكون قد صدرت في حقه أحكامبالطرد ، وبما أن هذه القواعد المرعية يصيبها خلل شديد وعليه فلابد من عدم الاكتفاء فى باستخدام أي شخص بمجرد تقديم هذه الشهادة (وهو ماعرف برسم الضمان لتوظيف المستخدمين ، وكانت قيمته عشرة قروش وكان مقرر على جميع المستخدمين بدون فرق مثل رسم ضمان تومارزق غفيرجى ومفتاحجي بمحطة الشلال [57] .
- لابد من وجود الكثير من الدقة والتحري في حالة أي شخص قبل الخدمة ، والوقوف على سابقة أعماله ، وأسباب رفته من كل جهه، وحسن استقامته وسيره ، وعدم صدور ما يمنع إستخدامه[58].وعلى هذا فلابد من حصول المستخدم فى أية وظيفة حكومية على رفتية يسجل فيها سبب رفته ، وهذا ما عانى منه إبراهيم القمص بعد رفته من المصلحة لعدم قدرته الحصول على عمل لعدم استلامه الرفتية الخاصة به .

حادثة لاستغلال النفوذ نتيجة هذة السيطرة:

هذه كانت حياة المستخدمين الأقباط داخل السكة الحديد السودانية،وقد كونوا فيما بينهم مجتمعا صغيرا ، هذا الكيان الصغير لم يمنع أن تظهر فيه أمراض المجتمع من خلافات وفساد واستغلال . وقد تلخص ذلك فيما أقدم عليه باشكاتب المصلحة فام أفندى ميخائيل، والذي كان يتمتع بنفوذ كبير وسطوة على العاملين الأقباط في السكة. ومن المعروف مما سبق و أشير اليه أن مستخدمين السكة الأقباط كانوا يستأجرون منازلهم بجوار بعضهم البعض ، وكان نصيب إبراهيم أفندي القمص أحد كتاب السكة أن يسكن بجانب الباشكاتب فام ميخائيل ، ويتصادف الحظ كذلك أن يكون لفام ميخائيل إبنه تدعى ساره من نفس سن بنت إبراهيم أفندي القمص التى تسمى بسمة والبنتان كانتا تلعبان مع بعضهما وزادتا من صلة العائلتين ببعض ، ولكن طبيعة الحياة الصحراوية ، وتدخل القدر آنذاك أفضى إلى غير ذلك ، فأثناء لعب سارة في بيت ابراهيم القمص لدغتها عقربة وتوفت على إثرها بعد أن أعلنت للحضور سبب الوفاة وهو لدغ العقرب ، ولكن نار الغل قد اشتعلت في قلب والدة سارة ،زوجة فام ميخائيل ،وأرادت المصير نفسه لإبنة إبراهيم القمص ، وأضمرت الشر للفتاه وفى أحد الأيام نادت على البنت وأدخلتها مطبخها وصبت عليه زيت الغاز وأشعلته وأرسلت رسولا الى منزل إبراهيم القمص لتبلغهم بالحادثة ، وحينما ذهب إبراهيم الى منزل فام هو وأهل الناحية على إثر الخبر ،وجد ابنته مشتعلة ،وحينما سألوها عن السبب أجابت أن إمرأة الباشكاتب من فعلت ذلك ثم توفت الفتاة ، وكان هذا الرد أمام شهود مسلمين وأقباط ،وعلى رأسهم الشيخ محمد خير شيخ ناحية عنقش ، وأمام زملائهم في العمل مثل خير سعد ،والمعلم إسطفانوس روبيل ،وواصف يوسف[59]، وحينما علم الباشكاتب بما حدث اجتمع مع إبراهيم القمص وأوضح له أن ماحدث ما هو إلا قضاء وقدر ،رغبة منه فى التكتيم على الحادثة ،وعدم شيكاية زوجته وقد انصاع له إبراهيم القمص حفاظا على عمله، ولكنه لم يستطع الصبر طويلا، وقدم شكوى لمديرية إسنا ولحكمدارية السودان التابعة لها المصلحة،لإجراء التحقيق في وفاة ابنته ومعاقبة الفاعلة ،ولكن التحقيقات طالت فما كان من الباشكاتب إلا أن تدخل لرفت القمص ،كما وسبق أن هدده بذلك إذا تجرأ على شكاية زوجته ، فقدم تقريرا للسيد بيرد مهندس ميكانيكى بالسكة أحيلت اليه مأمورية السكة الحديد آنذاك ، وأوضح فى ذلك التقرير بوجود خلاف وفشل وشقاق بين القمص والكتاب بالمصلحة ، وقد صدق المستر بيرد على كلام الباشكاتب وتم رفت إبراهيمالقمص

بعد عمل دام ستة سنوات في المصلحة ،ولم يبدر منه أي خلل وظيفي فى عمله ، وبعد إخلاء طرفه من المصلحة تم حجز جزء من استحقاقه بناء على مكاتبة محررة من الباشكاتب للمستر بيرد بأن إبراهيم القمص قام بتكسير زجاج شبابيك منزله بدون التحقيق في ذلك[60]وقد تمعن الباشكاتب فى إذلال إبراهيم القمص ،وذلك بالتأخير المتعمد فى الحضور لإتمام التحقيقات بحجة انشغاله بالعمل بالمصلحة ، وإبراهيم القمص رهين حضوره منقطع العيش، كما أنه لم يسمح له بالترحيل إلى بلده أسوة بزملائه بعد رفته ، حيث إن الأوامر والمنشورات التابعة للسكة من حكمدارية السودان تشير بأنه إذا صار رفت أي مستخدم من المستخدمين بالسكة ،وليس له دخل معني بذلك الرفت أو إستعفاء من جانبه يجري ترحيله على طرف المديري لحد بلده، واضطر إلى بيع ما يمتلكه من أجل مصاريف النقل هو وأسرته إلى بلدته في قنا [61]،وازداد الباشكاتب في طغيانه ونفوذه بأن تدخل من أجل عدم حصول إبراهيم القمص على الرفتية الخاصة به ،والتى يتضح بها سبب الرفت حتى يتم تقديمها الى أى جهة عمل ترغب فى توظيف مستخدمين [62] ، وعلى الرغم من إصدار الرفتية له نظرا لكثرة طلباته وشكايته فإنالباشكاتب فام تعنت معه ، وحينما ذهب إبراهيم القمص للمصلحة لأخذ الرفتية تغيب الباشكاتب بحجة أنه ذهب لاستكمال التحقيقات معه ، وحينما أنتظره إبراهيم القمص قال له أنه لايجد الرفتية لأنه وضعها بين ورق داش ولم يعط له الرفتية .

هذا جزء من إستغلال الباشكاتب لنفوذه ، بالإضافة إلى الضغط على زملاء إبراهيمالقمص لعدم الشهادة معه بإحلال سريع لأحد زملائه وكان شاهد على الحادثة ، وهو خير أفندى سعد ليتم ترقيته من وظيفته ككاتب بورشة اليومية والصنف ليصبح ريس ورشة الاستحقاقات والمطلوبات بدلا من إبراهيم القمص)63(، ويستدعى روفايل قرياقوص لإلحاقه بوظيفة كاتب ورشة اليومية والصنف بدلا من خير أفندي سعد)64(، ويستمر الباشكاتب في عناده وظلمه للدرجة التى يتطاول فيها على الشيخ محمد خير في المسجد وقت صلاة الجمعة بحذائه ،ومعه جماعة من الأقباط ويتهجم على الشيخ ويسب الدين ويتلفظ بألفاظ نابية ، وذلك بسبب وقوف الشيخ مع إبراهيم أفندي القمص، وقد كانت هذه الواقعة سببا فى رفت فام أفندى من المصلحة وسجنه الى أن أصدر حكمدار عموم السودان أمرا بالافراج عنه والاكتفاء برفته[65] ، لكن الشيخ محمد خير لم يتخل عن حقه فقدم شكوى لمجلس مديرية قنا ، وقد صدر الحكم على فام أفندي ميخائيل باشكاتب السكة الحديد سابقا.

بإلحاقه بليمان إسكندرية لمدة ستة أشهر نظير ما ظهر منه من دخوله جامع عنقش لابسا نعاله وضربه للشيخ محمد خير [66] .

كما تمكن إبراهيم القمص من أخذ رفتيته الخاصة به مع استمرار التحقيقات الخاصة بحريق ابنته [67]

إلا أن وقوع الباشكاتب فام ميخائيل قد أدى الى كشف المستور عنه، فقد قدم المعلم واصف يوسف شكاوى ضد فام من مشاركته التجار والتلاعب بإيجارات الزرابي وتحصيل العوايد والتجارة وغيرها من قضايا الفساد الوظيفي ، وقد تمت إدانته من بعض التهم وتبرئته من بعض [68] .

هذا كان شكل ونمط الحياة للمستخدمين الاقباط في السودان ، ولا أحد ينكر الدور الذي قاموا به في سبيل تنفيذ مشروع ضخم كهذا،استمر ونما وظهر بشكل أكبر من ذلك أثناء الحكم الثنائي للسودان ،ونمت معه أيضا أعدادهم وحضورهم بالسودان ، ولا أحد ينكر كذلك العوائد الكثيرة التى ادخلتها السكة الحديد السودانية لتلك الفترة محل الدراسة ،على سبيل المثال فقد أدخلت ما قيمته مائتين وسبعة وسبع وخمسون ألف جنيها وعشرة قروش ، إلى صراف خزينة أسوان بقطر صليب خلال شهر يونيو 1881 م ،ناتج ترحيل البضائع التجارية الصادرة والواردة من محطتي الجزيرة والشلال [69] ، كما أن السكة نجحت في تحقيق الهدف الذي أنشئت من أجله بالدرجة التى حدت بمطالبة تجار أسوان وعمدها من المصلحة بتوصيل فرع السكة الحديد لبندر أسوان،وذلك لسهولة نقل البضائع وتوفير مصاريف النقل [70]

الخاتمة :

اذا فالدراسة تكشف سيطرة تلك الفئة على العمل بمصلحة السكة الحديد والذى تأكد من خلال استقرارها بمكان عملها واصطحاب اغلبهم لاسرهم ومحاولة التكييف الكامل مع معطيات ذلك المجتمع من خلال تأهيل المكان الخاص بسكنهم وتأسيس دار للعبادة وغيرها من مقومات الاستقرار ولتتأكد بعد ذلك هذة السيطرة من خلال تخطى حدود الزمن والاحداث بسيطرتهم على المكان هو وذويهم من بعد ففى الفترة (1941: 1942) عندما قامت فتنة بين الاقباط والمسلمين بعطبرة وقيل ان السبب فيها سيطرة الأقباط على وظائف السكة الحديد وبخاصة ،الاعمال الحسابية بها وقد قيل إن السبب فى تفوق أبناء الأقباط فى امتحانات التوظيف بالسكة على المسلمين هو حصول آبائهم على الأسئلة مسبقا [71]

النتائج:

أهم النتائج التى توصلت اليها الدراسة:

إن الاقباط فى نهاية القرن التاسع عشر اعتادوا العمل فى بلاد السودان ولم تعد الصورة السيئة عن السودان وجوها قائمة مثل قبل بل سيطر الاقباط على اغلب الوظائف فى المصالح السودانية

ساهم الاقباط بشكل فعال فى اغلب مشاريع السودان وبالتالى فقد تيسر لهم القيام بدور حضارى فعال فى السودان ولعل سكة حديد السودان ابرز دليل على ذلك

الاقباط بطبيعتهم محبين للاستقرار والتكيف مع معطيات البيئة المتاحة ولعل هذا ما برز عندما سكنوا بعائلاتهم فى الصحراء من اجل انشاء السكة

القبطى متدين بطبعه ففى اى مكان يستقر فيه يسعى دائما الى اقامة دور عبادة فى اى شكل يساعده على اقامه طقسه الدينى

اهتمت الادارة المصرية باقامة المشروعات الهامة فى السودان رغبة فى الحاقها بركاب التمدن وحتى تستطيع استغلال موارده الاستغلال الامثل ولعل هذا ما طمئن الاقباط ودفعهم للمشاركة

سكة حديد السودان فى القرن التاسع عشر كانت البداية التى وجهت انظار رجال السياسة والادارة الى اهمية وجود هذة المشاريع فى السودان ولعل هذا ما ترجم بعد ذلك فى الحكم الثنائى المصرى للسودان حيث اقيمت العديد من مشروعات السكة الحديد التى عملت على ربط السودان بعضه ببعض

التوصيات :

البحث كان محاولة جاهدة لابراز دور الحكومة المصرية فى الحقبة التركية من اقامة المشروعات الهامة فى السودان ،وعرض لدور الاقباط فى السودان بشكل عام وفى سكة حديد السودان بشكل خاص الا ان البحث فى حاجة الى الاستمرار لايضاح هذا الدور بشكل اكبر وبخاصة مع نمو واتساع السكة الحديد فى السودان فى القرن العشرين وسيطرة الاقباط ايضا على العمل فى ذلك المشروع وبخاصة فى سكة حديد عطبرة

أسماء بعضالمستخدمين الاقباط بسكة حديد السودان

م	الاسم	الوظيفة	المرتب		ملاحظات
			بارة	قرش	
.1	دانيال أفندي عبد الله	كاتب ثالث	-	0021	
.2	طوبياسليمان	كاتب بالحسابات	-	053	
.3	مرقص هاريون[72]	كاتب الشونه والمخازن	-	003	

م	الاسم	الوظيفة	المرتب		ملاحظات
			بارة	قرش	
.4	سليمان أفندي خليل (تابع الخدمه السايره)	معاون وعهدة شون الغلال	-	002	تم ضم 001 قرش الى مرتبه ليصبح 003 قرش بداية من 11 بشنس 1951
.5	رزق أفندي غبريال[73] (خدمة التشهيل باسكندرية)	كاتب أول المأمورية	-	007	تم زيادة 003 قرش علاوة على مرتبه ليصبح 0001 قرش بداية من 12 ربيع الأول 2921هـ
.6	نقولاقيسطندي (ظهورات)	كاتب أجريه	-	003	
.7	واصف منقريوس (ظهورات)	كاتب أجريه	-	003	
.8	جرجس أفندي ايلياس	كاتب بالحسابات	-	055	تم الحاقه بوظيفة كاتب ثان بورشة الاستحقاقات وتنزيل مرتبه إلى 005 قرش بداية من 3 النسيء 1951 بناء على الترتيب الوارد.

م	الاسم	الوظيفة	المرتب		ملاحظات
			بارة	قرش	
.9	حنا أفندي يوسف	كاتب بالحسابات			تم الحاقه بوظيفة كاتب ثان بورشة يومية الخصم والإضافة وتنزيل مرتبه إلى 500 قرش بداية من 3 النسيء 1591 بناء على الترتيب الوارد.
.10	رفله أفندي اسليانوس	كاتب ثاني المأمورية	-	004	
.11	حنا بولص (خدمة ظهورات)	كاتب أجرية	-	003	
.12	أندراوس جرجس[74] (وظيفة الظهورات)	كاتب أجرية	-	003	
.13	صالح أفندي هارون (تابع وظيفة الكتاب)	كاتب بالتحريرات	-	004	
.14	بولص حنا[75] (ت خدمة محطة أسوان)	كاتب المحطة	-	002	
.15	حنا أفندي منصور (ت خدمة التشهيل سنكرية)	كاتب أول	-	0001	
.16	حضرة عطا الله أفندي فام (ت وظيفة الكتاب)	باشكاتب المصلحة	-	0002	
.17	غبريال أفندي خليل [76] (ت وظيفة الكتاب)	كاتب	-	057	

م	الاسم	الوظيفة	المرتب		ملاحظات
			بارة	قرش	
.18	فام أفندي عطا الله	كاتب	-	006	
.19	يازكي أفندي عطا الله	كاتب	-	006	
.20	حنا أفندي خير[77] (ت خدمة التشهيل باسكندرية)	كاتب ومترجم بطرف باشمهندس استلام المهمات	-	0051	
.21	منقريوس رزق (ت خدمة التشهيل بأسوان)	كاتب المأمورية	-	002	
.22	خليفه طوبه	غفير بالمأمورية	-	05	
.23	عطا الله أفندي فام[78]	باشكاتب	-	0002	

الهوامش:

(1)مكى شبيكة: السودان عبر القرون، دار الجبل، بيروت،1991، ص 23

(2)مصطفى محمد مسعد: الإسلام والنوبة فى العصور الوسطى، الهيئة المصرية العامة للكتاب،2011، ص63

(3)أنجيل إسحق جرجس: المسيحية فى السودان، الخرطوم، وزارة التخطيط الاجتماعى، 1997، ص1

(4)دورية السودان الإسلامى،26-12-2007

(5)راشد توفيق عاطف : التجارة فى السودان فى القرن 19 ، رسالة دكتوراه غير منشورة ،كلية الاداب ،جامعة الاسكندرية ،1989،ص 85،86

(6)احمد ابراهيم دياب :وثائق ومصادر الحياة الاقتصادية لسودان وادى النيل (1821:1885) بحث مقدم للندوة العالمية الاولى للجنة العربية للدراسات العثمانية ،تونس (19-26 يناير 1984م) مجلة البحوث والدراسات العربية العراق ،المجلد 13 ،1984 ،ص 118،119

(7) نسيم مقار :الاسس التاريخية للتكامل الاقتصادى بين مصر والسودان،دراسة فى العلاقات المصرية السودانية (1821:1848م) ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1985م ،ص176،177

(8) وسام احمد طه منصور : سكة حديد السودان ودورها فى التطور السياسى والاقتصادى والاجتماعى منذ نشأتها 1864 وحتى عام 1955 ،اشراف السيد على احمد فليفل ،رسالة ماجستير ،معهد البحوث والدراسات الافريقية،قسم التاريخ ،جامعة القاهرة ،2005 ،ص 53:55

(9)نعوم شقير : جغرافية وتاريخ السودان ،تقديم فدوى عبدالرحمن طه،ط1،دار غزة ،الخرطوم ،2007 ،ص534

(10)الشاطر بصيلى عبدالجليل : تاريخ المواصلات فى سودان وادى النيل – القسم الاول حتى عام 1906 ،مطبعة كوستاتسوماس وشركاه ،عطبرة،1950،ص28،29

(11) حمدنا الله مصطفى حسن : التطور الاقتصادى والاجتماعى فى السودان (1841: 1881) ،دار المعارف ،ط1 ،1985 ،ص 244

(12) السيد يوسف نصر : الوثائق التاريخية للسياسة المصرية للقرن التاسع عشر ، دار المعارف ، ط 1 ، 1980 ،ص181

(13)مكى شبيكة : السودان عبر القرون ، دار الجيل ،بيروت ،1991 ،ص 175

(14)من الجدير بالذكر أن دراسة فالور تشمل على مد ثلاث خطوط سكة حديد بالسودان خط من حلفا الى المتمة بمسافة 800 كم وخط من الدابة الى الفاشر 800كم وخط من شندى الى البحر الاحمر 650 كم الى أن الازمة المالية حالت دون ذلك

(15)محمد فؤاد شكرى :الحكم المصرى فى السودان (1820 :1885)،دار الفكر العربى ، 1947 ،ص 109

(16)تحية ابو شعيشع : دور مصر الحضارى فى السودان ، دنقلة نموذجا 1820:1885م ،دار الكتب والوثائق القومية ،2017،ص 160

(17)دار الوثائق القومية :سكة حديد السودان ، ملف 001372-5023 ، نوفمبر 1879م

(18)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، دفتر 000029-5023 ، الوثيقة رقم249 ،ص 39 ،بتاريخ 27 يونية 1881

(19)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، ملف 001828-5023 ،31 ديسمبر 1880 م

(20)محمد عبدالغنى سعودى :السودان ، مكتبة الانجلو المصرية 'دار الرائد للطباعة ،1985 ،ص 372

(21)نعوم شقير :المصدر السابق ، ص 894

(22)دار الوثائق لبقومية :مجلس الاحكام ،احكام السودان ،دفتر003224-0020،29/ 12 /1847 ،ص431،432

(23)زاهر رياض :السودان المعاصر ،دار الانجلو المصرية ،ط1 ،1966،ص17

(24)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، الملف 000999-5023 ، 28 مايو 1876

(25)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، الملف 001253-5023، 22 ذى الحجة 1293 الموافق 8-1-1877م

(26)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، الملف 001601-5023، 8 فبراير 1880

(27)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، الملف 001685-5023، 28 نوفمبر 1880

(28)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، دفتر -000679 5023، قيمة إيجارات فى منازل المصلحة للموظفين من يناير 1882 الى ديسمبر 1882

(29)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، الدفتر -5023 0000 10 الوثيقة رقم 213 ص 26 ،2 مايو 1881

(30)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، الدفتر 000030-5023 الوثيقة رقم 15 ص 99 من 30 مايو 1881

(31)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، الدفتر000013 -5023 الوثيقة رقم 72 ص 110 من 15 يونية 1883

(32)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، الدفتر000101 -5023 الوثيقة رقم 31 ص 66 من 18 يونية 1883

(33)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، الملف 002210 -5023 ،30 نوفمبر1881 م

(34)دار الوثائق القومية :سكة حديد السودان ، دفتر 000679-5023 ايجارات منازل المصلحة بتاريخ 1881 ،ص 22

(35)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، الدفتر000029 -5023 الوثيقة رقم 198 ص 30 من 28 مايو 1883

(36)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، الدفتر000010 -5023 الوثيقة رقم 202 ص 25 من 24 مايو 1881

(37)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، الدفتر000013 -5023 الوثيقة رقم 36 ص - من 17 فبراير1883

(38)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، الملف 001068 -5023 - إستحقاقات شهر نوفمبر 1876

(39)38دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، الدفتر000002 -5023 الوثيقة رقم 102 ص 91 من 9 نوفمبر 1880

(40)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، الدفتر000113 -5023 الوثيقة رقم 8 ص 14 من 29 شعبان 1300 ه الموافق5-7-1883م

(41)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، الدفتر-0001015023 الوثيقة رقم 48 ص 96 من ديسمبر 1880

(42)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، الدفتر-0001015023 الوثيقة رقم 40 ص 96 من 4 شوال 1297هـ الموافق 9-9-1880

(43)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، الملف 0002196 -5023 - إكتوبر 1881

(44)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، الملف 002225 -5023 - 31 اغسطس 1881 م

(45)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، الدفتر-0001015023 الوثيقة رقم 15 ص 50 من 9 جماد الاخر 1297هـ الموافق 19-5-1880م

(46)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، الدفتر-0001015023 الوثيقة رقم 16 ص 50 من 9 جماد الاخر 1297هـ الموافق 19-5-1880م

(47)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، الدفتر-0001135023 الوثيقة رقم 14 ص 73 من 5 شوال 1300 هـ الموافق 9-8-1883م

(48)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، الدفتر000009 -5023 الوثيقة رقم 41 ص 9 من 4 مارس 1883

(49)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، الدفتر000009 -5023 الوثيقة رقم 122 ص 28 من 8 أغسطس 1888

(50)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، الدفتر-0000015023 الوثيقة رقم 86 ص 166 من 5 رجب 1297 هـ الموافق 13-6-1880م

(51)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، الملف 000133 -5023 - 22 رمضان 1295 هـ الموافق سبتمبر 1878م

(52)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، ملف 002146 -5023 - 15 مايو 1881

(53)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، ملف 001787 -5023 - 20 نوفمبر 1880

(54)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، الدفتر-0000195023 الوثيقة رقم 48 ص 14 من 8 أغسطس 1886

(55)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، ملف 001351 -5023 - رمضان 1295 هـ الموافق اغسطس 1878

(56)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، الدفتر-0001135023 الوثيقة رقم 61 ص 99 من 28 شعبان 1300 هـ الموافق 4-7-1883م

(57)ار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، ملف 002168 -5023 - 23 يونية 1881

(58)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، ملف 001973 -5023 - 10 فبراير 1881

(59)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، ملف 001799 -5023 - محرم 1299 هـ الموافق نوفمبر 1881م

(60)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، الدفتر-0001135023 الوثيقة رقم 5 ص 4 من 13 رجب 1300 هـ الموافق 20-5-1883م

(61)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، ملف 002329 -5023 ،23 اكتوبر 1881

(62)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، ملف 002637 -5023 ،22 ابريل 1882م

(63)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، ملف 002329 -5023 ،23 اكتوبر ،1881م

(64)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، ملف 002214 -5023، 7يوليو 1881م

(65)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، الدفتر0000295023 - الوثيقة رقم 164 ص 19 من 4 محرم 1298 هـ الموافق 7-12-1880

(66)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، الدفتر-0000035023 الوثيقة رقم 3 ص 9 من 9 رجب 1299 هـ الموافق 27-5-1882م

(67)دار الوثائق القومية : إدارة أشغال السودان ، الدفتر-0011075020 الوثيقة رقم 3 ص 27 من 13 سبتمبر 1886

(68)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، ملف 002551 -5023 - 1886م

(69)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، الدفتر-0000135023 الوثيقة رقم 26 ص 80 من 13 شعبان 1300 هـ الموافق 19-6-1883م

(70)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، ملف 002141 -5023،يونيو 1881م

(71)دار الوثائق القومية : سكة حديد السودان ، ملف 001725 -5023 ،25 يونيو 1880م

(72)محمد ابراهيم ابو سليم :أدباء وعلماء ومؤرخون فى تاريخ السودان،دار الجيل ، بيروط ، ط1 ،1991 ،ص 15

(73)دار الوثائق القومية، مصلحة سكك حديد السودان، (000707 - 5023): جزء أول استحقاقات السكك الحديد السودانية سنة 1591 قبطي الموافق 1875، ص 14.

(74)المصدر السابق، ص 16.

(75)المصدر السابق، ص 39.

(76)دار الوثائق القومية، مصلحة سكك حديد السودان، (000707 - 5023): جزء أول استحقاقات السكك الحديد السودانية سنة 1591 قبطي ،1875م، ص 40.

(77) دار الوثائق القومية، مصلحة سكك حديد السودان، (-000707 5023): جزء أول استحقاقات السكك الحديد السودانية سنة 1591 قبطي،1875م، ص 43.

(78)المصدر السابق، ص 45.

(79)دار الوثائق القومية، مصلحة سكك حديد السودان، دفتر (-000701 5023): استحقاقات مستخدمين مصلحة السكة الحديد السودانية من 11 سبتمبر 1875م إلى 1876م، ص 1.

المقومات الاقتصادية في الكويت
(1022 - 1332هـ/ 1613 - 1914م)

أ. منال بنت سيف بن علي العبيوي

طالبة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر- قسم التاريخ
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية -جامعة أم القرى
المملكة العربية السعودية.

المستخلص:

تهدف الدراسة للتعرف على المقومات الاقتصادية التي اعتمدت عليها الكويت منذ نشأتها، إذ امتازت الكويت بموقعها الجغرافي، مما جعلها تتمتع بمقومات اقتصادية متنوعة، بالرغم مما كانت تعانيه من نقص في موارد المياه، إلا أنها تغلبت على تلك المصاعب بممارسة أنواع من الأنشطة الاقتصادية المختلفة، كالنشاط التجاري، وبناء السفن، والغوص، وصيد الأسماك، وجمع اللؤلؤ، كما كان للحاكم دور في دعم هذه الأنشطة، وذلك بخفض رسوم الضرائب، وانعكس أثره ليصبحميناء الكويت محطة جذب للكثير من البضائع من عدة أماكن.الرعي، الزراعة، التجارة، الحِرَف والصناعات، الغوص والموارد الطبيعية. هي أهم المقومات الاقتصادية التي تم تناولها في هذه الموضوع، وقد توقفت الدراسة في عام 1332هـ/1914م، بإعلان قيام الحرب العالمية الأولى، وتغيير موازين القوى وبالتالي تغيرات وتحولات طرأت على الأوضاع الاقتصادية في الدول العظمى، والذي انعكس أثره على معظم الدول. ومنها الكويت. اتبعت الدراسة منهج البحث التاريخي المعتمد على جمع المادة الخاصة بموضوع الدراسة من منابعها الأصلية، وتحليلها ودراستها دراسة تاريخية وصفية. بهدف الوصول إلى نتائج، والتي من أهمها تنوع وتطور المقومات التي اعتمدت عليها الكويت في بناء اقتصاد قوي للدولة في تلك الفترة. بما يتناسب مع طبيعة موقعها الجغرافي، ودور السلطة الحاكمة في دعم تلك المقومات.

الكلمات المفتاحية: الاقتصاد، الكويت، التجارة، الغوص، الحرف والصناعات.

Abstract:

This study aims to shed the light on the economic necessities that State of Kuwait relied on since its emergence, asitis distinguishedby its geographical location, which contributed to the variety of its economic necessities. Despite the scarcity of water resources, Kuwait has overcome these difficulties by engaging in

various kinds of economic activities, such as commercial activity, shipbuilding, diving, fishing and pearling. The Governor has played a role in supporting these activities, by reducing tax fees, which led to Kuwait seaport being a station for attracting many goods from several places. Grazing, agriculture, trade, crafts and industries, diving and natural resources are the essential economic necessitiesdealt with in this study. This studywas discontinued in 1331 A.H/ 1914A.D due to the outbreak of World War II and the balance of Powers has been changed, and consequently, there were changes and transformation have been occurred in the Great Powers. All these changes had affected the most countries including Kuwait. This study adopted historical research approach based on collecting the literaturerelated to the study from its origins, analyzing and reviewing themas a descriptive historical study, with a view of reach the findings. The main findings are the diversity and development of the necessities on which Kuwait relied in building a strong economy in that period In accordance with the nature of its geographical location and the role of the ruling authority in supporting these necessities.

Keywords: Economy, Kuwait, Trade, Diving, Crafts and Industries.

الموقع:

تقع الكويت على رأس الشمال الغربي للخليج العربي بين خطي طول 28 و30 شمالاً، وخطي عرض 46 و48 شرق خط غرينتش.[1]

نُشر تقرير للماجور كولبيروك يصف الكويت وموقعها في تاريخ 1235هـ/ 1820م حيث يقول في التقرير: «وأول مستوطنة على رأس الخليج هي الكويت، التي تقع على مرفأ صالح لرسو السفن، ويقطنها خليط من العرب الخاضعين لآل صباح، وهم فرع من قبيلة العتوب، تقوم على حمايتها قلعة مزودة بعشرين مدفعاً».[2]

الحدود والتسمية:

يحدها من الشمال، وجزء من الغرب العراق، أما من الجنوب والغرب فتحدها المملكة العربية السعودية، ومن الشرق الخليج العربي[3].

ورُسمت خريطة للكويت في مؤتمر لندن عام 1331هـ/ 1913م؛ من

أجل تصفية الخلافات السائدة بين الدولة العثمانية والحكومة البريطانية، وأوضحت هذه الخريطة حدود الكويت، التي تمتد من خور الزبير شمالاً حتى رأس القليعة جنوباً [4].

لقد عُرفت الكويت بمسمى القَرين[5] وبينت خريطة رسمها الرحالة الدانمركينيبور[6] للخليج العربي في 1179هـ/1765م وجود اسم القرين في ركنها الشمالي الغربي، كذلك نجده في أغلب خرائط الجزيرة العربية التي رسمها الأوروبيون. وهذه التسمية بالقرين، أو الكويت هي تصغير قرن وكوت، والقرن هو التل، أو الأرض العالية. ويذكر أبو حاكمة بأنه عندما أنشأ براك بن غرير[7] كويتاً (والصحيح كوتاً) بالقرين غلب اسم الكويت على المكان؛ فصارت البلدة تعرف باسم الكويت بدلاً من القرين.[8]

أما أصل تسميتها بالكويت فكما قال المؤرخ عبد العزيز الرشيد في كتابه تاريخ الكويت: «الكويت تصغير كوت، والكوت كلمة متعارف عليها في العراق، ونجد وما جاورها في البلاد العربية، وبعض بلاد العجم، وقد شاع استعمالها على الألسنة حتى صرفوها تصريف الكلمات العربية الأصيلة فصغروها، وجمعوها، فقالوا كويت، وأكوات، وبالمصغر سميت البلدة على ضفاف الخليج العربي، وهي تطلق عندهم على البيت المربع المبني كالحصن، والقلعة».[9] ويذكر يوسف بن عيسى القناعي عن تسمية الكويت: «هو تصغير كوت، وهو معروف بالعراق، وهو عندهم يحتوي على عدة دور للفلاحين، ويحاط بسور».[10] ويرى المؤرخ سيف مرزوق الشملان بأن الكويت :بضم الكاف، وفتح الواو تصغير الكوت، والكوت كلمة يطلقها أهل العراق وما جاورهم على البيت المربع الشبيه بالحصن».[11]

ويتضح من هذه التسميات التي ذكرها المؤرخون بأن كلمة كويت لا خلاف عليها وهو تصغير لكلمة الكوت، وهذه الكلمة منسوبة للكوت، ويعني (الحصن) الذي كان مبنياً على الكويت في الزمن القديم.[12]

مميزات الموقع:

تمتلك الكويت موقعاً استراتيجياً على الخليج العربي، وهي ميناء صالح لرسو السفن،[13] ووجود موقعها بين العراق في الشمال، والأحساء في الجنوب جعلها تتمتع بميناء ممتاز.[14]ومما يميز موقعها قربها من شط العرب[15] وارتباطها القريب بنجد، وتُعد منفذاً تجارياً لنجد وشمال الجزيرة العربية.[16]

كما أن طبيعة موقع الكويت في الشمال الغربي من الخليج جعلها محط تنافس بين الدول العظمى في تلك الفترة، وهي: بريطانيا، وألمانيا، وروسيا بجانب الدولة العثمانية.[17]

المقومات الاقتصادية في الكويت:

اعتمد اقتصاد الكويت في مرحلة ما قبل ظهور النفط على التجارة، وجمع اللؤلؤ، وصيد الأسماك، وقد ساعد موقع ميناء الكويت المهم على رسو الكثير من المراكب، كما ساهمت قلة رسوم الضرائب فيه بأن يكون ميناء جذب، ومخزن للكثير من البضائع، ومنها البضائع القادمة من الهند، كما تأتي السفن العراقية الصغيرة التابعة للتجار الكويتيين، أو العراقيين لتنقل بعض البضائع الموجودة في الميناء عن طريق شط العرب حتى تصل إلى البصرة. وكانت هناك عدة مقومات أخرى نشطت، وأسهمت في ازدهار اقتصاد الكويت؛ وتفاوتت هذه المقومات من حيث إسهامها في اقتصاد المنطقة، وأثرها على العلاقات بحسب الظروف التي تواجهها، وأهمها:

1.الرعي:

يعتبر الرعي، والثروة الحيوانية من أهم مصادر الدخل الاقتصادي، وتعتمد حياة الرعي على هطول الأمطار، وتوفر النبات. ويعد مناخ الكويت جافاً؛ إذ تمثل الصحراء الجزء الكبير من مساحتها. وقد عمل السكان قديماً في البحر، وارتبطوا بالتجارة، والغوص، والصيد أكثر من الرعي إلا أن ذلك لم يمنع بعض السكان من الاتجاه إلى الصحراء، والاستفادة من خيراتها.واعتمد أغلب سكان البادية على أرض الكويت كمصدر رزق لهم رغم عدم استقرارهم فيها، حيث يعتمد الرعاة على الغطاء النباتي الذي تنبته الصحراء عقب سقوط الأمطار. وحين يأتي الصيف يقتربون من القرى حيث تتوفر موارد المياه الدائمة، وكان نسبة كبيرة منهم ينزلون بالقرب من قرية الجهراء؛ ومع قدومهم تزدهر الأسواق الكويتية بما يحملونه معهم من خيرات الصحراء من الحليب، ومشتقاته، والأصواف، والخيام.وقد كانت القبائل التي تسكن في صحراء الكويت، وشبه الجزيرة العربية قديماً لا تعرف الحدود حيث كانت كثيرة الترحال وراء الماء والكلأ؛ فلا حدود تقيد حركتهم وتنقلهم من مرعى لآخر. واستمر ذلك إلى أن ظهرت التقسيمات السياسية والحدود بين الدول، وأدى إلى استقرارها؛ لذا فقد كان الرعي في الكويت مهماً في اقتصادها إلى جانب المهن الأخرى كمهنة الزراعة، ومهنة الغوص، وصيد السمك. وقد كان للقبائل دور بارز في إنعاش اقتصاد الكويت قديماً، ويذكر حافظ وهبه بأن عدد عشائر الكويت قبل عام 1338هـ/ 1921م بلغ نحو 15 ألفاً، وقد التحق أكثرهم بنجد، بعد بناء الهجر. وتنتمي عشائر الكويت إلى قبائل عنزة، والعوازم، والرشايدة، وبني هاجر، والعجمان، وبني خالد، ومطير.[18] وذكر ديكسون في كتابه الكويت وجاراتها أن غالبية عشائر الكويت هم من عشائر الجزيرة

العربية من العوازم، والرشايدة، وبني خالد، وأن الرعي كان مهنة أساسية لدى بعض الكويتيين قديماً[19]، وذكرت زهرة ديسكون بأن أسرة سليم المزين رعوية تضرب خيامها بالقرب من آبار الشامية صيفاً، وإذا حل الشتاء تنتقل إلى قلب الصحراء؛ سعياً وراء المراعي لمواشيها[20]. ويذكر الرحالة الأمريكي لوشر أن أكثر أهالي الكويت يملكون قطعاناً من الأغنام، والإبل، والخيل، والحمير، والماعز، ويتركونها في الواحات الخارجية في اتجاه البصرة[21] . وذكر لوريمر في كتابه (دليل الخليج) بعضاً من أنواع الحيوانات وأعدادها، وبأن الجهراء كانت غنية بقطعان الماعز، والجِمَال، والأغنام؛ وذلك لكبر مراعيها، وتنوع نباتها، وتوفر مياهها الدائمة التدفق طيلة أيام السنة[22]. وكانت الحدود مفتوحة بين الكويت والعراق، ولم تكن القبائل تعترف بالحدود حيث يتنقل أهل بادية الكويت بحرية تامة في العراق، ولهم حق التملك، ويزود العراقُ الكويتَ بجميع احتياجاتها من المواد الغذائية، وخاصة الخضر والفواكه[23].

2. الزراعة:

تعتبر الزراعة عاملاً مهماً من مقومات الاقتصاد في أي دولة، وتعتمد على توفر ثلاثة عناصر رئيسة هي: طبيعة التربة، وملائمة المناخ، ووفرة المياه. والكويت تعاني من قصور فيما يخص طبيعة التربة، كما أن ظروفها المناخية غير ملائمة، أما المياه فإنه لا وجود للأنهار، والآبار فيها قليلة.[24] وارتبط النشاط الزراعي بهطول الأمطار. وعلى الرغم من عدم ملائمة الظروف الطبيعية والمناخية في الكويت؛ فقد تغلبوا على تلك الصعوبات، ونجحوا في زراعة بعض النباتات التي تتناسب مع الظروف البيئية، فزرعت نباتات صحراوية تحتمل الجفاف، وقلة المياه، وعند دخول موسم الأمطار تنمو تلك الأعشاب بشكل أسرع في نهاية الموسم، وتزدان الصحراء بهذه النباتات العشبية، وبعد انتهاء فصل الشتاء تتحول المناطق إلى مراعٍ. فكانت الأراضي الزراعية محدودة، وتنحصر بشكل أوضح في الجهراء؛ لوجود المياه فيها. وتقتصر أنواع الأشجار فيها على النخيل، والسدر، وأشجار برية تستخدم في الوقود، ورعي الإبل[25].

أما عن قلة المياه فقد مثلت مشكلة حقيقية، ارتبطت في الكويت منذ تأسيسها. فكانت مصادر مياه الكويت خلال فترة الدراسة تعتمد على الآبار، ومياه الأمطار؛ لعدم وجود المياه العذبة. ولم تكن مياه الأمطار منتظمة، كما أنها لم تكن في بعض الأحيان بكميات كافية. أما آبار المياه المعدنية فكانت تقع في مناطق الشامية، والجهراء، والدسمة. وهي لم تكن عذبة طوال أيام السنة؛ فعذوبة المياه كانت تزداد عقب سقوط الأمطار، ولكن بعد ذلك بفترة كان بعضها ينضب، وبعضها الآخر يتحول ماؤه فيصبح مُرّاً، أو مالحاً. وقد

أدت زيادة عدد السكان إلى عدم إيفاء الآبار التي تحتويها الكويت بحاجة البلاد وزيادة طلب السكان على المياه؛ فاتجهوا إلى جلب المياه من منطقة شط العرب بواسطة المراكب الشراعية[26].

أما عن كيفية نقل المياه من شط العرب في جنوب العراق إلى الكويت عبر السفن الشراعية في زمن الشيخ مبارك الصباح، فقد جلبت أول سفينة مجهزة لنقل المياه من شط العرب سنة 1326هـ/ 1908م، ونوعها (التشالة)، وكان يملكها محمد اليعقوب[27]، وفي سنة 1331هـ/ 1913م اشترى الشيخ مبارك السفينة (السعيد) المهيأة بالخزانات لنقل ما يقارب (72000) جالون من ماء شط العرب. واستمر نقل المياه بهذه الطريقة، فكثرت سفن نقل المياه وبلغ عددها سنة 1329هـ/ 1911م خمسين سفينة[28] . وفي أثناء رحلة الدانمركيباركليرونكيير الذي بدأ رحلته إلى الجزيرة العربية من اسطنبول إلى بغداد، ثم ركب سفينة شراعية على نهر دجلة متجهاً إلى البصرة، ومنها إلى الكويت. قال:»إن الكويت بلد الصحراء دون أي حدائق، أو مساحات خضراء، وتأتيها الذرة، والخضروات من الفاو، وأماكن أخرى»[29].

كان شحّ المياه العذبة سبباً لعدم تطور الزراعة في الكويت؛ لذا كان الجزء المهم من المواد الغذائية يجلب من البلدان الأخرى. ويذكر مرتضى بن علوان بعض مشاهداته عن الكويت في مخطوطته عام 1121هـ/ 1709م حيث يقول: «دخلنا بلداً يقال لها الكويت بالتصغير، وهي بلد لا بأس بها تشابه الحسا إلا أنها دونها، ولكن بعمارتها وأبراجها تشابهها، وكان معنا حج من أهل البصرة فرق عنا من هناك على درب يقال له الجهراء، ومن الكويت إلى البصرة أربعة أيام، في المركب البحري يوماً واحداً؛ لأن مينت (ويقصد به ميناء) البحر على كتف الكويت، وأما الفاكهة والبطيخ وغير ذلك من اللوازم يأتي من البصرة في كل يوم في المركب؛ لأنها أسكلة[30] البر أقمنا بها يوما وليلة»[31]. ويبين لنا نص مرتضى بن علوان أهمية البصرة تجارياً بالنسبة للكويت، وكذلك قدم الجهراء، وقلة أنواع المزروعات فيها.

3.التجارة:

أخذ الكويتيون بأسباب التجارة، واعتبروها ضرورة لتعويضهم عما عجزت طبيعة الكويت الصحراوية عن منحهم إياه، حيث كانت التجارة في الكويت قديماً الركن الأساسي للاقتصاد[32]. وكان أثر السلطة في الكويت مهماً في تطور وازدهار التجارة، حيث حرص الشيخ صباح الأول 1130-1190هـ/ 1718 - 1776م على تأمين الطرق التي كانت تسلكها القوافل التي تحمل المسافرين، والبضائع إلى بلاد الشام من جهة، ونجد من جهة أخرى، وذلك

بإقامة علاقة طيبة مع شيوخ القبائل التي تقيم بالقرب من هذه الطرق[33]، ومن أبرز التجار المهاجرين إليها والد أحمد بن رزق.[34] وفي عهد الشيخ صباح الثاني بن جابر الأول 1276-1283هـ/ 1859-1866م اتسعت التجارة؛ فسعى لفرض ضرائب على البضائع الخارجة من الكويت إلا أن تجار الكويت رفضوا ذلك،فلم يقبلوا أن يفرض عليهم مالم يفرضه أبوه وجده، وأنهم على استعداد لمساعدته إن كان بحاجة إلى المال؛ فتجاوب معهم وتراجع عن مسعاه[35]. وكان لتطور التجارة في الكويت أثر في لفت انتباه الرحالة الذين كتبوا عنها، أو زاروها خلال هذه الفترة وعرضوا في مذكراتهم الدور المهم لميناء الكويت في التجارة، كذلك من ناحية أخرى المهارات التي يمتاز بها التجار، والبحارة الكويتيون؛ فقد وصفها الرحالة الأمريكي لوشر الذي زار الكويت سنة 1285هـ/ 1868م في عهد الشيخ عبد الله الثاني بن صباح الثاني، الذي حل في ضيافة الشيخ بقوله: «جل الرجال من سكان الكويت يعملون في التجارة والملاحة، وهم يتاجرون مع البصرة، والساحل الفارسي، وكذلك مع القبائل البدوية في الصحراء، ويتعاملون بتجارة اللؤلؤ، والعود، والأسلحة النارية، والذخيرة، والملابس، والسروج، والسجاد»[36].

كما أخذت التجارة بالازدهار في عهد الشيخ عبد الله الثاني 1283-1309هـ/ 1866-1891م؛ لهجرة بعض الموسرين والأغنياء إلى الكويت، نظراً لظروف القحط، وعدم الاستقرار، والحروب التي كانت تعاني منها المناطق المحيطة بها، وبخاصة نجد، والأحساء، واتجاه أهالي الكويت إلى بناء المراكب الكبيرة القادرة على الوصول لموانئ الخليج العربي البعيدة عن الكويت. فضلاً عن بدء بروز مكانة الكويت كمصدر تجاري لبعض البلدان الأخرى مثل الشام، ونجد، والحجاز[37]. وزاد التطور التجاري في الكويت حتى شهد طفرة كبيرة في عهد الشيخ مبارك 1313-1334هـ/ 1896-1915م، حيث حرص على حفظ التجار من السلب والنهب؛ وذلك بالضرب على أيدي العابثين والخارجين وبالذات من القبائل التي تعتدي على القوافل، كما أنه دعم التجار وساندهم خاصة الذين تعرضوا للإفلاس، وذلك من خلال تقديم قروض ميسرة لهم. وفي عهده راجت تجارة اللؤلؤ، واتسع حجم المشتغلين بها. فضلاً عن زيادة عدد المهاجرين من نجد، وفارس، والعراق، والأحساء إلى الكويت، وهو الأمر الذي ساهم في زيادة عدد سكانها، ومن ثم تدعيم مركزها. كما أتم الشيخ مبارك تنظيم دائرة الجمارك عام 1315هـ/ 1898م، فرفع الضريبة على التجارة من 3 % في عهد أخويه السابقين إلى 5 %، وذلك على ما يرد الكويت عن طريق البر والبحر[38]. وشهدت التجارة في الكويت بين عامي 1323-1324هـ/ 1905

- 1906م تضاعفاً، وذلك بسبب التشجيع المستمر في دعم التجار بقلة رسوم الضرائب، مقارنة بغيرها من الدول؛ وازدادت أهميتها لتصبح الكويت المنفذ التجاري المهم لنجد[39]. وكان من أبرز الأنشطة التجارية في الكويت تجارة الخيول، وكان العراق يعتبر المصدر الرئيس لتجارة الخيل في الخليج، ويذكر بلي بأن الكويت كانت تصدِّر 800 حصان سنوياً إلى الهند، يُرسَل منها 600 رأس مباشرة من الكويت، و200 رأس من البصرة؛ ومن أبرز التجار الذي عُرِفوا بتجارة الخيل في الكويت أسرة آل عبدالجليل، فقد امتلكت هذه الأسرة ما يقارب سبعة مراكب من نوع البغلة خصصوا بعضها لتجارة الخيل[40]. وكان من أشهر التجار في هذا يوسف البدر حيث كانت ثروته 120 ألف ريال، وقد قال فيه شاعر العراق (الأخرس):

إنَّ الكويتَ حماها اللهُ قد جَعَلتْ في اليوسفين مكان السبعة الشُّهُبِ [41]

4.الحِرَف والصناعات:

ارتبطت الحِرَف والصناعات اليدوية التي مارسها الكويتيون بالتجارة، والغوص، والصيد. حيث تعتبر صناعة المراكب من أهم هذه الصناعات، وهي مرتبطة بمهنة الغوص. ففي البداية كان الكويتيون يستوردون المراكب من بعض موانئ الخليج الأخرى، أو من الهند، ثم اتجهوا إلى تصنيعها بعد ذلك، وبرع الكويتيون في هذا المجال؛ إذ كان للمراكب التي يصنعونها سمعة طيبة سواء كانت مراكب للغوص، أو للصيد، أو للتجارة. واتسمت مراكب الغوص بكبر حجمها حيث كان للكثير منها شراعان، أو ثلاثة، وكان المركب الواحد يستوعب ما بين 40-60 شخصاً[42]. كما أنهم كانوا يستوردون مستلزمات بناء السفن مثل الخشب، والحبال، وما إلى ذلك من الهند[43]. ومن أنواع السفن المخصصة للغوص، وصيد اللؤلؤ البتيل، والبقارة، والسنبوك، والشوعي، والجالبوت، والبوم[44]، وتعتبر البتيل، والبقارة أقدم أنواعها. وقد بدأت السفن بالتوجه بعد موسم الغوص في عام 1326هـ/ 1908م، لنقل الماء، وقد اشتهرت، أهمها بوم تيسير وهو من أكبر السفن التي صنعت لنقل الماء من شط العرب إلى الكويت. وتعتبر البوم، والدوبة أكبر سفينتين للماء تم صنعهما في الكويت؛ ونظراً لكبر السفينة فقد كان من الصعب عليها الاقتراب من الساحل؛ لذا كان الحمّارة يضطرون للدخول إلى داخل النقعة مسافة طويلة للحصول على الماء؛ وقد بلغ عدد السفن المخصصة لنقل الماء في عام 1328هـ/ 1910م أربعين سفينة[45].

كذلك هناك نوع من السفن تُسمى الكويتية، وهي هندية الأصل لا تصنع في الكويت، يشتريها تجار الخليج من الهند، ويضيفون عليها بعض

التعديلات، وتصبح بعدها مشابهة للسفن الخليجية، ومنها أحجام مختلفة، وكانت تستخدم لحمل التمور، والبضائع من البصرة إلى الكويت، وتُحمل عليها الأخشاب من الهند إلى الكويت[46]. وبالإضافة إلى صناعة المراكب والسفن الشراعية، فقد مارس الكويتيون صناعة الخيام وبيوت الشَّعر، فضلاً عن عمليات صقل اللؤلؤ[47]؛ لذا كان لتلك الحِرف المرتبطة بالبحر مساهمة في التطور الاقتصادي، وفتح الأسواق، والدكاكين.

كما وجد في الكويت مصنع لصناعة الثلج لرجل يهودي اسمه الخواجة صالح محلب، أسس المصنع سنة 1330هـ/ 1912م على ساحل البحر، كما كان هناك مصنع آخر يملكه الحاج محمد الفوزان المتوفى سنة 1318هـ/ 1900م يصنع الثلج في بيته[48].

5. الغوص والموارد الطبيعية:

لم تُعطِ البيئة الصحراوية للكويت المعطيات الكافية لحاجة السكان من ضروريات الحياة كالغذاء، والملبس[49]؛ لذا فقد ارتبط أهالي الكويت بالبحر؛ فمارسوا صيد الأسماك، وكان الصيد من الأنشطة المهمة فيها. وقد كانت هناك قوارب ومراكب خاصة به، كان أهالي الكويت يصنعونها بأنفسهم[50]، وقد استخدموا في هذه الحرفة أربعة أنواع من السفن منها البدائي، والبسيط مثل الورجيه، ومنها الأكثر تطوراً مثل الشوعي، والبلمن كما أنهم استخدموا قارباً صغيراً يسير بفعل المجاديف لنقل الأسماك يدعى الهوري[51]. ولا يمكن فهم تاريخ التطور الاقتصادي لإمارة الكويت على نحو دقيق دون رصد وتحليل الغوص على اللؤلؤ، باعتبارها أهم الأنشطة البحرية التي مارسها أهالي الكويت حتى بدايات اكتشاف النفط، وبدأ اشتغال الكويتيين في استخراج اللؤلؤ من البحر منذ القِدم، وكان أشهر تاجر لؤلؤ عُرف في ذلك الحين هو الشيخ أحمد محمد بن رزق، الذي هاجر من الكويت مع الشيخ خليفة آل خليفة إلى قطر سنة 1180هـ/ 1767م. وأسس معهم بلدة الزبارة. ومن تجار اللؤلؤ أيضاً السيد عبدالجليل الطبطبائي المتوفى سنة 1270هـ/ 1854م. وفي عهد الشيخ مبارك الصباح ازدهرت تجارة اللؤلؤ حتى أنه في عام 1330هـ/ 1912م بلغت أرباح التجار الكويتيين ملايين الروبيات حتى سميت تلك السنة بسنة الطفح؛ لكثرة أرباح اللؤلؤ[52]. وظلت تجارة اللؤلؤ مزدهرة في الكويت حتى عام 1348هـ/ 1930م عندما ظهر اللؤلؤ الصناعي فانهارت هذه التجارة.وهناك الكثير من المعلومات عن أصناف اللؤلؤ، ودرجاته، وفنون صناعته، والتجهيزات التي تسبق موسم الغوص، ومراكب الغوص، ومغاصات اللؤلؤ، وكيفية توزيع المحصول، ويمكن إبراز بعض العناصر التي تكشف

أهمية مهنة الغوص في إطار النشاط الاقتصادي لإمارة الكويت خلال الفترة محل الدراسة. وقد ارتبط الرواج التجاري للإمارة في جانب منه بهذه المهنة. فقبل بدء موسم الغوص تنشط التجارة، حيث يقوم البحّارة والغواصون بشراء مستلزمات رحلة الغوص، وبعض احتياجات أسرهم خلال فترة غيابهم،ويدب النشاط في الأسواق التجارية مرة أخرى مع نهاية الموسم بعد أن يكون قد تم توزيع المحصول، وحدث نوع من الانتعاش الاقتصادي للسكان. ويرى لوريمر أنه لولا وجود موارد اللؤلؤ لضعفت تجارة كلٍّ من الكويت، والبحرين كثيراً[53]. وقد جاء في تقرير لمدير شركة الهند الشرقية الهولندية عن المنطقة الساحلية للخليج في عام 1169هـ/ 1756م، جاء فيه أن العتوب كانوا يملكون 300 مركبٍ- معظمها صغير- يستخدمونها للغوص على اللؤلؤ، وأن صغر حجم هذه المراكب لم يسمح لهم بالإبحار لمسافات طويلة. وتطور عدد مراكب الغوص بشكل ملفت للنظر. حيث إن الرحالة الألماني نيبور الذي زار الكويت عام 1178هـ/ 1765م ذكر في تقرير له أن عدد هذه المراكب قد وصل إلى 800 مركبٍ. ونظراً للحيز المهم الذي مثلته مهنة الغوص في الحياة الاقتصادية بالكويت، فقد طور الأهالي بعض القواعد التي أصبحت في حكم الأعراف والتقاليد التي تنظم هذه المهنة، سواء من حيث مباشرة عمليات الغوص، أو من حيث توزيع المحصول، أو من حيث تجارة اللؤلؤ. فبالنسبة لتنظيم ممارسة مهنة الغوص كان هناك عدة فئات، لكل منها دور ووظيفة محددة، وهذه الفئات هي:[54]

الممولون: وهم عادة أصحاب سفن الغوص، النواخذة جمعنوخذة وهو ربان السفينة، الغاصة جمع (غواص): وهو الشخص الذي يقوم بالغوص، ويباشر عملية استخراج اللؤلؤ من قاع البحر، السيوب جمع (سيب): وهو الشخص الذي يبقى على ظهر السفينة، ومهمته سحب الغواص من قاع البحر بواسطة الحبل الذي يربطه الغواص حول نفسه، التبانة: وهم الصبية الذين يرافقون سفن الغوص لتعلم أصول المهنة، الطواشون جمع(طواش) وهم تجار اللؤلؤ[55].

الخاتمة:

من خلال البحث في المقومات الاقتصادية للكويت، نجد أنها تنوعت بين الرعي والزراعة والتجارة والصيد والصناعات والحرف، ومقومات أخرى نشطت وأسهمت في ازدهار اقتصاد الكويت.

النتائج:

خلصت الدراسة لعدد من النتائج، ومن أهمها:

1. أن الطبيعة الصحراوية للكويت قد لعبت دوراً في معرفة اتجاهها الاقتصادي.
2. ساعد موقع الكويت الجغرافي المتميز لتكون ميناء صالحاً لرسو الكثير من السفن. وتوضيح طبيعة الأنشطة الاقتصادية.
3. كان لقلة الموارد والمياه دافعاً للعتوب منذ البداية لممارسة النشاط التجاري، وبناء السفن، والغوص، وصيد الأسماك.
4. إن للبيئة في الكويت ومنها قلة موارد المياه دور في تسيير القوافل التجارية.
5. كان لقلة المياه في الكويت أثراً على النواحي الزراعية إذ كانت في مستوى قليل، وبالرغم من ذلك وجدت عدد من المزروعات اعتماداً على موسم الأمطار، والاستعانة بجلب المياه من المناطق المجاورة.
6. أسهم موقع الكويت بدور كبير في التبادل التجاري، الى جانب دور حكام آل صباح في تشجيع القوافل التجارية وتأمين التجار.
7. لم تكن الحرف والصناعات في الكويت في فترة الدراسة تقتصر على السفن والمراكب الشراعية فسحب، بل تنوعت وتعددت في صناعات أخرى، تمثلت بوجود مصنع للثلج، بالإضافة لصناعة بيوت الشعر وصقل اللؤلؤ.

التوصيات:

من التوصيات التي خرجت بها الدراسة:

1. التركيز على دراسة اقتصاد الكويت ابتداءً من النشأة والتحولات التي طرأت على الاقتصاد بعد ظهور النفط.
2. حث الباحثين على دراسة المقومات الاقتصادية وأثرها على الجوانب الأخرى في الكويت، كتأثيرها على الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية.

المصادر والمراجع:

(3)إبراهيم، عبدالعزيز عبدالغني، روايات غربية عن رحلات في شبه الجزيرة العربية، جـ3، دار الساقي، لبنان 2013م.
(4)أبو حاكمة، أحمد مصطفى، تاريخ الكويت الحديث 1163-1385هـ/ 1750-1965م، ذات السلاسل، الكويت 1984م.
(5)الأحسائي، محمد بن عبد الله العبد القادر، تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على توحيد المملكة العربية السعودية، جـ1، الرياض 1419هـ.
(6)البغدادي، محمد عبد الرزاق، جغرافية العراق السياحية، الجامعة المستنصرية، كلية الإدارة والاقتصاد، بغداد 1412هـ/ 1991م.
(7)التركي، يوسف، لمحات من ماضي الكويت، ط2، الكويت 1997م.
(8)الحاتم، عبد الله خالد، من هنا بدأت الكويت، ط3، الكويت 2004م.
(9)الحجي، يعقوب يوسف، النشاطات البحرية القديمة في الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت 2007م.
(10)الحجي، يعقوب يوسف، صناعة السفن الشراعية في الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت 2007م.
(11)الخالدي، إبراهيم حامد، دخلنا بلداً يقال لها الكويت، مطابع القبس، الكويت 2011م.
(12)خزعل، حسين خلف الشيخ، تاريخ الكويت السياسي، جـ1، دار ومكتبة الهلال.
(13)الدرورة، علي إبراهيم، تجارة الخيل في الكويت، مجلة الوثيقة، مجلد 23، العدد 46، البحرين، يوليو 2004م.
(14)الدوسري، عبدالرحمن علي، أوليّات كويتية، دار سلمى للنشر، 1996م.
(15)ديكسون، ،هـ.ر.ب، الكويت وجارتها، ترجمة فتوح الخترش، ذات السلاسل، ط3، الكويت 2012م.
(16)ديكسون، زهرة، الكويت كانت منزلي، دار الكاتب العربي.
(17)الرشيد، خالد عبدالقادر، موسوعة اللهجة الكويتية، الكويت 2009م.
(18)الرشيد، عبد العزيز، تاريخ الكويت، دار مكتبة الحياة، لبنان، (د.ت).
(19)رونكيير، باركلي، عبر الأراضي الوهابية على ظهر جمل، ترجمة: منصور الخريجي، ط2، مكتبة العبيكان، الرياض 2003م.
(20)سالدانها، ج.ج، شؤون الكويت 1896-1914م، ترجمة فتوح الخترش، ط2، ذات السلاسل، الكويت 1990م.

(21)سلطان، غانم وآخرون، جغرافية الكويت دراسة في الظروف الطبيعية والسكان، ط2، دار المعرفة بالإسكندرية 1997م.
(22)سلوت، ب.ج، نشأة الكويت، ترجمة مركز البحوث والدراسات الكويتية، قدم له: عبد الله يوسف الغنيم، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت 2003م.
(23)الشمري، خليف صغير، المستودع والمستحضر في أسباب النزاع بين مبارك آل صباح ويوسف آل إبراهيم 1896-1906م، دار نينوى، دمشق 2008م.
(24)الشملان، سيف مرزوق، تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي، جـ1، ذات السلاسل، الكويت 1986م.
(25)الصباح، ميمونة الخليفة، الكويت حضارة وتاريخ، جـ1، الكويت 1989م.
(26)طعمة، خالد، تاريخ الكويت الكبير، ط2، الكويت 2013م.
(27)العاني، كريم، الحدود العراقية الكويتية، الوراق للنشر، 2013م.
(28)عبدالله الهاجري، محمد العنزي، مدخل إلى تاريخ الكويت الحديث والمعاصر، ط3، الكويت 2011م.
(29)غانم، سلطان، جوانب من شخصية الكويت، مؤسسة علي الصباح للنشر، الكويت 1990م.
(30)الفرحان، راشد، مختصر تاريخ الكويت وعلاقاتها بالحكومة البريطانية والدول العربية، مكتبة آفاق، ط2، الكويت 2012م.
(31)القناعي، يوسف عيسى، صفحات من تاريخ الكويت، ط4، مطبعة حكومة الكويت، الكويت 1968م.
(32)الكويت قراءة في الخرائط التاريخية، ط4، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت 2006م.
(33)لوريمر، ج.ج. دليل الخليج ترجمة ديوان حاكم قطر، مطابع علي بن علي، الدوحة، القسم الجغرافي، جـ3.
(34)مالـيري، س. ستانلي ج، الكويت قبل النفط، ترجمة محمد الرميحي، ط3، دار مدارك للنشر، دبي 2012م.
(35)المزيني، أحمد، الكويت وتاريخها البحري أو رحلة الشراع، ذات السلاسل، الكويت 1986م.
(36)المنصور، عبد العزيز، الكويت وعلاقاتها بعربستان والبصرة 1896-1915م، ط2، ذات السلاسل، الكويت 1980م.
(37)ميلكوميان، يلينا، دراسات في تاريخ الكويت الحديث والمعاصر، ترجمة: ماهر سلامة، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت 2011م.

(38)النجـار، مصطفـى، التاريـخ السـياسي لعلاقـة العـراق بالخليـج العربـي، مطبعة جامعة البـصرة، البـصرة 1974م.
(39)الهاجري، عبدالله محمد، تاريخ الكويت الإمارة والدولة، الكويت 2017م.
(40)وهبه، حافظ، جزيرة العرب في القرن العشرين، دار الآفاق العربية.

الهوامش:

(1)ديكسون، ه.ر.ب، الكويت وجارتها، ترجمة فتوح الخترش، ذات السلاسل، ط3، الكويت 2012م، ص 15؛ الشملان، سيف مرزوق، من تاريخ الكويت، ذات السلاسل، ط2، الكويت 1986م، ص 85؛ المنصور، عبد العزيز، الكويت وعلاقاتها بعربستان والبصرة 1896- 1915م، ط2، ذات السلاسل، الكويت 1980م، ص21؛ سلطان، غانم وآخرون، جغرافية الكويت دراسة في الظروف الطبيعية والسكان، ط2، دار المعرفة بالإسكندرية 1997م، ص26.

(2)سالدانها، ج.ج، شؤون الكويت 1896-1914م، ترجمة فتوح الخترش، ط2، ذات السلاسل، الكويت 1990م، ص 9.

(3) الفرحان، راشد، مختصر تاريخ الكويت وعلاقاتها بالحكومة البريطانية والدول العربية، مكتبة آفاق، ط2، الكويت 2012م، ص 51.

(4)الحاتم، عبد الله خالد، من هنا بدأت الكويت، ط3، الكويت 2004م، ص13.

(5)سلوت، ب.ج، نشأة الكويت، ترجمة مركز البحوث والدراسات الكويتية، قدم له: عبد الله يوسف الغنيم، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت 2003م، ص124. وللاستزادة انظر: الكويت قراءة في الخرائط التاريخية، ط4، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت 2006م، ص23.

(6)كارستينيبور، رحالة دانماركي، كان عضواً في البعثة العلمية التي أوفدها ملك الدانمارك عام 1760م إلى شبه الجزيرة العربية، العاني، كريم، الحدود العراقية الكويتية، الوراق للنشر، 2013م، ص40.

(7)براك بن غرير: من أمراء بني خالد، هجم على الحامية العثمانية في الأحساء حتى اضطرهم إلى تسليم البلاد ونودي أميراً عليها. الأحسائي، محمد بن عبد الله العبد القادر، تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على توحيد المملكة العربية السعودية، الرياض 1419هـ، ج1، ص216.

(8)أبو حاكمة، أحمد مصطفى، تاريخ الكويت الحديث 1163-1385هـ/ 1750-1965م، ذات السلاسل، الكويت 1984م، ص 17-18.

(9)الرشيد، عبد العزيز، تاريخ الكويت، دار مكتبة الحياة، لبنان، (د.ت)، ص32.

(10)القناعي، يوسف عيسى، صفحات من تاريخ الكويت، ط4، مطبعة حكومة الكويت، الكويت 1968م، ص 5.

(11) الشملان، من تاريخ الكويت، ص100.

(12) طعمة، خالد، تاريخ الكويت الكبير، ط2، الكويت 2013م، ص 88-89.

(13) الشملان، سيف مرزوق، تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج

العربـــي، جـــ1، ذات السلاســـل، الكويـــت 1986م، ص99؛ الصبـــاح، ميمونـــة الخليفـــة، الكويـــت حضـــارة وتاريـــخ، جـــ1، الكويـــت 1989م، ص 162.

(14)مالـــيري، س. ســـتانلي ج، الكويـــت قبـــل النفـــط، ترجمـــة محمـــد الرميحـــي، ط3، دار مـــدارك للنـــشر، دبـــي 2012م، ص 59.

(15)شـــط العـــرب: يتصـــل بالخليـــج العربـــي مكونـــاً التقـــاءً لنهـــري دجلـــة والفـــرات، ويشـــكل متنفســـاً فســـيحاً للعـــراق. لوريمـــر، ج.ج. دليـــل الخليـــج ترجمـــة ديـــوان حاكـــم قطـــر، مطابـــع علي بـــن عـــلي، الدوحـــة، القســـم الجغـــرافي، جـــ1، ص 121-123؛ البغـــدادي، محمـــد عبـــد الـــرزاق، جغرافيـــة العـــراق الســـياحية، الجامعـــة المســـتنصرية، كليـــة الإدارة والاقتصـــاد، بغـــداد 1412هـــ/ 1991م، ص121.

(16)الشـــمري، خليـــف صغـــير، المســـتودع والمســـتحضر في أســـباب النـــزاع بـــين مبـــارك آل صبـــاح ويوســـف آل إبراهيـــم 1896-1906م، دار نينـــوى، دمشـــق 2008، ص 21 ؛ ســـتانلي ج، الكويـــت قبـــل النفـــط، ص 59،

(17) الشـــمري، المســـتودع والمســـتحضر، 162؛ ميلكوميـــان، يلينـــا، دراســـات في تاريـــخ الكويـــت الحديـــث والمعـــاصر، ترجمـــة: ماهـــر ســـلامة، مركـــز البحـــوث والدراســـات الكويتيـــة، الكويـــت 2011م، ص9.

(18)وهبه، حافظ، جزيرة العرب في القرن العشرين، دار الآفاق العربية، ص77.

(19)ديكسون، الكويت وجارتها، ص29.

(20) ديكسون، زهرة، الكويت كانت منزلي، دار الكاتب العربي، ص74.

(21) إبراهيـــم، عبدالعزيـــز عبدالغنـــي، روايـــات غربيـــة عـــن رحـــلات في شـــبه الجزيـــرة العربيـــة، جـــ3، دار الســـاقي، لبنـــان 2013م، ص55.

(22)لوريمر، دليل الخليج، القسم الجغرافي، جـ3، ص1110.

(23)العاني، الحدود العراقية الكويتية، ص291.

(24)الصبـــاح، ميمونـــة الخليفـــة، الكويـــت حضـــارة وتاريـــخ، جـــ1، الكويـــت 1989م، ص307.

(25)خزعـــل، حســـين خلـــف الشـــيخ، تاريـــخ الكويـــت الســـياسي، جـــ1، دار ومكتبـــة الهـــلال، ص17؛ التركـــي، يوســـف، لمحـــات مـــن مـــاضي الكويـــت، ط2، الكويـــت 1997م، ص105.

(26)النجـــار، مصطفـــى، التاريـــخ الســـياسي لعلاقـــة العـــراق بالخليـــج العربـــي، مطبعة جامعة البـــصرة، البـــصرة 1974م، ص205.

(27)الخالـــدي، إبراهيـــم حامـــد، دخلنـــا بلـــداً يقـــال لهـــا الكويـــت، مطابـــع القبـــس، الكويـــت 2011م، ص127 .

(28)النجار، التاريخ السياسي لعلاقات العراق الدولية بالخليج العربي، ص207.

(29)رونكيير، باركلي، عبر الأراضي الوهابية على ظهر جمل، ترجمة: منصور الخريجي، ط2، مكتبة العبيكان، الرياض 2003م، ص84.

(30) أسكلة: رصيف يمتد إلى داخل البحر لرسو القوارب والسفن. خالد عبدالقادر، الرشيد، موسوعة اللهجة الكويتية، الكويت 2009م، ص30؛ ويقصد به المرفأ.

(31)سلوت، نشأة الكويت، ص 120.

(32)الهاجري، عبدالله محمد، تاريخ الكويت الإمارة والدولة، الكويت 2017م، ص319.

(33)الرشيد، تاريخ الكويت، ص62. ومن ذلك ما ورد في قصة الدكتور آيفز عام 1758م، ويفهم منها أن القبائل النازحة من الكويت إلى حلب كانت على علاقة وطيدة مع صباح الأول، وعهد لتلك القبائل بضمان سلامة آيفز إذا قرر التوجه إلى حلب عن طريق الكويت. عبدالله الهاجري، محمد العنزي، مدخل إلى تاريخ الكويت الحديث والمعاصر، ط3، الكويت 2011م، ص47.

(34)أحمد بن محمد رزق، ولد في الكويت عام 1725م، وعُدّ من كبار أعيانها، وتجارها، ومحسنيها. تنقل بين الكويت، والبحرين، والزبارة، والبصرة. عن سيرته كتب الشيخ عثمان بن سند كتاباً في ترجمته أسماه سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد. الرشيد، تاريخ الكويت، ص62-63.

(35)إبراهيم، حسنين توفيق، الكويت من الإمارة إلى الدولة، ص43.

(36)إبراهيم، عبدالعزيز عبدالغني، روايات غربية، ص55.

(37)القناعي، يوسف عيسى، صفحات من تاريخ الكويت، ط4، مطبعة حكومة الكويت، الكويت 1968م، ص32.

(38)الرشيد، تاريخ الكويت، ص64-65؛ المنصور، عبد العزيز، الكويت وعلاقاتها بعربستان والبصرة 1896- 1915م، ط2، ذات السلاسل، الكويت 1980م، ص56.

(39)الإبراهيم، حسن علي، الكويت دراسة سياسية، الكويت، ص 110.

(40)الدرورة، علي إبراهيم، تجارة الخيل في الكويت، مجلة الوثيقة، مجلد 23، العدد 46، يوليو 2004 البحرين، ص 146- 147.

(41)القناعي، صفحات من تاريخ الكويت، 62.

(42)الحجي، يعقوب يوسف، النشاطات البحرية القديمة في الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت 2007م، ص25.

(43) الحجي، يعقوب يوسف، صناعة السفن الشراعية في الكويت، مركز البحوث والدراسات الكويتية، الكويت 2007م، ص255.

(44)الرشيد، تاريخ الكويت، ص73.
(45) الحجي، صناعة السفن الشراعية، ص-25 153-161.
(46) المزيني، أحمد، الكويت وتاريخها البحري أو رحلة الشراع، ذات السلاسل، الكويت 1986م ، ص84.
(47)لوريمر، دليل الخليج، ق.جـ. جـ4، ص1310؛ الشملان، سيف مرزوق، تاريخ الغوص على اللؤلؤ، ص263-264.
(48)الدوسري، عبدالرحمن علي، أوليّات كويتية، دار سلمى للنشر، 1996م، ص62.
(49)غانم، سلطان، جوانب من شخصية الكويت، مؤسسة علي الصباح للنشر، الكويت 1990م، ص31.
(50)إبراهيم، الكويت من الإمارة، ص50
(51)الحجي، صناعة السفن الشراعية، ص29.
(52)الشملان، تاريخ الغوص على اللؤلؤ، ص 262؛ المنصور، الكويت وعلاقتها، ص36.
(53)لوريمر، دليل الخليج، ق.جـ، جـ6، ص-3189 3190، إبراهيم، الكويت من الإمارة إلى الدولة ، ص ص 48-50.
(54)إبراهيم، الكويت من الإمارة إلى الدولة، ص48-49؛ المنصور، الكويت وعلاقتها، ص21.
(55)إذا كانت كل المصادر تتفق على الفئات العاملة في مهمة الغوص والتي تم ذكرها في المتن، فإن هناك مصادر تضيف إلى الفئات السابقة ثلاثة أشخاص، كان لكل منهم دور على ظهر السفينة، وهم: الجعدي وهو الذي ينوب عن النوخذة، والمقدمي وهو رئيس البحارة المسؤول عن العمل في السفينة، والرضيف وهو الذي يقوم ببعض الأعمال الخفيفة على السفينة. للمزيد: الشملان، تاريخ الغوص، ص271-272.

ملامح من مخلفات الاستعمار الفرنسي في لبنان (1920 -1943م)

أ.سليمان بن إبراهيم آل قيس الشاردي

طالب دكتوراة- قسم التاريخ -كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة أم القرى
المملكة العربية السعودية

المستخلص:

إن موضوع الدراسة حول أهم المخلفات التي تركها الاستعمار الفرنسي في لبنان (1920-1943م)، يلقي الضوء على هذه المخلفات مع لمحة لأهم الإيجابيات والسلبيات مع بيان رأي الباحث حول هذا الموضوع. وقد شملت هذه المخلفات عدت مجالات منها المجال السياسي، والقضائي، والاقتصادي، والثقافي، كما قد تباينت ردود الفعل على هذه المخلفات بين مؤيد ومعارض، فنرى أنصار القومية العربية من أشد المعارضين والمتضررين من هذا الاستعمار، على حين نرى أن هناك تأييدًا واستفادة من هذا الاستعمار من قبل الموارنة وبعض المسيحين.وقد تفاوتت المخلفات الاستعمارية بين السلبية والايجابية، لكل مجال على حدة، فنجد من النواحي السلبية تكريس المزيد من الانقسام داخل المجتمع اللبناني بتقوية الطوائف الضعيفة، وتسليمها المناصب الإدارية في الدولة، واستخدام المجال الثقافي في نزع الهوية الإسلامية والعربية وأبعاد لبنان عن محيطه، أما النواحي الإيجابية فتمثلت في الجانب الاقتصادي بتطويره، وإدخال التقنية، والخروج من حالة الكساد التي سادت فن نهاية الحكم العثماني، لكن هذه الإيجابية كانت تخدم في المقام الأول الاستعمار الفرنسي. وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التاريخي، والمنهج التحليلي، وكذلك المنهج الوصفي، فكان استخدام المنهج التاريخ لأننا نؤرخ لفترة هامه من ماضي المنطقة والذي له دور مفصلي في الاحداث التي نمر بها في وقتنا الحاضر، كما استخدمت المنهج التحليلي في دراسة وتحليل محتويات ونصوص هذه الدراسة، أما المنهج الوصفي فجاء لوصف بعض الاحداث التي مرت بها لبنان إبان الاستعمار الفرنسي لها.

الكلمات المفتاحية: الاستعمار، الفرنسي، لبنان، الانتداب، فرنسا

Abstract:

The theme of the study on the most important remnants left by French colonialism in Lebanon (19201943-) sheds light on these residues with a glimpse of the most important pros and cons with the

researcher's opinion on this subject. These remnants have included, among other areas, the political, judicial, economic and cultural spheres, and reactions to these remnants have varied between supporters and opponents, we see supporters of Arab nationalism as strong opponents and those affected by this colonialism, while we see support and benefit from this colonialism by maronites and some Christians. The colonial remnants varied between negative and positive, for each area, and in negative terms we find that further division within Lebanese society is perpetuated by strengthening vulnerable communities, handing over administrative positions in the State, using the cultural sphere to remove Islamic and Arab identity and keeping Lebanon away from its surroundings, while the positive aspects were the economic aspect of its development, the introduction of technology and the exit from the depression that prevailed at the end of Ottoman rule, but this positivity primarily served French colonialism. The use of the method was history because we date an important period of the region's past, which has a pivotal role in the events we are going through today, as well as the analytical approach in studying and analysing the contents and texts of this study.

Keywords: Colonialism, French, Lebanon, Mandate, France

المقدمة:

مـا مـن شـك أن الاسـتعمار الفرنـسي لـه طبيعـة خاصـة في توجهاتـه ونظمه، التـي تختلـف كثـيرًا عـن الاسـتعمار الإنجليـزي أو حتـى الإسـباني والبرتغـالي، حيـث تسـتعمر فرنسـا الدولـة اسـتعمارًا ثقافيًـا واقتصاديًـا واجتماعيًـا قبـل أن تسـتعمرها سياسـيًا وعسـكريًا، في محاولـة منهـا أن تصبـح مسـتعمراتها امتـدادًا للوطـن الأم، وعـلى ضـوء ذلـك يمكـن القـول أن الانتـداب الفرنـسي في لبنـان (1920-1943م)، لـم يكـن كالحكـم العثمانـي الـذي ظـل يحكـم سـوريا ولبنـان عـلى مـدار أكثـر مـن ثلاثـة قـرون، حيـث نـرى أثـر الانتـداب الفرنـسي واضحًـا في التعليـم، واللغـة، والثقافـة، والسياسـة.

فقـد أثـار الانتـداب الفرنـسي عـلى لبنـان ردود فعـل متباينـة بـين مؤيـد

ومعارض، سواء داخل لبنان أو في أوروبا، حيث لم يكن للانتداب الفرنسي رده فعل واحده أو وجهة نظر واحدة في كل لبنان، الأمر الذي يجعلنا أمام تساؤل مهم: كيف يمكننا تقييم مخلفات الانتداب الفرنسي في لبنان؟ وعلي أي منهج نعتمد؟

في الحقيقة أن الانتداب الفرنسي لا يمكن تقييمه من جانب واحد أو من وجهة نظر فريق واحد، إذ أن لكل فريق مصالحه التي قد تتفق أو تختلف مع الانتداب وما فرضه من نظم وقيود، فأنصار القومية العربية على سبيل المثال هم أول المتضررين من فرض الانتداب الفرنسي على لبنان، بينما استفاد منه الموارنة وبعض المسيحيين الآخرين، إذ أن لكل فريق مصالحه التي قد تتفق أو تختلف مع الانتداب وما فرضه من نظم وقيود، فأنصار القومية العربية على سبيل المثال هم أول المتضررين من فرض الانتداب الفرنسي على لبنان، بينما استفاد منه الموارنة وبعض المسيحيين الآخرين، وفي هذا البحث محاولة للتعرف على أهم المتغيرات التي أحدثها الانتداب الفرنسي في لبنان (1920-1943م) دونما الخوض كثيرًا في تفصيلات حدوث الانتداب الذي كتب عنه كثيرًا. وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التاريخي، والمنهج التحليلي، وكذلك المنهج الوصفي، فكان استخدام المنهج التاريخ لأننا نؤرخ لفترة هامه من ماضي المنطقة والذي له دور مفصلي في الاحداث التي نمر بها في وقتنا الحاضر، كما استخدمت المنهج التحليلي في دراسة وتحليل محتويات ونصوص هذه الدراسة، أما المنهج الوصفي فجاء لوصف بعض الاحداث التي مرت بها لبنان إبان الاستعمار الفرنسي لها.

التدخلات الفرنسية قبل الحرب العالمية الأولى:

لم يكن مشروع فرنسا لفرض سيطرتها على سوريا الكبرى وليد اللحظة او حتى جاء التفكير فيه أثناء الحرب العالمية الأولى، بل كانت فرنسا قبيل تسعى لمحاولة التدخل في الشأن اللبناني محاولًا تأييد الموارنة في جبل لبنان وفرض حمايتها عليهم وتأييدهم.

حيث بدأت فرنسا تتطلع إلى لبنان وتتدخل في شئونه منذ أحداث عام 1860م، حيث سرت الفتنة الطائفية في كلًا من سوريا ولبنان وقتل الكثير من المسيحيين في دمشق، الأمر الذي أقلق الكثير من الدول وعلى رأسهم فرنسا فتدخلت لحماية الموارنة في جبل لبنان من بطش الدروز والباشوات الأتراك، حيث وضع نظام حامية بكفالة دولية، ووضعت مسودة النظام الجديدة في عام 1861م، واتخذ شكله النهائي في سبتمبر 1864م وظل قائمة حتى الحرب العالمية الأولى وتحديدًا حتى عام 1915م[1]

بهذا النظام تمكنت فرنسا وغيرها من الدول من السير بلبنان على درب الطائفية والخروج من القومية، فجبل لبنان له استقلالية خاصة ويخضع لحماية فرنسية بصفة خاصة حتى وإن كان جزءًا من سوريا الكبرى وخاضعًا للسيادة العثمانية.

تدهور أوضاع لبنان في الحرب العالمية الأولى:

عانت لبنان كثيرًا في نهاية الحكم العثماني حتى إننا نستطيع القول إن تقييم الوضع في لبنان هذه الفترة بأنه كان وضعًا مأساويًا بكل المقاييس وعلى كافة الأصعدة، ولعل بعض ما عانته لبنان يعود إلى عدم ثقة العثمانيين في مسحيي لبنان بصفة خاصة وهو الأمر الذي عان منه اللبنانيين كثيرًا.[2]

في نوفمبر عام 1915م ألغت السلطات التركية في لبنان الحكم الذاتي لجبل لبنان واصبح سنجق عادي يُحكم مباشرة بالحكم التركي، الامر الذى قضى على الشخصية المستقلة لجبل لبنان والتي كانت واقعة منذ عام 1864م. وفي عام 1917م ألغت السلطات القضائية الممنوحة لرؤساء للملل المختلفة؛ مما أدى إلى فقدانهم لمراكزهم الاجتماعية القديمة، واحتكامهم في أمورهم الخاصة إلى دين وقضاء لا يدينون به، أضف إلى ذلك تدهور العملة التي أصبحت غير مقبولة وعديمة القيمة؛ الأمر الذي يعني أن الاقتصاد المحلى دمُر، هذا مع دمار المحاصيل الزراعية نتيجة هجوم الجراد عام 1915م.[3]

أما منطقة الساحل وجبل لبنان بصفة خاصة فقد شهدت تدهورًا كبيرًا منذ الساعات الأولى لإعلان الحرب، حيث كان الساحل يعتمد على السفن التي تجيء إليه بحرًا حاملة معها كل ما يحتاجه، فما إن انقطعت عنه السفن وانخفضت المساعدات القادمة من الخارج وأصبح الساحل في عزلة شبه تامة، وعاش لبنان مجاعة مقفرة، وفرض على شبابه التجنيد الإجباري، وانطفأت الأنوار، وقيدت التحركات، هكذا بدأت لبنان في حالة من المجاعة وفي نفس الوقت تزايد الشكوك من القادة الأتراك تجاه المسيحيين وتصاعد العنف ضدهم حتى وصف الأمر من بعض القيادات المسيحية بأنه «إبادة مقصودة»، حيث فقد الجبل خُمس سكانه تقريبًا إبان تلك الفترة نتيجة المجاعة، ومن لم يمت بالمجاعة فلم يكن دواءه وعلاجه متيسرًا فعاش هزيلًا في مهب الرياح.[4]ومما يؤكد تدهور الأوضاع في ظل الحكم العثماني إبان فترة الحرب العالمية الأولى هو إنه حينما دخلت القوات البريطانية والفرنسية إلى بيروت في نهاية عام 1918م، بدت أثار النكبة واضحة، مما اضطرهم القوات البريطانية إلى توزيع الغذاء والملابس من مؤنهم، وسارعت فرنسا وقامت بنفس العمل، حيث وزع الآباء اليسوعيين الطعام بنصف الثمن أو بالمجان تمامًا

حيث قاموا بشراء سواء من المتعهدين المحليين الذين كانوا يخزنون الطعام في مخازنهم بينما الشعب يتضور جوعًا أو باستيراده من الخارج، كما أوت الموزعين والمشردين والأطفال حيث أسسوا 16 ملجأ ضمت 1300 طفل خلال الفترة 1918-1919م.[5]

الاتفاقيات دولية لفرض الانتداب الفرنسي على لبنان :

اتفاقية سايكس بيكو:

كانت الخطورة الأولى عن طريق فرض السيطرة الفرنسية على لبنان هي الاتفاقية التي وقعتها فرنسا مع كلًا من بريطانيا وروسيا القيصرية عام 1916م والتي عرفت باتفاقية سايكس – بيكو، وعلى الرغم من إنها كانت اتفاقية سرية إلا أن قيام الثورة البلشفية وسقوط روسيا القيصرية قد أفشي سر الاتفاقية[6]. وقد تم التوصل إلى هذه الاتفاقية عبر مراسلات سرية بين الدبلوماسي الفرنسي فرنسوا جورج بيكو والبريطاني السير مارك سايكس، وصدق على الاتفاقية في مايو 1916م، وبموجب الاتفاقية قسم المشرق العربي إلى خمسة مناطق، ثلاثة منها ساحلية، واثنتان داخلية، ولونت المناطق الساحلية بالأحمر والأزرق الأسود، أما المنطقتان الداخليتان فقد تركتا بلا لون وعرفت باسم المنطقة «أ " والمنطقة "ب « [7]. وهكذا رأت فرنسا في الحرب العالمية الأولى وفي مسار الأحداث أن الفرصة مواتية من أجل تحقيق حلمها وفرض سيادته على سوريا الكبرى، وبناء على ذلك سارعت فرنسا لتعقد اتفاقًا مع كلُا من بريطانيا، وروسيا القيصرية وقد نصت الاتفاقية على:[8]

- استيلاء فرنسا على غرب سوريا ولبنان وولاية أضنة.
- استيلاء بريطانيا على منطقة جنوب وأواسط العراق بما فيها مدينة بغداد، وكذلك ميناء عكا وحيفا في فلسطين.
- استيلاء روسيا على الولايات الأرمنية في تركيا وشمال، واعترفت المعاهدة كذلك بحق روسيا في الدفاع عن مصالح الأرثوذكس في الأماكن المقدسة في فلسطين.

المنطقة المحصورة بين الأقاليم التي تحصل عليها فرنسا، وتلك التي تحصل عليها بريطانيا تكون اتحاد دول عربية أو دول عربية موحدة، ومع ذلك فإن هذه الدولة تقسم إلى مناطق نفوذ بريطانية وفرنسية، ويشمل النفوذ الفرنسي شرق سوريا وولاية الموصل، بينما النفوذ البريطاني يمتد إلى شرق الأردن والجزء الشمالي من ولاية بغداد وحتى الحدود الإيرانية.

يخضع الجزء الباقي من فلسطين لإدارة دولية.

يصبح ميناء الإسكندرونة حرًا.[9] وعلى الرغم من إن الاتفاقية تجاهلت

الشعور القومي في سوريا ولدى القوميين العرب في لبنان، والعراق وفرضت عليهم نظامًا وسلطة أجنبية لا تلبي رغباتهم، كما تجاهلت الاتفاقية مراسلات الحسين - مكماهون الذي تعهدت فيه بريطانيا للملك حسين بدولة عربية تشمل سوريا، إلا إن الاتفاقية سمحت لفلسطين أن تكون تحت سيادة دولية لحين تقرير مصيرها "وعلى الرغم من ذلك فإن بريطانيا لم تف بهذا التعهد إلا أن الفكرة نفسها كانت مطروحة على مائدة المفاوضات". [10]

مؤتمر الصلح (فرساي 18 ديسمبر -1919 21 يناير 1920م):

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى سعت الدول المنتصرة إلى تقسيم أراضي الدولة العثمانية، وفي هذا المؤتمر استطاعت فرنسا أن تؤيد مطامعها بفرض انتدابها على سوريا ولبنان من خلال ارسال أنصارهم إلى المؤتمر وهي اللجنة السورية المركزية برئاسة شكري غانم، التي قالت بأنها تتحدث باسم كل سوريا ولبنان وطالبت بدولة سورية ذات حدد واسعة تحت انتداب فرنسي، وعارضت فكرة ضم لبنان إلى الدولة العربية، داعيًا تدعو للوحدة السورية تحت الحماية الفرنسية.[11] ونصت اتفاقية فرساي على الاعتراف المؤقت بسلطة الدول المنتدبة على الأراضي التابعة فيما سبق للدولة العثمانية، مع الأخذ في الاعتبار رغبات الدول المنتدبة مع تحديد لجنة لاستطلاع رأي الشعب، وعلى الرغم من انسحاب الدول من هذه اللجنة إلا أن الولايات المتحدة أرسلت لجنة برئاسة كنع - كراين واستمتعت لكل الآراء باعتبارها دولة محايدة.[12]

وفي لبنان انقسم الرأي العام على نفسه كلًا منهم يسعى لتحقيق مأربه، فما بين الانتداب الفرنسي أو الوحدة مع سوريا أو حتى الانفصال التام تبعثرت آراء اللبنانيين وتاهت إرادتهم، فقد أيد الموارنيين والروم الكاثوليك وجبل لبنان والقطاع الغربي الانتداب الفرنسي[13]، أما بيروت فأيدت انتداب أمريكي أو بريطاني، وانقسم الكاثوليك على أنفسهم، بينما ايدت الأغلبية المسلمة وحدة سوريا بدون انتداب وصدر قرار الانتداب في 28 فبراير 1920م[14]ويعقب لونغريغ على الاتفاقيات قائلًا: «أن المجتمعين في كل الاجتماعات مثل فرساي ويان ريمون لم يكن يملكون حرية مطلقة في صياغة المعاهدات، فقد تحايلوا عليه واستبدل الاحتلال بالانتداب»[15].

لبنان تحت الانتداب الفرنسي:

بعدما تهيأ الرأي العام الدولي لقبول الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان لم يكن أمام فرنسا إلا أن تطرد الشريف حسين من سوريا وتقهر القوميين العرب في لبنان وتأسس للانتداب. وفي مارس عام 1920 أعلن الجنرال الفرنسي هنري جوزيف اوجين غورو (Henri. J. Gouroud) إنهاء الإشراف الفرنسي ليحل

بـدلًا منـه الإدارة المبـاشرة وبـدأت فرنسـا تعيـد ترتيـب لبنـان إداريًـا. [16]

ثـم تـلى ذلك خطـوة أخـيرة لتكمـل فرنسـا سـيطرتها عـلى لبنـان والتـي جاءت في 31 أغسـطس 1920م حينمـا اصـدر المفـوض السـامي الفرنـسي غـورو مرسـومًا بإنشـاء دولـة لبنـان الكبـير يحكمهـا حاكـم فرنـسي، وقسـم لبنـان إلى 4 سـناجق هـي (لبنـان السـاحلي، البقـاع، جبـل لبنـان، لبنـان الجنوبـي) بينما منحـت بـيروت وطرابلس وضعًـا خاصًا.[17] وهكـذا أضحـت لبنـان منـذ عـام 1920م وحتـى عـام 1943م تحـت الانتـداب الفرنـسي، وتوالـت الحكومـات والرؤسـاء والمندوبـين الفرنسـيين، وتضاربـت الاتجاهـات داخـل لبنـان مـا بـين مؤيـد ومعـارض لوجـود فرنسـا وسياسـتها، ولـن نخـوض في هـذا الأمـر وإنمـا سـننتقل إلى تقييـم مخلفـات الانتـداب الفرنـسي في لبنـان.

مخلفات الاستعمار الفرنسي في لبنان:

المجال السياسي:

منـذ البدايـة سـعت فرنسـا إلى اتبـاع سياسـة «فـرق تسـد» وهـي السياسـة التـي تنكـر فرنسـا إنهـا تعاملـت بهـا في لبنـان، حيـث وجـد الفرنسـيين أنفسـهم أمام مجتمـع طائفـي بامتيـاز فالمجالـس النيابيـة والسياسـية موزعـة حسـب الطوائـف اللبنانيـة ولـم يكـن أمـام فرنسـا أن تفعـل شيء لتلغـي هـذا الأمـر الواقـع فمـا كان منهـا إلا أن أبقتـه كمـا هو.[18] وتتضـح اختـلاف التوجهـات اللبنانيـة في التعامـل مـع مسـألة القوميـة اللبنانيـة ذاتهـا وتطورهـا منـذ اللحظـة الأولى لفـرض الانتـداب الفرنـسي، حيـث بـدأ ضغـط التيـار العربـي اللبنانـي الداعـي لضـم لبنـان إلى سـورية وأيـد هـذا التيـار المسـلمين السـنة عـلى وجـه الخصـوص، بينمـا كانت فرنسـا تـرى أن مـن مصلحتهـا إيجـاد أو خلـق كيـان سـياسي مسـيحي للبنـان منفصـل عـن سـورية، تمهيـدا لتقسـيم لبنـان ذاتهـا إلى دويـلات طائفـي، ولتحقيـق ذلـك اسـتعانوا بتنظيمات وشـخصيات سياسـية ومجتمعيـة ودينيـة ذات توجـه لبنانـي مسـتقل مـن الطائفـة المارونيـة لمواجهـة التيـار الوحـدوي مـع سـورية، المنتـشر بـين أوسـاط الجماهـير والنخـب الإسـلامية عـلى وجـه العمـوم في مـدن السـاحل وداخـل البـلاد، ولإقامـة دولـة لبنانيـة موسـعة تسـتخدم للضغـط عـلى الحكومـة العربيـة في دمشـق[19] وقـد تبلـورت هـذه السياسـة حينمـا ثـار أنصار الملـك فيصـل «الفيصليـون» عـام 1920م في دمشـق وأيدهـم مسـلمو لبنـان في جبـل عامـل والبقـاع، وعـلى أثـر ذلـك حدثـت أعمـال عنـف في لبنـان، سـمح الفرنسـيون خلالهـا بتكويـن عصابـات في لبنـان لإثـارة الاضطرابـات وتأجيـج الخلافـات الطائفيـة في المنطقـة الشرقيـة، فقامـت الفتـن الطائفيـة بـين المسـلمين وبـين الموارنـة الذيـن يسـكنون بينهـم في عـدد كبـير مـن القـرى، كمـا قـام المفـوض السـامي الجنـرال غـورو بتشـجيع الدعـوة اللبنانيـة الاسـتقلالية ونـشر بـذور «الفكـرة الفينيقيـة» بـين الموارنـة[20].

هـذا الـرأي هـو الـرأي الغالـب بـين القوميـين العـرب والعديـد مـن الباحثين الشرقيـين حتـى اليـوم بينمـا يوجـد اتجـاه آخـر لبنانـي – فرنـسي يـرى أن لفرنسـا أيـادي بيضـاء في الفكـر السـياسي اللبنانـي، حيـث يـرى أصحاب هـذا الاتجاه لفرنسـا فضـل في الجهـود التـي بذلتهـا في تخريـج جيـل متعلـم ذو وعـي ثقـافي، فقـد «تمكـن هـؤلاء المثقفـين أو بتعبـير أدق المفكريـن، مـن بلـورة مـشروع النهضـة العربيـة، الـذي حمـل الزخـم في فـترة مـا بـين الحربـين، مـن الحركـة القوميـة العربيـة حتـى العقـد الـذي تـلا الاسـتقلال، وكانـت فـترة مـا بعـد الاسـتقلال (1943) اسـتمرارًا للعمـل الـذي تـم في إطـار الانتـداب وعـززت هيـكل هـذه الدولـة، وفقًـا للتطلعـات الوطنيـة للـرأي العـام وأهـداف الانتعـاش والابتـكار والحداثـة، ففـي زمـن تركيـا لـم تكـن هنـاك دولـة، وفي زمـن فرنسـا سـارت لبنـان إلى فكـرة الدولـة الواحـدة»[21].

ومـن الملاحـظ أن رؤيـة المسـلمين تغـيرت مـن خـلال تخليهـم عـن فكـرة الوحـدة السـورية ومطالبتهـم بهـا، ومـن جيـة أخـرى أخـذ المسـيحيون يطالبـون بالاسـتقلال ويتخلـون عـن فكـرة الانتـداب ويتضـح ذلـك مـن خـلال المسـلمين بقيـادة ريـاض الصلـح والموارنـة بقيـادة بشـارة وتمكنـوا مـن تحقيـق اسـتقلال لبنـان فيمـا أطلـق عليـه الميثـاق الوطنـي الـذي تـم بـين الزعيمـين وأهـم مبادئـه:

استقلال لبنان استقلالًا تامًا، ورفض أي من الحماية الأجنبية.

لبنان ذو توجه عربي تربطه بالبلدان العربية روابط التعاون والأخوة.

التعاون الكلي بين اللبنانيين على اختلاف ميولهم.[22]

فمـا بـين الرأيـين نسـتطيع القـول أن لبنـان كانـت طائفيـة قبيـل الانتـداب الفرنـسي وظلـت طائفيـة اثنـاءه وبعـده وإلى اليـوم، ولـم يكـن في اسـتطاعة فرنسـا أو الدولـة العثمانيـة مـن قبلهـا أو محمـد عـلي مـن قبلهـم أو أي دولـة أخـرى أن تلغـي طائفيـة لبنـان فلبنـان طائفيـة حتـى النخـاع، ولكـن يمكـن القـول أن الانتداب سـاعد بالفعـل عـلى تحقيـق نوعًـا ممـن الترابـط والتكافـل ولـو كان مؤقتًـا وفي نهايـة الانتـداب تبلـور هـذا في اتفـاق المسـلمين والمسـحيين عـلى إنهـاء الانتـداب وتخلي المسـلمين عـن حلـم الدولـة العربيـة الموحـدة.

المجال القضائي:

كان أول قـرار اتخذتـه السـلطات الفرنسـية هـو تجاهـل القانـون العثمانـي الـذي حـرم رؤسـاء الطوائـف مـن ممارسـة سـلطاتهم القضائيـة، حيـث أعيـدت لهم امتيازاتهـم القديمـة، وواصلـت المحاكـم الشرعيـة أعمالهـا، وأنشـأت نقابـة المحامـين اللبنانيـين، ونظمـت السـجلات القضائيـة، وأنشـأت محكمـة تجاريـة في بـيروت وثلاث محاكـم للاسـتئناف في بعبـدا والاسـكندرونة.[23]

أمـا بالنسـبة للمسـلمين فقـد ظـل المذهـب الحنفـي القاعـدة للمذهـب السـني الـذي كمـا كان في العهـد العثمانـي، ولفـرض السـيطرة عليهـم اسـتحدث منصـب

المفتي الأكبر حتى لا يتطلع السنة إلى العرب خارج لبنان، وشجع الفرنسيون الشيعة على تعزيز فقههم وإنشاء محاكم خاصة بهم، وأنشأت محاكم لشيعة تطبق الفقه الشيعي[24]-

من الملاحظ في المجال القضائي أن فرنسا عملت على تعميق فكرة استقلالية كل مذهب عن الآخر بحيث يمكنها أن تستقوى بأحد هذه الطوائف إذا ما استدعت الضرورة إلى ذلك.

المجال الاقتصادي:

لقد دأب الفرنسيون على إلحاق اقتصاد الدول المستعمرة بالاقتصاد الفرنسي هيكليًا ونقديًا[25]، عانت لبنان من تدهور اقتصادي كبير عشية فرض الانتداب عليها وكان على فرنسا أن تبذل جهودًا حثيثة لتعزيز الاقتصاد اللبناني وفي ضوء ذلك استبدلت العملة التركية التي تدهورت للغاية بالعملة المصرية، ثم أصدرت عملة سورية لبنانية عام 1920م[26].

عمل الانتداب على تحقيق أكبر قدر ممكن من الاكتفاء الذاتي للبنان وهو ما تبلور خلال الفترة من 1931م وحتى عام 1937م، أما الصادرات فقد ارتفعت من 7 مليون فرنك سنة 1921 م إلى 892 مليون فرنك سنة 1938، وارتفع الواردات من 600 مليون عام 1921 إلى 1687 مليون عام 1938م.[27]

وبنظرة متأنية نجد أن الانتداب الفرنسي استطاع أن يكون شخصية اقتصادية للبنان، تبينت معالمها في وجود عملة لبنانية لأول مرة في تاريخ لبنان، كما زادت الصادرات بنسبة 127% بينما لم تزد الواردات إلا بنسبة 2.8% فقط الأمر الذي يعني تطور كبير في المجال الاقتصادي اللبناني أثناء فترة الانتداب الفرنسي مقارنًا بفترة الحكم العثماني[28]، مع ذلك كله نجد أن هذا التطور الاقتصادي يصب في الدرجة الأولى في خدمة الاستعمار الفرنسي[29]

المجال التعليمي:

يُعد التعليم هو المجال الثاني الأكثر استفادة بعد الاقتصاد، حيث سعت السلطات الفرنسية إلى تحديث التعليم وتوجيه للاستفادة منه في خدمة توجهاتها ومصالحها وهو ما انعكس بالإيجاب والسلب في نفس الوقت على المجتمع اللبناني كلًا حسب توجهاته.

المدارس:

بمجرد دخول فرنسا إلى بيروت أعادت فتح المدارس الفرنسية التي أغلقت السلطات العثمانية أبوابها من قبل، حيث خصص جورج بيكو للطوائف مليون ونصف فرانك لإعادة فتح المدارس، حتى بلغ عدد المدارس التي افتتحت عام 1919م 668 مدرسة، وفي عام 1920م بلغت 820 مدرسة، ثم

زادت في عام 1921م إلى 993، وفي عام 1939م بلغت عددها 1341 مدرسة، أما عن التعليم الحكومي فلم يلق نفس الاهتمام من سلطات الانتداب حيث بلغت المدارس الرسمية 113 مدرسة فقط وفي مقابل زيادة الدعم للتعليم الخاص الفرنسي قل الدعم التعليم الرسمي بنسبة 8.3 % في عام 1943م.[30]

أما عن نسبة الأمية فقد اهتم الانتداب بالتعليم بين الطوائف المسيحية لاسيما في جبل لبنان حتى ينخرطوا في السلك الإداري ويطلعوا بمهام الانتداب؛ فبينما كانت نسبة الأمية في لبنان عام 1932م 54%؛ فإن نصيب الكاثوليك منها كانت 39 %، والموارنة 48%، أما عند السنة 66%، وأخيرًا بلغت النسبة عند الشيعة 83 %، وفي أواخر عهد الاحتلال 1942 – 1943م قلت النسبة بحيث أصبحت 31.5 عند الكاثوليك، 35% عند الدروز، وعند السنة 47% أخيرًا الشيعة 68.9 %.[31]

كما حظي تعليم البنات باهتمام متصاعد في لبنان فبينما كان للبنات مدرسة واحدة عام 1921م، فإنه في 1932 ارتفع عدد مدارس البنات إلى 37 مدرسة[32]، الأمر الذي أسهم في تشكل جيل من المثقفين من خريجي مدارس الإرساليات ومعاهدها أو من خريجي المدارس الوطنية والجامعة السورية، بالإضافة إلى خريجي الجامعات الفرنسية، وجيل المثقفين هذا أسهم في إرساء أسس الدولة الحديثة اللبنانية بعد الاستقلال 1943م، ولا تزال أجيال ذلك العهد تتذكر جدّية ودقّة وصرامة التعليم في العهد الفرنسي، الذي خلق أجيالًا ذات ثقافة عميقة وواسعة تجيد اللغتين العربية والفرنسية.[33]

مما عمد بالفرنسيين الى تجريد التعليم من محتواه الوطني، بضرب مراكز اللغة العربية وإيجاد مناهج تساعد على وضع الأجيال تحت رحمة التأثير الثقافي، ذلك بجعل اللغة الفرنسية لغة رسمية، وإلزامية لأطفال المدارس الابتدائية، كما جعل المستعمر لثقافة الفرنسية مركز الصدارة على حساب بقية الثقافات[34]

وبالمجمل يمكننا القول أنه كان للانتداب الفرنسي أثر بالغ عم وضع التعليم في لبنان الكبير، حيث كان مثالًا صارخا لوجود التفرقة بين لبنان القديم ولبنان الكبير، فبعد توسع فرنسا في جبل لبنان أخذت تعمل على تعطيل مسيرة التعليم الرسمي الإسلامي، باعتباره يوحد بين الاتجاهات والميول السياسية، مما أدى إلى انخفاض عدد المدارس الرسمية في الفترة الممتدة ما بين-1920 1939 من 991 مدرسة إلى 700 مدرسة مما أدى إلى انخفاض أعداد التلاميذ، وفي نفس الوقت تعاونت سلطات الانتداب مع اليسوعيين وغيرهم لتعزيز التعليم الخاص واعتمدت على خريجي هذه المدارس من المسيحيين

لشغل المناصب الإدارية مما أثر سلبيًا على الوعي الثقافي الإسلامي وعمق الازدواجية الثقافية الفكرية داخل المجتمع اللبناني، وجعل التعليم أداة طيعة في أيدي الانتداب لتعزيز المجتمع الطائفي[35].

اللغة:

اعتبرت اللغتين الفرنسية والعربية لغتي رسمية إجبارية في المدارس الرسمية، حيث كانت الامتحانات تجري طبقا لمنهج المدارس الخاصة؛ مما يعني أن الرياضيات والعلوم وأحيانًا التاريخ والجغرافيا والحساب كان يتم امتحانهم باللغة الفرنسية؛ مما ترتب عليه ضرورة تدريسهم باللغة الفرنسية حتى المدارس الرسمية لمواكبة الامتحانات، الأمر الذي أدى إلى تعزيز اللغة الفرنسية والثقافة الفرنسية وعزل الشباب عن محيطهم الجغرافي والثقافي والإسلامي.[36]

وبطبيعة الحال فأن أي دولة ترغب في تعميق الاستفادة من لغتها وفرنسا تحديدًا دولة ثقافية بامتياز تعمل نشر لغتها الأم، ولكن الملاحظ هنا لم تعمل على إلغاء اللغة العربية أو اللغة المحلية كما حدث في الدول الإفريقية وشمال إفريقيا مع الدول العربية، فحقًا تضررت اللغة العربية، ولكنها ظلت حية، وفي مقابل ذلك انتعشت اللغة الفرنسية وثقافتها بين أبناء الوطن اللبناني.

المجال الإداري:

بمجرد فرض الانتداب الفرنسي وإعلان لبنان الكبير زادت الرقعة الجغرافية لمساحة لبنان وأصبحت 10452 كم2، واكتسب لبنان مساحات زراعية جديدة في عكار وسيل البقاع وبعض المناطق الساحلية في صور وصيدا، بالإضافة إلى المرافئ البحرية الكبرى في بيروت وطرابلس وصيدا وصور وبعلبك، كما ارتفع عدد السكان من 414000 نسمة في عهد المتصرفة الى 628000 نسمة في عهد الانتداب، وأصبحت بيروت العاصمة من أكبر المدن اللبنانية، وبالتالي انتقل الثقل السكاني الى السواح، كما أصبح التوازن السكاني في فترة الانتداب قائمًا على تعاون إسلامي مسيحي بعد أن كان في عهد المتصرفة توازنًا درزيًا-مارونيًا.[37]

فمنذ وصولهم إلى بيروت في عام 1918م، دأب الفرنسيون على مواصلة توطيد سلطتهم في لبنان، فأعادوا تنظيم مجلس إدارة جبل لبنان القديم، الذي تركه العثمانيون خلال الحرب، وعينوا على رأسه حاكمًا فرنسيًا، أما ولاية بيروت فقد خضعت لإدارة خاصة تحت إشراف فرنسي للسيطرة على موانئ بيروت التي كانت تسكنها أغلبية من المسلمين[38].

كما حققت البلاد تقدمًا ملحوظة في عدة مجالات في الفترة بين 1918-1943م، حيث وضع الدستور، ووزعت الصلاحيات، وشكلت السلطة التشريعية، ونظمت المحاكم والجمارك، كما امتدت خطوط البرق والهاتف، وأنشئ مطار بيروت ووسع مرفأ بيروت، وأصلح مرفأ طرابلس، وشيدت شبكة الطرق التي أصبحت الأولى من نوعها في الشرق، وأسست محطة راديو الشرق (الإذاعة اللبنانية).[39]

الخاتمة:

من خلال مجريات هذه الدراسة نستخلص النتائج والتوصيات التالية:

أولًا: النتائج

- بينت الدراسة اتخاذ فرنسا من الاتفاقيات الدولية مدخلًا لتدخل في شؤون لبنان، ومن ثم استعمارها.
- أن الاستعمار الفرنسي ذو طبيعة خاصة، يجعل من الدول المستعمَرة جزًا من الوطن الام.
- اتخاذ فرنسا سياسة "فرق تسد" في حكمها على لبنان.
- سيطرة فرنسا على المؤسسات التعليمية، مع توجيه التعليم لثقافة الفرنسية على حساب الثقافة الإسلامية والعربية.
- أظهرت الدراسة أن الوجود الفرنسي في لبنان جزء من المشروع الغربي في تفكيك العالم الإسلامي.
- كشف البحث عن بعض الجوانب الإيجابية، مثل التطور الاقتصادي والاهتمام بالبنية التحتية وبإدخال التقنية، لكن هذه الإيجابية كانت خدمة للاستعمار في المقام الأول.

ثانيًا: التوصيات

- أدعوه لإعادة لبنان لمحيطها العربي والإسلامي من خلال تفعيل دورها في المنضمات العربية والإسلامية.
- الحذر من المشاريع الغربية في المنطقة مهما كانت مبرراتها.
- استحضار المخلفات الاستعمارية على البلاد العربية عند حل المشكلات الداخلية في وقتنا الحاضر.

قائمة المراجع:

(1)أسماء كتروسي وسناء عمران، المجتمع اللبناني في ظل نظام الانتداب (1920 – 1946م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجيلالي بونعامة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الإنسانية، الجزائر، 2016م.

(2)إسماعيل، حكمت علي، نظام الانتداب الفرنسي على سورية، تقديم محمد خير فارس، ط1، دار طلاس، دمشق، 1998م، ص286،287.

(3)البعلبكي، منير، المصور في تاريخ لبنان، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1954م.

(4)حلاق، حسين، تاريخ لبنان المعاصر -1913 1952، ط3، دار النهضة العربية، بيروت، 2010.

(5)رمضان، الانقسام الوطني اللبناني في عهد الانتداب الفرنسي (1920-1943م)، مجلة دراسات تاريخية، ع 16، حزيران 2014، ص -209 272.

(6)الشهبندر، عبد الرحمن، الثورة السورية الوطنية، تحقيق محمد كامل الخطيب، ط2، منشورات وزارت الثقافة، دمشق، 1993م.

(7)الصليبي، كمال، تاريخ لبنان الحديث، ط7، دار النهار، بيروت، 1991.

(8)الطاهري، حمدي، سياسة الحكم في لبنان: تاريخ لبنان من الانتداب حتى الحرب الأهلية (1920-1976م)، بيروت، 2004.

(9)عبد الرحيم، جيهان إبراهيم شار علي، الاثار السياسية والحضارية للانتداب الفرنسي على بلاد الشام، رسالة دكتوراة غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2011م.

(10)عبد فتوني، علي، تاريخ لبنان الطائفي، ط1، دار الفارابي، بيروت، 2013م؛ الطاهري، حمدي، سياسة الحكم في لبنان: تاريخ لبنان من الانتداب حتى الحرب الأهلية (1920-1976م)، بيروت، 2004.

(11)قبيسي، حسان، الدولة والتعليم الرسمي في لبنان، الدولة والتعليم في لبنان، بيروت، 1999، ص 105-184.

(12)اللهيبي، ثروت الحنكاوي، الأطماع الأجنبية في بلاد الشام سورية تحت الانتداب الفرنسي نموذجًا 1920-1946م، دار الرحلية، عُمان،2014م.

(13)لونغريغ، ستيفن هامسلي، تاريخ سوريا ولبنان، ترجمة بيار عقل، ط1، دار الحقيقة، بيروت، ب. ت.

(14)وليد المعلم، سوريا (1918-1958م) ط1، مطبعة عكرمة، دمشق 1985م.

(15)Abdallah, H., Pour ou contre le Mandat français. Réflexions fondées sur des enquêtes de terrain, in FRANCE, SYRIE ET LIBAN 1918-

1946 Les ambiguïtés et les dynamiques de la relation mandataireL ed. Méouchy, N., Damas, 2002, p. 181193–.

(16)International Boundary Study No. 94 – December 30, 1969, Jordan. – Syria Boundary (Country Codes: JO–SY), The Geographer Office of the Geographer Bureau of Intelligence and Research.

(17)Méouchy, N., Introduction thématique. France, Syrie et Liban 1918–1946: Les ambiguïtés et les dynamiques de la relation mandataire, Pp. 1733–.

الهوامش:

(1) لونغريغ، ستيفن هامسلي، تاريخ سوريا ولبنان، ترجمة بيار عقل، دار الحقيقة، بيروت، ب. ت، ص 23-24؛ قبيسي، حسان، الدولة والتعليم الرسمي في لبنان، في بشور، منير، الدولة والتعليم في لبنان، بيروت، 1999، ص 105-184، ص 117.

(2)عبد فتوني، علي، تاريخ لبنان الطائفي، دار الفارابي، بيروت، 2013، ص 51.

(3) لونغريغ، تاريخ سوريا ولبنان، ص 67؛ عبد فتوني، علي، تاريخ لبنان الطائفي، ص51.

(4)لونغريغ، تاريخ سوريا ولبنان، ص 68؛ الطاهري، حمدي، سياسة الحكم في لبنان: تاريخ لبنان من الانتداب حتى الحرب الأهلية (1920-1976م)، بيروت، 2004، ص 51.

(5)لونغريغ، تاريخ سوريا ولبنان، ص 102.

(6)الشهبدر، عبد الرحمن، الثورة السورية الوطنية، تحقيق محمد كامل الخطيب، ط2، منشورات وزارت الثقافة، دمشق، 1993م، ص5.

(7)كتروسي، أسماء و عمران، سناء، المجتمع اللبناني في ظل نظام الانتداب (1920 – 1946م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجيلالي بونعامة، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الإنسانية، الجزائر، 2016م،ص 16.

(8) عبد فتوني، تاريخ لبنان الطائفي، ص 55.

(9) International Boundary Study No. 94 – December 30, 1969, Jordan – Syria Boundary (Country Codes: JO-SY), The Geographer Office of the Geographer Bureau of Intelligence and Research

(10) لونغريغ، تاريخ سوريا ولبنان، ص 78-79.

(11)رمضان، الانقسام الوطني اللبناني في عهد الانتداب الفرنسي (1920-1943م)، مجلة دراسات تاريخية، ع 16، حزيران 2014، ص -209 272، ص 211؛ حلاق، حسين، تاريخ لبنان المعاصر -1913 1952، ط3، دار النهضة العربية، بيروت، 2010، ص 81-85؛ الطاهري، سياسة الحكم في لبنان، ص 57.

(12)لونغريغ، تاريخ سوريا ولبنان، ص 93.

(13)اللهيبي، ثروت الحنكاوي، الأطماع الأجنبية في بلاد الشام سورية تحت الانتداب الفرنسي نموذجًا 1920-1946م، دار الرحلية، عُمان،2014م، ص56.

(14)لونغريغ، تاريخ سوريا ولبنان، ص 110-120؛ كتروسي وعمران، المجتمع اللبناني، ص22.

(15) لونغريغ، تاريخ سوريا ولبنان، ص 110-120؛

(16)رمضان، الانقسام الوطني، ص 224؛ الصليبي، كمال، تاريخ لبنان الحديث، ط7، دار النهار، بيروت، 1991، ص 208.

(17) لونغريغ، تاريخ سوريا ولبنان، ص 153.؛ رمضان، الانقسام الوطني، ص

210؛ عبد فتوني، تاريخ لبنان، ص 62.؛ الصليبي تاريخ لبنان الحديث، ص 206، كتروسي وعمران، المجتمع اللبناني، ص 30؛ حلاق، تاريخ لبنان، ص 130.

(18) Méouchy, N., Introduction thématique. France, Syrie et Liban 1918-1946: Les ambiguïtés et les dynamiques de la relation mandataire, Pp. 17-33

(19)لونغريغ، تاريخ سوريا ولبنان، ص 104.

(20)رمضان، الانقسام الوطني، ص 256.

(21)رمضان، الانقسام الوطني، ص 212؛ كتروسي وعمران، المجتمع اللبناني، ص30

(22) ***Abdallah***, H., Pour ou contre le Mandat français. Réflexions fondées sur des enquêtes de terrain, in FRANCE, SYRIE ET LIBAN 19181946- Les ambiguïtés et les dynamiques de la relation mandataire Led. Méouchy, N., Damas, 2002, p. 181193-

(23)كتروسي وعمران، المجتمع اللبناني، ص 87

(24)لونغريغ، تاريخ سوريا ولبنان، ص 104.

(25)كتروسي وعمران، المجتمع اللبناني، ص 45؛ عبد فتوني، تاريخ لبنان، ص 68

(26)وليد المعلم، سوريا (1918-1958م)، ط1، مطبعة عكرمة، دمشق 1985م، ص12.

(27)لونغريغ، تاريخ سوريا ولبنان، ص 151.

(28)كتروسي وعمران، المجتمع اللبناني، ص 48-50.

(29)المرجع السابق، ص52.

(30)عبد الرحيم، جيهان إبراهيم شار علي، الاثار السياسية والحضارية للانتداب الفرنسي على بلاد الشام، رسالة دكتوراة غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2011م، ص150.

(31)قبيس، الدولة والتعليم، ص 118؛ كتروسي وعمران، المجتمع اللبناني، ص 68.

(32)المرجع السابق، ص -68 69.

(33)كتروسي، عمران، المجتمع اللبناني، ص 70.

(34)قبيسي، الدولة والتعليم، ص 125.

(35)حكمت علي إسماعيل، نظام الانتداب الفرنسي على سورية، تقديم محمد خير فارس، ط1، دار طلاس، دمشق، 1998م، ص286-287.

(36)قبيسي، الدولة والتعليم، ص 125.

(37)كتروسي وعمران، المجتمع اللبناني، ص 72.

(38) كتروسي وعمران، المجتمع اللبناني، ص31

(39) رمضان، الانقسام الوطني، ص 212.

(40)البعلبكي، منير، المصور في تاريخ لبنان، الجزء الثامن، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1954م، 243-244.؛ الطاهري، سياسة الحكم في لبنان، ص 79

السودانوية في هوية السودان القومية: دراسة حالة ثورة 19 ديسمبر 2018م

أ.د. عبدالرحيم محمد خبير
قسم الآثار- كلية العلوم الإنسانية - جامعة بحري

مستخلص:

السودان كتراكم ثقافي- تاريخي ظهر إلى حيز الوجود منذ آجال موغلة في القدم. بيد أن الدولة السودانية كبنية سياسية مؤسسية ومشروعية سلطة برزت منذ ما يربو عن أربعة آلاف عام (مملكة كرمة 2500-1500 ق. م). وتبلورت الشخصية القومية للسودان بصورة أكثر وضوحاً في دولة كوش الثانية (مملكة مروي 900 ق. م – 350م). وشهد السودان منذ ذلك الزمان وإلى إستقلاله في غرة يناير 1956م وحتى اليوم متغيرات مهمة على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وكانت مسألة الهوية إحدى القضايا التي شكلت هاجساً لمختلف أنظمة الحكم التي تعاقبت على السودان. وتمتح هوية السودان الحضارية من مصدرين رئيسيين هما: العربي- الإسلامي ونظيره الأفريقي. ويحاج هذا المقال إستناداً إلى أدلة آثارية- تاريخية بأن تيار السودانوية- Sudanism هو السمة الأكثر بروزاً في الشخصية القومية السودانية خلال أحداث ثورة التاسع عشر من ديسمبر 2018م.

Abstrat:

Sudan is a cumulative cultural and historical entity that has seen the horizon since times immemorial. The Sudanese state as a political institution and legal authority did set foot four thousand years ago (Kingdom of Kerma 2500- 1500 B.C.). The Sudanese national identity clearly crystallized during the second kingdom of Kush (900 B.C.–350 A.D.). Since then up to the advent of independence (1st. January 1956) and the present- day Sudan has witnessed important political, economic, social and cultural changes. However, the question of national identity has always become inevitable issue for the successive regimes ruling Sudan. The national identity of Sudan is a derivative of two main sources: the Arab- Islamic one and its African counterpart (Sudanism). The

present article argues on the basis of archaeo- historical evidence that "Sudanism" being the most prominent characteristic for the Sudanese national identity in the incidents of 19th December 2018 Revolution.

مقدمة :

السودان كتراكم ثقافي- تاريخي ظهر منذ أزمان بعيدة الغور في التاريخ. بيد أن الدولة السودانية كبنية سياسية مؤسسية ومشروعية سلطة برزت منذ ما ينيف عن أربعة آلاف عام (مملكة كرمة 2500-1500 ق. م). وتبلورت الشخصية القومية للسودان بصورة أكثر وضوحاً في دولة كوش الثانية (مملكة مروي 900 ق. م – 350م). وشهد السودان منذ ذلك الزمان وإلى إستقلاله في غرة يناير 1956م وحتى اليوم متغيرات مهمة على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وكانت مسألة الهوية إحدى القضايا التي شكلت هاجساً لمختلف أنظمة الحكم التي تعاقبت على السودان

وتمتح هوية السودان الحضارية من مصدرين رئيسيين هما: العربي- الإسلامي ونظيره الأفريقي. ويحاج هذا المقال إستناداً إلى أدلة آثارية- تايخية بأن تيار السودانوية- Sudanism هو السمة الأكثر بروزاً في الشخصية القومية السودانية خلال أحداث ثورة التاسع عشر من ديسمبر 2018م.

سؤال الهوية وثورة 19 ديسمبر2018م:

مر السودان بعد نهاية عهد حكومة الإنقاذ (30 يونيو1989 -11 أبريل 2019م) بزلزال سياسي شبهه البعض بالإستقلال الثاني إجترحه شباب ومن ثم تسلم قيادته تنظيم «تجمع المهنيين السودانيين» والذي أظهر حنكة ودربه في قيادة العمل المعارض بصورة سلمية من خلال التظاهرات والإضرابات والإعتصامات حتى تكلل ذلك بإزاحة نظام الإنقاذ عن السلطة بعد ثلاثة عقود من الزمان لم ينعم خلالها الشعب السوداني بإستقرار سياسي وتنمية واقتصادية وعدالة إجتماعية. واللافت للإنتباه أن ما جرى في السودان منذ التاسع عشر من ديسمبر 2018م كان ثورة شعبية مكتملة الأركان وليست إنتفاضة نخبوية (21 إكتوبر 1964م، 6 أبريل 1985م) .فالثورة مفهوماً- كما هو معلوم- هدم وبناء وقطيعة مع الآخر بإتجاه المستقبل وليست مجرد تغيير فوقي في بنية المجتمع.وقد وضعت ثورة 19 ديسمبر 2018م الفعل في قلب شعار هذا المفهوم وذلك بإحداثها تغييراً جذرياً أفضى إلى إنهاء دولة نظام الإسلام السياسي بالسودان. وتعمل بصورة دؤوبة على وضع لبنات الدولة المدنية الديمقراطية. وهي أي الدولة المدنية الديمقراطية هي القادرة

على غرس المفهوم الجديد للدولة العصرية (دولة ما بعد الحداثة)، وهي دولة المواطنة التي يعيش فيها الجميع سواسيةً أمام القانون دونما تمييز إثني (عرقي) أو جهوي أو عقائدي.

نلحظ أن الجماهير هي التي أشعلت الثورة وشاركت كل أقاليم الوطن(المدن والقرى والبوادي) في إحتجاجات سلمية مطالبة بالحرية والسلام والعدالة. فكانت شعارات وهتافات الثورة السلمية التي سار بها الركبان تنشد التضامن والتعاضد بين مختلف المكونات الثقافية والاجتماعية والإثنية للمجموعات السكانية. وهذا ما دفعني لمقاربة بعض شعارات الثوّار التي هتفت بها ملايين الحناجر بالسؤال الوجودي الأول وهو سؤال الهوية: من أنا؟ ماعلاقتي بالآخر؟ وماذا أريد أن أكون؟.

هوية السودان القومية:

وتجدر الإشارة إلى أن هناك مقاربتان رئيسيتان لدراسة الهُوية القومية: أولاً، مقاربة الطابع الفردي للشخصية القومية. ويتمثل في سمات مشتركة بين أفراد يعيشون في وطن واحد بحيث يعد كل منهم نموذجاً لهذه الهوية. وبحيث تنعكس على شخصيته تلك السمات التي يقال أنها سمات الشخصية القومية .وهذا المثال لا ينطبق على الواقع السوداني لأنه يفترض تجانساً عرقياً وثقافياً بين مجموعات سكانية مثلما هو عليه الحال في اليابان التي تتميز بدرجة عالية من التجانس الذي أفضى إلى ظهور القومية اليابانية. وثانياً: مقاربة الطابع القومي للشخصية الفردية: وفي هذه الحالة يتم البحث عن شخصية معنوية تتعالى على الأفراد أي واحدة من تلك الكيانات الجماعية التي لا ترد إلى إصولها بل يكون لها شبه إستقلال ذاتي بالنسبة للعناصر التي تكونها. وفي هذه الحالة فإن الحديث لا ينصب على الأفراد بقدر ما يعنى بظواهر تتسم بالعمومية والثبات النسبي في المجتمع بحيث تسمح لنا بوجود ذلك الكيان المعنوي المسمى بالشخصية القومية (أنظر زكريا 63:1975). وهذا المنهج هو الأكثر مناسبة للحالة السودانية لأنه يدرس ظواهر إجتماعية تعتمد على التنوع الإثني والثقافي وثوابت حضارية حافظت على آصرة هذا القطر منذ آجال موغلة في القدم. وعطفاً على ما سبق ذكره، نلحظ أن شعارات وهتافات ثورة 19 ديسمبر 2018م كانت تشي بروح قومية سودانوية تعالت على القبلية والجهوية التي عمل النظام البائد على تغذيتها في وجدان الشعب السوداني. ولعل من أبرز الهتافات التي إنطلقت من مدينة عطبرة التي بدأت فيها أحد أولى الإحتجاجات الجماهيرية ضد نظام الإنقاذ: «يا عنصري ومغرور كل البلد دارفور»، وردت عليها جماهير دارفور بأقصى الغرب السوداني «ياعنصري

وغدار عطبرة الحديد والنار». وثمة هتافات أخرى مشبعة بالروح القومية منها «جيش واحد وشعب واحد» و «سودانا فوق سودانا فوق» . ولا ريب أن مثل هذه الهتافات التعاضدية والمتبادلة بين مواطني أقاليم السودان والتي جعلتها ميسورة وسائل التواصل الإجتماعي (الميديا) الأسفيرية ترمي إلى توحيد الجهود لإزالة نظام جثم على صدر الوطن ما يقارب ثلاثة عقود من الزمان وأذاق أهله الأمرين. وتؤمي بروح قومية لهوية جامعة بالإمكان نعتها بأنها «هوية سودانية أو «هوية سودانوية- Sudamism» تستبطن شخصية قومية. ويرى الباحث ر. لنتون R. Linton أن مفهوم الشخصية القومية يقصد به «نمط الشخصية الذي يتميز بأكبر قدر من التكرار بين مختلف أنماط الشخصية في المجتمع الواحد (أنظر خبير 2007: 2) .ويرى آخرون أن الهوية أو الخصوصية تتشكل من وشائج أساسية تتمثل في الثقافة والعرق والإقليم ويشعر أفرادها بغرض كبير مشترك يمكن أن يطغى ويحجب الأغراض الجزئية الصغيرة، وتمنح الهوية الأفراد والجماعات قاعدة عميقة راسخة من الشعور بالإنتماء والإعتزاز والأمن (سليمان 2012: 38). ومما يلزم التنويه به، أن السودانيين ومنذ أقدم العصور كانت لهم أشواق نحو إنتماء مشترك (وحدة في المشاعر والإرادة والمصالح) تجسده وحدة سياسية تستوعب التنوع الإثني (العرقي) والثقافي. وتشير المكتشفات الأثرية إلى أن أول المحاولات نحو بلورة نظام سياسي- إجتماعي يعمل على تنظيم العلاقات الإقتصادية والثقافية بين المجموعات السكانية التي قطنت السودان القديم قد تمت في فترة ما قبل التاريخ المتأخر حيث تحولت المجموعات القبلية إلى مشيخات. وتوحدت الأخيرة في بوتقة دولة المدينة (City- State) التي تمثلها مملكة كرمة في شمال السودان (-2500 1500 ق.م). وتعتبر كرمة أول ناء سياسي مؤسسي تحت سلطة مركزية جمع السودان القديم (كوش) تحت وحدة حضارية واقتصادية يسندها حيث نظامي دخل به المعترك العالمي. وكان لهذه الدولة ثقلها الإقليمي في أفريقيا والشرق الأدنى القديم. (الحاكم 1990: -86 87). وتعتبر مملكة كوش الثانية «مروي» (900 ق. م- 350م) هي المحاولة الثانية لأهل السودان للوحدة السياسية حيث برزت على المسرح السياسي كدولة ومن ثم إمبراطورية قوية بسطت سلطاتها على كل وداي النيل في منتصف القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد (751 ق. م- 664 ق. م) (خبير 2007، مرجع سابق: 10). وتشير المخطوطات الأثرية إلى دخول السودان القديم في حقبة من التشظي والتشرذم دامت قرنان ونيف من الزمان إنفرط خلالها عقد الدولة المركزية. وبنهاية هذه الفترة برز نموذج الدولة الثيوقراطية (الدينية) التي يمتلك فيها الحاكم السلطتين الزمنية والروحية متمثلاً في ظهور الممالك المسيحية الثلاث (نوباتيا في أقصى الشمال

وتمتد من أسوان إلى قرب الشلال الثالث وعاصمتها فرس، والمغرة وتحتل المنطقة من قرب الشلال الثالث إلى الأبواب (كبوشية) وعاصمتها دنقلا العجوز في حين أن مملكة علوة وعاصمتها سوبا جنوب الخرطوم تشمل منطقة شاسعة تمتد من الأبواب (كبوشية) شمالاً إلى القطينة على النيل الأبيض جنوباً كما ضمت أجزاء من النيل الأزرق وبعض جهات كردفان) (خبير 2002: 26- 27). وإستمر نموذج الدولة الثيوقراطية حتى بعد إنهيار الممالك المسيحية بظهور دولة الفونج (السلطنة الزرقاء) (1504- 1821م) بسبب التحالف بين الفونج والعرب (العبدلاب) في أواسط السودان والذي أدى إلى نهاية مملكة علوة المسيحية. وإمتد نفوذها من دنقلا شمالاً إلى النيل الأزرق (فازوغلي) جنوباً ومن البحر الأحمر (سواكن) شرقاً إلى النيل الأبيض جنوباً. وتمثل أقوى وحدة سياسية ظهرت في السودان في العصر الوسيط. وكانت إيذاناً ببداية مرحلة جديدة من تاريخ السودان رغم ظهور بعض الممالك الإسلامية الأخرى في مناطق أخرى من السودان مثل دولة المسبعات بكردفان (1559- 1821م)، دولة دارفور (1640- 1874م، 1898- 19216م) ودولة تقلي بجبال النوبة (1570- 1927م). وكانت دولة الفونج أكبر هذه الممالك وأكثرها منعة إلا أن محاولاتها لقيام كيان سياسي عريض يضم الممالك الإسلامية الثلاث في غرب السودان قد جانبه التوفيق (المرجع نفسه: 28- 29). وشهدت فترة الحكم التركي- المصري (1821- 1885م) بزوغ أول وحدة سياسية للسودان الحديث. وبالرغم من أن الهدف الأسمى من ضمه لحوزة الدولة العثمانية كان كولونيالياً إقتصادياً. وبسطت الدولة التركية- المصرية سلطانها على أغلب المناطق التي كانت تحت حكم المشيخات والسلطنات الإسلامية السودانية غير أنها فشلت في حكم البلاد بسبب طبيعتها الإستعلائية وقهرها للشعب السوداني (خبير 2007م، مرجع سابق: 12). وتمكنت الثورة المهدية (1885- 1898م) من إستقطاب الكيانات السودانية التي تضررت من نظام الحكم التركي- المصري. ونجح المشروع الآيدولوجي للثورة المهدية من تحرير السودان من نير الحكم الأجنبي وإقامة دولته الوطنية. غير أن عهد المهدية إتسم بعدم الإستقرار السياسي والحروب الخارجية. وأدى كل ذلك إلى إنهاك مفاصل الدولة التي فشلت في حماية حدودها وإقامة علاقات ودية مع جيرانها. فكانت الثغرة التي نفذ منها الحكم البريطاني- المصري للسودان 1898م واضعاً النهاية للدولة السودانية التاريخية الرابعة (خبير 2006: 13- 32). ودخل السودان في عهد الحكم البريطاني- المصري عام 1898م مرحلة جديدة من تاريخه الحديث حيث إستطاعت الدولة الكلونيالية (Colonial State) أن تفرض مشروعها السياسي والثقافي على أهل السودان، إلا أنها لم تستطع أن تمحو أو تذيب النظم

والثقافات المحلية للمجموعات السكانية، وربما عملت على إحيائها في بعض الحالات. ومن ناحية أخرى، لم تفلح الدولة في إحكام قبضتها على الأراضي السودانية بصورة نهائية وكاملة، إذ أن المعارضة والثورة إستمرت لفترة طويلة إلى أن تحقق الإستقلال في 19 ديسمبر 1955م وأعلن بشكل رسمي في غرة يناير 1956م. وقامت الدولة السودانية الحالية في حدود الممالك والسلطنات السودانية القديمة وتلك التي رسمها الحكم الأجنبي وفق مواثيق ومعاهدات دولية.وفشل السودان في تأسيس دولة مدنية ديمقراطية رغم مرور ما يزيد عن ستة عقود من الإستقلال. وظل السودان يراوح مكانه بين ديمقراطيات شكلية (1956-1958م، 1965- 1969م، 1985- 1989م) ودكتاتوريات عسكرية (1958- 1964م، 1969- 1985م، 1989- 2019م) إقصائية للآخرين. وساهم ضعف الدولة في تسهيل عملية الإنقلابات العسكرية وفي تشظي المجتمع إلى حد كبير (أنظر: علي 1995: 7- 9). ويبدو أن التنوع الثقافي (الآفروعربي) قد حفز بعض الباحثين السودانيين للنظر في قضية الهوية السودانية بإعتبارها هجنة أفريقية- عربية. فظهرت في الستينات «جماعة الغابة والصحراء» الأدبية (أبرز دعاتها محمد المكي إبراهيم، النور عثمان أبكر، علي عبدالقيوم، صلاح أحمد إبراهيم وآخرون). وكانت ترى أن الثقافة السودانية خلاسية فـ(الغابة) لها مقابل مكمل لما هو عربي (الصحراء). ويومئ ذلك كما يستبان من أدبياتها إلى تعادلية التأثير والتأثر. وشهدت حقبة الثمانينات نظرة أكثر شمولية لقضية الهوية الحضارية والثقافية السودانية برؤية تجمع كافة ثقافات أهل السودان عرفت بالسودانوية (Sudanism). ومن أبرز دعاتها أحمد الطيب زين العابدين (أستاذ بجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا) و نورالدين ساتي (أستاذ جامعي فسفير متقاعد). فالأول (زين العابدين) ينظر إلى «السودانوية» من داخل التجانس في الثقافة السودانية. أي أنها التعدد في الوحدة والتثاقف الفريد بين رافدي هذه الثقافة الرئيسيين (الأفريقي والعربي) مع الإعتراف بتفرد الخصوصية الثقافية والحضارية للموروث السوداني والإقرار بأن رافده الأفريقي هو الركيزة الأساسية في تيار السودانوية (زين العابدين 1991: 33- 37، 1999: 67). أما ساتي فعلى رأي مؤداه أن ما جعل السودان متماسكاً عبر عشرات السنوات هي «السودانوية» أو ما أسماها «روح الإنفتاح على الآخر» إن كان ذلك داخل الحدود الجغرافية أو خارجها سيما وأن السودان بطبيعته بوتقة إنصهار الثقافات والأعراق في قلب القارة الأفريقية (ساتي 2010: 11).وعاد السودان مرة أخرى للتشظي والتشرذم في عهد حكومة الإنقاذ (يونيو 1989- أبريل 2019م) بسبب سياسة التطرف والإنغلاق وأحادية التوجه التي ترى أن تختزل الأمة السودانية في عنصر واحد وعرق واحد وثقافة واحدة (قوس قزح) (أنظر المرجع السابق: 11) في بلد يعاني أصلاً من هشاشة في وحدته الوطنية، ضعف في بنياته المؤسسية ومن طغيان الروابط الأولية

(القبلية والجهوية) على رابطة الوحدة الوطنية التي هي المرتكز للدولة القطرية الحديثة. ويبدو أن الأسباب السالفة الذكر هي أساس ثورة التاسع عشر من ديسمبر 2018م والتي جعلت قضية الهوية الثقافية في مقدمة أولوياتها. ولا ريب أن هذه الثورة التي قادها الشباب نجحت في كسر العديد من التابوهات(Taboos) القبلية والجهوية والطائفية وشاركت فيها كل مكونات المجتمع السوداني ومن كافة أقاليمه. وليست أدل على ذلك من شعاراتها المشار إليها بعاليه ومنها أيضاً: «جيشنا معانا وما همانا»، «الجيش جيش السودان ما جيش الكيزان»، «جدّنا ترهاقا وحبوبتنا كنداكة»؛ «من كاودا لأم درمان كل البلد سودان». وكان الثوار يهتفون بهذه الشعارات في التظاهرات والإضرابات والإعتصامات على أنغام الأناشيد الوطنية التي تستدعي تاريخ وأمجاد ممالك السودان القديم (كوش 2500 ق. م- 350م) وتعمل على رفع وتيرة الحس الوطني. ولعل إنبثاق الهوية الثقافية السودانية من زخم التعدد والتنوع مدها بمصادر ثراء وخصب ودفعها عفواً وقصداً نحو التفاعل الطوعي والتواصل النفسي والوجداني عبر ضرورات التفاعل وتداخل سبل كسب العيش. وخير شاهد على ذلك إعتماد القوميات الأفريقية (الزنجية) والعربية على إختلاف أصولها اللغوية- اللغة العربية أداة للتخاطب فيما بينها (خضر 1995: 57- 58). ويشير ذلك إلى شعور السودانيين برابط وطني واحد تجسده لغة مكتوبة. وكان هذا ما أنجزته ثورة السودان الشعبية الثالثة تعزيزاً للإنتماء الثقافي والحضاري والجيوسياسي المشترك.

خاتمة:

وبما تم ما يراده آنفاً، نلحظ أن هناك قواسماً مشتركة في اللغة والثقافة والتوجه الحضاري وأشواق الوحدة السياسية لأهل السودان عملت على تمتينها المجموعات الأهلية الاجتماعية ومنظمات المجتمع المدني عبر الندوات والمحاضرات والكرنفالات ومواقع التواصل الاجتماعي (Social Media) الأسفيرية التي بلورت شعوراً شعبياً بإنتماء مشترك. وهذا إن دل على شئ فإنما يدل على أن مشاريع النهوض الحضاري السوداني (ثقافياً وسياسياً) والتي كشفت عنها الحفريات الآثارية والسجلات التاريخية وعضدها الواقع المعاش (ثورة 19 ديسمبر 2018م) لا تجترحها إلا أمة تشعر بتمايز عن غيرها من الأمم. وهذا بالطبع لا يتأتى إلا ببلوغ الحد الأدنى من التجانس الثقافي والحضاري (الطابع القومي للشخصية الفردية) الذي يسمح بالإقرار بوجود كيان معنوي جدير أن يتسمى بـ»الشخصية القومية» بغض النظر عن الولاءات العرقية والجهوية والأيدولوجية، وهذا ما كان من شأن السودان منذ عشرات القرون وحتى اليوم.

الهوامش:

(1)الحاكم، أحمد محمد علي 1990م هويـــة الســـودان الثقافيـــة: منظـــور تاريخـــي، دار جامعـــة الخرطـــوم للنـــشر، الخرطـــوم.

(2)خبير، عبد الرحيم محمد 2002م نشـــوء الدولـــة الســـودانية: منظـــور أركيولوجـــي- تاريخـــي، مجلـــة "دراســـات أفريقية"،العـــدد28، جامعـــة أفريقيـــا العالميـــة، الخرطـــوم: -19 41.

(3)خبير، عبد الرحيم محمد 2006م النزاعـــات الحدوديـــة بـــين الســـودان والـــدول المجـــاورة (-2500 1956م): منظـــور آركيولوجـــي- تاريخـــي، مجلـــة "كتابـــات ســـودانية": مركـــز الدراســـات الســـودانية، الخرطـــوم:13-32.

(4)خبير، عبد الرحيم محمد 2007م الشـــخصية القوميـــة مـــن منظـــور آركيولوجـــي- تاريخـــي: دراســـة حالـــة الســـودان. مجلـــة "آداب" العـــدد 25، جامعـــة الخرطـــوم: 1-14.

(5)خضر،الشفيع 1995م الهويـــة الســـودانية: محصلـــة التنـــوع والتعـــدد: -35 65، في: التنـــوع الثقـــافي وبنـــاء الدولـــة الوطنيـــة في الســـودان. أبحـــاث مركـــز الدراســـات الســـودانية الدوريـــة ،1-3 أبريـــل 1995م، القاهـــرة.

(6)زكريا، فؤاد 1975م آراء نقديـــة في مشـــكلات الفكـــر والثقافـــة، الهيئـــة المصريـــة العامـــة للكتـــاب، القاهـــرة.

(7)زيـــن العابديـــن، أحمـــد الطيـــب 1991م"حـــروف" مجلـــة فصليـــة، فكريـــة، ثقافيـــة عـــدد مـــزدوج (2-3): -23 37.

(8)زيـــن العابديـــن، أحمـــد الطيـــب 1999م الســـودانوية: تيـــسر فهمـــاً عميقـــاً لهويتنـــا الثقافيـــة، في مجلـــة "كتابـــات ســـودانية"، العـــدد الخامـــس: -67 87.

(9)ساتي،نورالدين 2010م مـــا الســـودان؟ ومـــن هـــم الســـودانيون؟ في صحيفـــة "التيـــار" اليوميـــة العـــدد 423: 11.

(10)سليمان،إدريس 2012م أزمـــة الديمقراطيـــة في أفريقيـــا. محســـن القـــرشي للخدمـــات الطباعيـــة، الخرطـــوم.

(11)عـــلي، حيـــدر إبراهيـــم 5991م "مقدمـــة" في: التنـــوع الثقـــافي وبنـــاء الدولـــة الوطنيـــة، أبحـــاث مركـــز الدراســـات الســـودانية الدوريـــة 1-3 أبريـــل 5991، القاهـــرة.

جُهُودُ المَلِك عَبد العَزِيز في إصْلاح سكَّة حَديد الحِجَاز (1344 – 1373هـ/ 1926 – 1953م)

أ. أَرِيج فهد علي الرحيلي

طالبة دُكتوراة- قسم التاريخ-كليَّة اللغة العربيّة والدراسات الاجتماعيّة -جَامِعَة القصيم
المملكة العربية السعودية

المستخلص:

تَتَنَاوَلُ الدِّرَاسَةُ جُهُودَ المَلِكِ عبد العزيز في إصلاح سكة حديد الحجاز الممتدة من دمشق إلى المدينة المنورة، وذلك منذ عام 1344هـ/ 1926م بَعْدَمَا نَجَحَ في ضَمِّ الحجاز إلى حُكْمِهِ، حيث تهدف الدِّرَاسة إلى مُنَاقشة مَسْألة إعادة تشغيل سِكَّة حديد الحجاز مع التطرق لأهميتها بالنِّسْبَة إلى المنطقتين المقَدَّسَتَيْن: مكة المكرمة، والمدينة المنورة. والحالةِ السِّيَاسيَّة، والإداريَّة، والفنيَّة للسِّكة الحديدِ خَاصَّة أنَّ خط سيره يخترق العديد من الدُّول المجاورة، والتي تحكمها الحكومات الاستعمارية البريطانية والفرنسية مع التفاوت في حجم الأعطال على امتداد السكة. إلا أنَّ الجزءَ الأكثر تضَرُّرًا هو ذلك الجزء الواقع داخل حدود الحكومة السعودية، ومن هذا المنطلق بدأت جهود الملك عبد العزيز لإعادة تشغيلها بالتباحث مع الحكومتين البريطانيَّة والفرنسيَّة ذات العلاقة، وذلك من خلال سلسلة طويلة من البرقيات، والمراسلات، والمؤتمرات الدوليَّة والمحليَّة؛ بهدف الوصول إلى آلية مناسبة لتشغيلها والاتفاق على إداراتها وملكيتها.وقد اكتسبت الدِّرَاسةُ أهميتها في مُعَالجة مسألة ذات قيمة حضارية ودِينِيَّة لأهم المقدسات الإسلامية في مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وتأمين الوصول إليها بأيسر وسائل النَّقل المتاحة آنذاك، والمتمثلة في سكة حديد الحجاز، والموضوع الذي تناولته أغلبُ الدِّرَاسات السَّابقة بالمناقشة في فترة الحكم العثماني والهاشمي. إلا أنَّ هذه الدِّرَاسَةَ جاءتْ لتُكْمِلَ ما تَوَقَّفَتْ عِنْدَه الدِّرَاسات السَّابقة، وذلك بدراسة جهود الملك عبدالعزيز في إصلاح سكة حديد الحجاز، ونتج عن تلك الجهود سلسلة من الأحداث التاريخية التي تم رصدها بتتبع تاريخي يعتمد على الوثائق المحلية والأجنبية. ولمناقَشَةِ تلك الأحداث بموضوعية اتبعت الدِّرَاسَةُ المنهَجَ الوصفي التحليلي، وقد توصلت الدراسةُ إلى عدد من النتائج من أهمها: أنَّ الملكَ عبد العزيز كان يُنَاقش قضية جوهرية مُتمثلة في الاعتراف بملكية الخط للمُسلمين مع اعتراضه الشديد على معاملته بأنه من أملاك الدولة العثمانية، بل هو وقف إسلامي، وعلى هذا المبدء حرص الملك عبد العزيز أن يتم التفاوض بين الحكومات ذات العلاقة، والمتمثلة في حكومته،

والحكومتين البريطانية والفرنسية، إلا أنَّ الاختلاف في وجهات النظر بينهما نتج عنه مباحثات مطولة، كما كان للحرب العالمية الثانية دور سَلبيٌّ في قطع المباحثات، الا أنها استؤنفتْ بَعْدَ انتهائها لتبدأ مرحلة جديدة مختلفة خاصَّة بعد استقلال الدول العربية عن الحكومات الاستعمارية، لتُطالب بحقوقها في السِّكَّة إلى جانب الحكومة السعودية.

الكلمات المفتاحية: الملك عبدالعزيز – سكة حديد الحجاز – مؤتمر حيفا – معاهدة جدة- معاهدة لوزان.

Abstract:

The study deals with the efforts of King Abdul Aziz in repairing the Hejaz railway extending from Damascus to Medina, since 1344 AH / 1926 AD, after he succeeded in annexing the Hejaz to his rule, as the study aims to re-operate the Hejaz railways with two holy cities : Mecca and Medina. And the political, administrative, and technical situation of the railway, especially that its route penetrates many neighboring countries, which are governed by the British and French colonial governments, with the varying size of the faults along the railway.However, the most affected part is the part located within the borders of the Saudi government. From this point of view, King Abdul Aziz's efforts to restart it began by debating with the relevant British and French governments, through a long series of telegrams, correspondences, and international and local conferences. With the aim of reaching an appropriate mechanism for its operation and agreement on its management and ownership.The study gained its importance in addressing an issue of cultural and religious value for the most important Islamic sanctities in Makkah Al-Mukarramah and Al-Madinah Al-Munawwarah, and securing access to them by the easiest means of transportation available at the time, namely the Hejaz Railway, and the topic that most of the previous studies discussed in the period of Ottoman and Hashemite rule. However, this study came to complete what the previous studies stopped by, by studying the efforts of King Abdulaziz in reforming the Hejaz

Railway, and these efforts resulted in a series of historical events that were monitored with historical tracking based on local and foreign documents.To discuss these events objectively, the study followed the descriptive analytical approach. The study reached a number of results, the most important of which are: King Abdul Aziz was discussing a fundamental issue represented in recognizing the ownership of calligraphy for Muslims with his strong objection to his treatment of it as a property of the Ottoman Empire; rather it is an Islamic endowment. On this principle, King Abdul Aziz was keen to negotiate between the relevant governments, represented in his government, and the British and French governments, but the difference in views between them resulted in lengthy discussions, and the Second World War had a negative role in cutting off the talks, but they resumed after It ended, and a new, different stage began, especially after the independence of the Arab countries from the colonial governments, to demand their rights to the railway alongside the Saudi government.

Keywords: King Abdulaziz - Hejaz Railway - Haifa Conference - Treaty of Jeddah - Treaty of Lausanne

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في عدم وجود دراسة علمية تطرقت لإبراز جهود الملك عبدالعزيز الجادة في مجال تشغيل سكة حديد الحجاز لذلك اقتضت طبيعة البحث استقاء المعلومات من منابعها الأصليّةالتي تمثلت في الوثائق المنشورة وغير المنشورة، الأجنبيّة والمحليّةالتي كانت خير شاهد على جهود الملك عبدالعزيز لإعادة تشغيل سكة حديد الحجاز.ويمكن حصر أهمية الدراسة في الآتي:

- أنها تدرس أهمية وجود السكك الحديد في المدينتين المقدستين.
- أنها تتعرف على الحالة السياسيّة والفنيّة لسكة حديد الحجاز.
- أنها تتحدث عن جهود الملك عبد العزيز في إعادة تسيير سكة حديد الحجاز.
- كما أنَّ مشكلة الدراسةتمثّلت في الأسئلة الآتيّة:
- ما أهمية وجود السكك الحديد في المدينتين المقدستين؟

- ما الحالة السياسيّة والفنيّة لسكة حديد الحجاز؟
- ما جهود الملك عبد العزيز في إعادة تسيير سكة حديد الحجاز؟
- لذا فالدراسةتهدف إلى الإجابة عن الأسئلة السابقة:
- دراسة أهمية وجود السكك الحديد في المدينتين المقدستين.
- التعرف على الحالة السياسيّة والفنيّة لسكة حديد الحجاز.
- التحدث عن جهود الملك عبد العزيز في إعادة تسيير سكة حديد الحجاز.

الحدود الزمانية والمكانية للدراسة:

أما الزمانيّة: فتبدأ في عام 1344هـ/1925م، وهو العام الذي ضمَّ فيه الملك عبد العزيز الحجاز، وتنتهي الدراسة في عام 1373هـ/1953م، وهو العام الذي انتقل فيه الملك عبد العزيز إلى جوار ربه.والمكانيّة: تتمثل في سكة حديد الحجاز الممتد من دمشق إلى المدينة المنورة.

الدراسات السابقة:

ومن خلال البحث الذي أجرته الباحثة تبين عدم وجوددراسات سابقةتتحدث عن جهود الملك عبدالعزيز في إعادة تشغيل سكة حديد الحجاز حسب ما اطلعت عليها الباحثة ـــ وأنّ معظم الدراسات تحدثت عن إنشاء سكة حديد الحجاز وتشغيلها، منها: دراسة أحمد، علي، الخط الحديديّ الحجازيّ، مجلة الحج والعمرة، وزارة الحج، السنة 24، ع9، مايو 1970م، ودراسة الدقن، محمد، سكة حديد الحجاز الحميدية (دراسة وثائقية)، ط2، 1435هـ/2014م، ودراسة السعدون، خالد حمود، مقاومة القبائل لسكة حديد الحجاز أسبابها وتطوراتها خلال عامي (1326-1327هـ/1908-1909م، دارة الملك عبدالعزيز.

منهج الدراسة:

واتبعت الدراسةالمنهج الوصفيّ التحليليّ في وصف جهود الملك عبدالعزيز في محاولاته لإعادة تشغيل سكة حديد الحجاز طوال مدة حكمه وتحليلها. كماجاءت إجراءات البحث على أسس منهجيّة مبنيّة على القراءة حول موضوع الدراسة، قراءة متعمقة، فاحصة، ناقدة في مصادر الدراسة من الوثائق المنشورة وغير المنشورة، والمصادر العربية والمعربة المعاصرة لموضوع جهود الملك عبدالعزيز لإعادة تشغيل سكة حديد الحجازخلال فترة حكمه، بالإضافة إلى المراجع العربية والمعربة، وكذلك الأبحاث العلمية المحكمة والصحف المطبوعة ممثلة في صحيفة أم القرى وغيرها ؛ لانتقاء أفضلها، وبعد ذلك جمع المادة العلمية من مصادرها الأساسية في بطاقات، وترتيبها، وصياغة المادة العلمية صياغة منهجية، بعد المقارنة بين تلك المعلومات في المصادر والمراجع من حيث الدقة والصحة ومحاولة الوصول إلى أصحها.

المقدمة:

لقد كانت سكة حديد الحجاز من أهم وسائل النقل الحديثة التي ظهرت في شبه الجزيرة العربيّة، وتحديدًا في بدايات القرن الرابع عشر الهجريّ/ القرن العشرين الميلاديّ [1].

كان الهدف من إنشاء سكة حديد الحجاز خدمة حجاج بيت الله الحرام بتأمين وسيلة نقل عصريّة لهم، يتوفر فيها الأمن، والسرعة، والتخفيف من عناء السفر ومشقة الطريق الذي يستغرق مسيرة أربعين يومًا عبر الطرق البريّة الوعرة، الأمر الذي يعرضهم للعديد من الأخطار، في حين كان السفر بحرًا من الشام إلى الحجاز يختصر الزمن في مدة تتراوح ما بين عشرة أيام إلى خمسة عشرة يومًا. إلا أن هناك العديد من المعاناة بالسفر عبر السفن، منها: قلة عدد الرحلات المتوجهة إلى الحجاز مع عدم انتظام مواعيد السفر. وبالمقابل كانت المدة التي يستغرقها وصول القطار من دمشق إلى الأماكن المقدسة عبر السكة الحديد يختصر المسافة في خمسة أيام. فكانت جميع المعطيات السابقة تدعم فكرة إنشاء سكة حديد الحجاز خاصة أن حجاج العالم الإسلاميّ من تركيا، والعراق، وإيران يجتمعون في سوريا لتبدأ رحلة الحج مع قافلة الحج الشامي. في حين كان هناك سبب آخر، وهو محاولة الدولة العثمانيّة لربط جميع الولايات العثمانيّة، وإحكام السيطرة عليها [2]. وعندما قامت الثورة العربيّة في الحجاز في عام1334هـ/ 1916م بقيادة الشريف الحسين بن علي [3] الذي أمر بتدمير الخط الحديديّ، ونسفت أماكن عديدة منه لتعطيل نقل الجنود، وبالفعل تم تعطيل خط سكة الحديد الذي يبلغ طوله حوالي 1130كم ، من قبل جيش الأمير فيصل بن الحسين [4] ؛ حيث تم البدء بالأجزاء المهمة الواقعة في شمال المدينة المنورة بحيث تم تخريب أربعة وعشرين عقدًا من عقود الجسور الممتدة عليها قضبان السكة الحديدية في الوديان الكائنة بجهة محطة بواط [5].كما قضت أحداث، ومعارك الحرب العالميّة على خط سكة حديد الحجاز بسبب الجهود العسكريّة لنسفه، وتدميره بالمتفجرات في أكثر من موضع خاصة عام 1335هـ/ 1917م، وتم اشتراك سلاح الجو البريطانيّ في تدمير محطاته فيهذا العام نفسه[6].

بعد استقرار الأحوال السياسيّة للملك عبد العزيز بضم الحجاز [7] وإيمانًا منه بضرورة تسهيل المواصلات إلى المدينتين المقدستين مكة المكرمة، والمدينة المنورة خاصة مع وجود سكة حديد الحجاز التي بحاجة إلى بعض الإصلاحات بالتعاون مع الحكومتين البريطانيّة والفرنسيّة المشتركة بالسكة الحديد، وتنفيذًا لذلك جرت سلسلة من المباحثات الطويلة، و التي تمثلت في

اللقاءات المتكررة، والرسائل المتبادلة بينهما لمناقشة المسائل الإداريّة والفنيّة المتعلقة بإعادة تشغيل سكة حديد الحجاز على الصعيدالإسلاميّ والعربيّ.

أهمية وجود السكك الحديد في المدينتين المقدستين.

كان اهتمام الملك عبدالعزيز منصبًا على الحجاز بعد ضمه إلى حكمهلوجود الأماكن المقدسة في مكة المكرمة، والمدينة المنورة والطرق المؤدية إليها، ومن مظاهر هذا الاهتمام التيسير على حجاج بيت الله الحرام بإنشاء سكة للحديد بين جدة الميناء الرئيس لحجاج بيت الله الحرام،ومكة المكرمة التي بها بيت الله الحرام، فكان هذا الاقتراح من القضايا التي تمت مناقشتها في المؤتمر الإسلاميّ الأول [8] الذي عُقد في مكة المكرمة بعد ضم الحجاز لحكم الملك عبدالعزيز، بالإضافة إلى طلب الحكومات الاستعماريّةفي البلاد الإسلاميّة الدائم من حكومة الحجاز توفير وسائل النقل الحديثة، وتيسير المناسك ونشر الأمن في جميع الدروب التي يسلكها الحجاج. ومن أجل تحقيق هذه المطالب سعت الحكومة السعودية مع الحكومات الأخرى إلى إعادة تشغيل سكة حديد الحجازوإيصالها إلى المدينة، ومن ثم إلى جدة، ومنها إلى مكة المكرمة، ولحداثة تجربة السكك الحديد، وأوضاع الحكومة السعوديّة فهي في مرحلة التأسيس، ومعالم النهضة الحضاريّة لم تتضح بعد. فكانت أولى هذه المحاولات عندما حضر إلى الملك عبد العزيز مندوبًا من شركة مؤلفة برؤوس أموال شرقيّة عرض على جلالة ملك نجد والحجاز مد سكة حديد ما بين جدة ومكة فرفض طلبهم قائلًا: إنه سيحفظ حق مد هذه السكة للحجازيّين أنفسهم، ويعتقد أن هذا حق للحجازيّين؛ لأن مواصلات الحجاز مورد رزق لهم، وإذا اقتضى الأمر تطوير وسائل المواصلات فيجب أن يبقى ذلك دائمًا بأيدي الحجازيّين، وهم قادرون على ذلك [9].

ظلت الفكرة الخاصة بإنشاء سكة حديد بين جدة ومكة تراود ذهن الملك عبد العزيز خاصة أنها تيسر على الحجاج أداء مناسكهم، وتسهم بنقل البضائع من الميناء إلى داخل مكة المكرمة، وضمان توفر جميع الاحتياجات من المواد والسلع الاستهلاكيّة خاصة في موسم الحج، لجميع الأسباب السابقة تم توقيع الاتفاقية في 28/ 10/ 1351هـ الموافق 23/ 2/ 1933م بين وزير الماليّة السعوديّة، والسيد عبد القادر الجيلانيّ في مكة المكرمة بشأن إنشاء سكة حديد كهربائيّة بين جدة ومكة المكرمة، وحرص الملك عبد العزيز في الاتفاقيّة على المحافظة على حرمة المكان؛ حيث اشترط أن يكون جميع الموظفين من الفنيّين والإداريّين الأجانب مسلمين. كما اشترط الملك عبد العزيز أن يكون رأس المال من مصدر إسلاميّ، وأن يكون أصحاب الأسهم فيها مسلمين جميعهم،

وحفظ الملك عبد العزيز للحكومة والمواطنين نصيبًا من أسهم الشركة لتحسين الأوضاع الاقتصاديّة. وشدد على ضرورة أن يكون الخط والعربات والقطارات من الطراز الحديث. وأما فيما يخص الخطة التشغيليّة فقد أمر أن تؤمن رحلة قطار الركاب من جدة إلى مكة والعكس كل أربعة وعشرين ساعة على الأقل، بالاتفاق بين الحكومة والشركة على مواعيد الرحلات. وأما فيما يتعلق بمجلس إدارة الشركة فيشترط أن يكون عدد من أعضائهينتخب من قبل الحكومة، والنصف الآخر من المساهمين ماليًّا؛ كدعم لمشروع السكة. وقد كان الملك دقيقًا في تحديد موعد البدء في المشروع في شهر رجب من عام 1352هـ/ 1933م بشرط إذا انتهى شهر ذي الحجة 1352هـ/ 1933م ولم يتم البدء من قبل الشركة بالتنفيذ فللحكومة الحق في إلغاء الامتياز أو إبقائه، وعلى ضوء ذلك ولعدم مبادرة الشركة بالتنفيذ بادرت الحكومة السعوديّة بإلغاء الامتياز لعدم جديّة الشركة بالمشروع بسبب التكلفة الباهظة، واستخدمت الشاحنات والحافلات في النقل[10].

كانت تلك الاتفاقيّة نموذجًا من نماذج اهتمام الملك عبد العزيز بالنهضة الحضاريّة في مجال المواصلات، ومنها السكك الحديديّة بهدف تحقيق جميع وسائل التنمية في دولته حتى تستطيع مواكبة التقدم في الدول العربيّة المجاورة، ومن أجل ذلك سعت الحكومة بالعمل على إيجاد السكك الحديديّة إما عن طريق إصلاح، وترميم، وإعادة تشغيل ما كان قائمًا، منها مثل: سكة حديد الحجاز.

الحالة السياسيّة والفنيّة لسكة حديد الحجاز.

بعد ضم الملك عبد العزيز الحجاز في عام 1344هـ/1925م أصبحت مسألة إصلاح السكة الحديديّة، من المسائل المشتركة بين حكومة الملك عبد العزيز، والحكومات الأخرى ذات العلاقة بالموضوع؛ لأنّالخط الحديديّ كان يمر في أراضي الدولة العثمانيّة، ولكن بعد خسارتها في الحرب العالميّة الأولى، أصبح يمر في أربع دول، نتيجة لتغيير الخريطة السياسيّة في المنطقة العربيّة بعد أن تعددت الحكومات السياسيّة التي تحكمها. كان القسم الأول من الخط الحديديّ من دمشق إلى درعا تابعًا لحكومة فيصل بن الحسين في سوريا ثم لفرنسا بصفتها دولة الانتداب تحت إدارة شركة دمشق- حماة الفرنسيّة، والقسم الثاني يتبع فلسطين الذي استولت بريطانيا على قسم فلسطين، وسلمته إلى إدارة الخطوط بفلسطين، والقسم الثالث يتبع حكومة شرق الأردن، وعندما انضمت العقبة [11] ومعان [12]إلى شرق الأردن عام 1344هـ/ 1925م تسلمت إدارة خطوط فلسطين الخط الحجازيّ حتىالمدورة[13] عند الكيلو 577 جنوب دمشق،وكل منهما يتبع

بريطانيا، والقسم الرابع والأخير من معان إلى المدينة المنورة ويتبع حكومة المملكة العربيّة السعوديّة [14].

تعد مسألة سكة حديد الحجاز من المسائل ذات الخلاف بين حكومة الملك عبد العزيز، والحكومتين البريطانيّة والفرنسيّة، وتباعدت فيها وجهات النظر حسب المصالح الاقتصاديّة التي تراها الحكومات الاستعماريّة في نطاق أراضيها. خاصة مع تعدد محطاتها نظرًاإلى طوله، وتعدد المناطق التي يخدمها، ومنها محطة دمشق التي يوجد بها العديد من الآلات والأدوات الثمينة للسكة الحديد. كما توجد محطة أخرى أكبر من سابقتها في حيفا، وتعد من أعظم محطات الخط، غنى بما فيها من مصنع، ومركبات، وأدوات، ومعنى ذلك أن أجزاء السكة الواقعة تحت سلطة الفرنسيين والإنكليز هي الأجزاء الغنيّة، وبحالة جيدة، ولم تتعرض للتخريب أو الدمار [15].

في حين أن الملك عبد العزيز كان يرى فيها خدمة حجاج بيت الله الحرام، وتيسير الوصول إلى المدينة المنورة، وهو الهدف الأساس الذي أنشئت من أجله. كما أن مصدر تمويل الإنشاء والتشغيل خلال السنوات التي سبقت قيام الحرب العالميّة الأولى كانت بأموال المسلمين ما يعني أنها وقف إسلاميّ خاص بالمسلمين، ولا تعدُّ من أملاك الدولة العثمانيّة، أو من غنائم الحرب العالميّة الأولى حتى يتم التنازع عليها، وكانت له إدارة مستقلة بعيدًا عن ميزانية الدولة؛ لأنها تعده وقفًا إسلاميًّا، وكان في البداية مرتبطًا بلجنة عُليا في الآستانة يُرجع إليها في شؤونه العامة ثم أصبحت لها إدارة مستقلة في الأوقاف، وعلى هذا الأساس جاءت جهود الملك عبد العزيز من أجل إعادة تشغيلها.أما الحكومتان الفرنسيّة، والإنجليزية ترى أحقيتها بالسكة الحديد، وحجتهم في ذلك بيان سان لوزان [16] الذي عُقد في عام 1341هـ/ 1923م بين تركيا والحلفاء، وهو أن كل دولة تملك الجزء من الخط الذي يقع في أراضيها، ولم تقرر شيئًا بالنسبة إلى مصير الخط الحجازيّ وتشغيله؛ لأنّ الفرنسيين والإنجليز كانوا متفقين على تأليف لجنة عُليا من المسلمين يكون مقرها المدينة المنورة، ومهمتها النظر في شؤون الخط والعمل من أجل إصلاحه [17]. وفي مؤتمر باريس الذي عُقد في أول ذو الحجة 1343هـ الموافق أول يوليو سنة 1925متنفيذًا للمادة 118 من معاهدة لوزان [18]التي تقضي بعقده بعد مرور شهر من صدور حكم الحكم الدوليّ الذي عهدت إليه عصبة الأمم النظر والحكم في اعتراضات الدول ذات العلاقة بالديون العثمانيّة العامة، وعندما عقد المؤتمر وحضرته الدول ذات العلاقة بالديون، أرسلت الحكومة الحجازيّة مندوبًا عنها إلى الاحتجاج على ما لحق مملكة الحجاز من ظلم بسبب إقرار هذا المبدأ في توزيع الديون [19].

جهود الملك عبد العزيز في إعادة تسيير سكة حديد الحجاز:

بدأت جهود الملك عبد العزيز في إعادة تشغيل سكة حديد الحجاز بعد ضم الحجاز إلى حكمه، ومما يدلُّ على ذلك محادثاته مع ستانلي روبرت جوردان الوكيل والقنصل البريطانيّ بالنيابة في جدة عام 1344هـ/ 1925م. كما تم مناقشة موضوع إصلاح السكة الحديديّة في معاهدة جدة عام1346هـ/ 1927م وطلبت المشاركة في مراقبة سكة حديد الحجاز [20]. وقد استعانت حكومة الحجاز في عام 1346هـ/1927م بالمهندس والخبير، ورئيس البعثة الهندسيّة المصريّة التي توجهت إلى الحجاز لمعالجة مسألة المواصلات، وقد أتمت مهمتها خلال شهرين، ورفعت للملك عبد العزيز نتائج عملها، ومن ضمنها سكة حديد الحجاز، وقدرت الأموال اللازمة للإصلاح بأكثر من مائتي ألف جنيه، تنفق على القاطرات والقطارات، كما تحدثت اللجنة عن رأيها فيما يتعلق بهذه القضية، وذكرت أن هذا الخط بكل أجزائه يعدُّ من أوقاف المسلمين، وليس من الغنائم الحربيّة، وأن ما تطلبه الحكومة العربيّة حق صريح لا علاقة له بالسياسة [21].

كما أن أمر إعادة تشغيل خط سكة الحديد كان يشغل علماء المسلمين المؤيدين للحكومة السعوديّة في الرأي بأنه حق للمسلمين لابد من استرجاعه من القوى الاستعماريّة، ومنهم السيّد محمد أمين الحسينيّ[22] مفتي القدس، ورئيس مجلس فلسطين الذي اقترح في مؤتمر مكة الإسلاميّ العام السعي لإعادة تشغيل سكة الحجاز الحديديّة الموجودة ببعض فروعها الآن تحت يد حكومات فلسطين، وشرق الأردن وسوريا إلى حكومة الحجاز؛ لأنّ هذا الخط وقف إسلاميّ خاص بالحجاز، وكان المؤتمر قد اهتم بتوفير وسائل المواصلات، وتسهيل أمر الحج، وإزالة العقبات التي تعترض المسلمين عند أداء فريضتهم، وأكد أن سكة الحديد الحجازيّة وقفًا إسلاميًّا؛ لأنها أنشئت بأموال المسلمين، كما أن وقفيّة السكة مسجلة في دائرة المشيخة الإسلاميّة في الإستانة[23]، وفي دائرة الأوقاف العثمانيّة، لذلك دعوا إلى تشكيل لجنة تتسلم المشروع كاملاً من حكومة سوريا، وفلسطين وشرق الأردن، وفي حال تم رفض التسليم من قبل أي دولة لعرقلة مشروع الإصلاح تُرفع دعوى لدى محكمة العدل الدولية في لاهاي للمطالبة بتسليم هذا الوقف الإسلاميّ، كما تدعو لجمع التبرعات النقديّة والعينيّة من الأقطار الإسلاميّة للمشاركة في إصلاحه[24].

كما كان ليوسف ياسين [25] مدير خارجيّة الحجاز بالوكالة دور في المباحثات من أجل إعادة العمل في سكة حديد الحجاز باسم الحكومة عندما ذهب في زيارة خاصة للقنصليّة الفرنسيّة في جدة، وذكر أنّ حكومة مملكة

الحجاز تنوي إعادة التباحث في سكة حديد الحجاز بمناسبة وصول جلبرت كلايتون[26] لاستئناف المحادثات التي انقطعت في شهر ديسمبر من العام 1345هـ/ 1926م في وادي العقيق [27] بالمدينة المنورة مع ضرورة الأخذ بالاعتبار توفير الأمن على طول الطريق عن طريق الحراسة، وتنظيم المواصلات عبر السكة الحديد، والتوزيع العادل للمعدات بين الأقسام الفلسطينيّ، والسوريّ، والحجازيّ، وتقديم الخدمات لحجاج بيت الله الحرام [28]. ومن جهود الملك عبد العزيز، وحرصه على المشاركة في تشغيل السكة الحديديّة لأهميتها الدينيّة، والاقتصاديّة، والاجتماعيّة أكد استعداده لاستلام سكة حديد الحجاز بأكملها في إدارتيها: البريطانيّة والفرنسيّة، وذلك مقابل دفع مبالغ كبيرة تعادل نفقات هذه السكة، ومعداتها بحدودها الجغرافيّة من جنوب عمان حتى المدينة بشرط أن يكون تحت سلطته، وأن تتعهد حكومتا الانتداب في البلاد التي تشاركه خط سكة الحديد، وأن تمداه بالمساعدة الماديّة والفنيّة. كما شدد على ضرورة إصلاح سكة حديد الحجاز في أقرب وقت ممكن، وقبل موسم الحج القادم عام 1346هـ/1928م إن أمكن على اعتبار أنه تم الاعتراف بملكية السكة للعالم الإسلاميّ، وأنّ حكومة الحجاز هي السلطة الوحيدة المؤهلة لإدارتها[29]. ونتيجة لما سبق تم الاتفاق بين الحكومتين الفرنسيّة والبريطانيّة على عقد مؤتمر حيفا[30] خلال الأشهر الثلاثة الأولى من العام 1347هـ/ 1928م؛ لمناقشة موضوع سكة حديد الحجاز، وسيضم المؤتمر مندوبين تقنيين من الدول الأربع المعنية بسكة الحديد، وهي الحجاز، وسوريا، وفلسطين، وشرق الأردن للنظر في المسائل التقنيّة، وسيدرس المؤتمر الأعمال الضروريّة؛ لإصلاح الخط، ووضع كشوف تقديريّة بالنفقات، والنظر في طرق سدادها، وتنظيم القطارات، وتحديد ما يمكن منحه للقسم الحجازيّ من القاطرات والعربات، وذلك بالتنسيق بين الحكومتين الفرنسيّة والبريطانيّة [31].

شاركت حكومة الحجاز في مؤتمر حيفا، وانتدبت بالنيابة عنها فؤاد حمزة [32] بصفته وكيل وزارة الخارجية، والدكتور عبدالله الدملوجي [33] القائم بالشؤون الخارجيّة في الحجاز، وخالد بك الحكيم [34] المختص في شؤون سكة حديد الحجاز الحديديّة منذ إنشائها، والمتابع لدخلها والشاهد على حقوق المسلمين فيها[35].

في تلك الأثناء جاءت وجهة نظر الحكومة السعوديّة مختلفة عن وجهة النظر الخاصة بالحكومتين الفرنسيّة والبريطانيّة، والذي نتج عنه اختلاف الموقف في كيفيّة معالجة إصلاح خط السكة الحديد، وإعادة تسييرها بشكل كامل، ولجميع أجزائها.لذلك اتجهت الحكومتان الفرنسيّة والبريطانيّة إلى معالجة

المسائل التقنيّة من الصيانة والتشغيلوغيرها، والحكومة السعوديّة إلى مناقشة الأمور الجوهريّة، وهو اعتراف الدول المشاركة في المؤتمر بإقرارهم بأحقية المسلمين فيه باعتبار أنه وقف إسلاميّ، بالإضافة إلى معرفة الجهة المكلفة بالإشراف عليه في خدمات الإدارة،والتشغيل، والصيانة والحراسة. والحقيقة أن الأضرار التي تعرضت لها سكة الحديد في الحرب كانت بسبب الحلفاء، وأن على هؤلاء دفع التعويضات، وإصلاح جميع الأضرار خاصة أنها متعلقة فقط بالجزء الذي بين معان والمدينة المنورة [36].

كما شارك جماعة من السوريين الوطنيين الموقف ذاته مع الملك عبدالعزيز في المطالبة بإعادة تشغيل سكة الحديد مع ضمان ملكيتها للمسلمين ففي عام1348هـ/ 1929م اجتمع خالد الحكيم موفد الملك عبد العزيز آل سعود إلى سوريا للقائهم، واقترح تسليم إدارة سكة حديد الحجاز للملك عبد العزيز باعتبار أن السكة وقف إسلاميّ، وأنّ الملك حاكم دولة إسلاميّة مستقلة، وهو أحق الحكومات بإدارتها [37]. وعندما انتهت أعمال مؤتمر حيفا الأول بدون نتيجة تلقت حكومة الحجاز دعوة من مفتي القدس لإرسال ممثل عنها في المؤتمر الإسلاميّ الذي عُقد في القدس في الفترة من 27 رجب إلى 7 شعبان 1350هـ الموافق -6 16 ديسمبر من العام 1931م،وأكدالطابع الإسلاميّ لخط سكة حديد الحجاز مع التوصية بالتحرك لاسترداده في أقرب وقت ممكن، وجاء موقف الملك عبد العزيز من المؤتمر بالموافقة على المشاركة، مع ضرورة التأكيد من قِبل جميع الأطراف المعنيّة على تجديد الحقوق الإسلاميّة [38].

كان الملك عبد العزيز قد أعلن استعداده لإصلاح سكة حديد الحجاز في الحدود الجغرافيّة الواقعة بين تبوك والمدينة المنورة عن طريق مهندسين مصريين وهنود سيقومون بالإشراف على العمل؛ لأنّ الحكومة السعوديّة لن تسمح إلا للمهندسين المسلمين بالعمل في الخط في المنطقة الواقعة بين العلا والمدينة، جاء إصرار الملك عبد العزيز على إصلاح السكة الحديد من جديد ومدها من أجل تسهيل الحج عن طريق البر [39]. وعلى أساس مبادرة الملك عبد العزيز بالإصلاح جرت المفاوضات بين الملك عبد العزيز والحكومة البريطانيّة والفرنسيّة على عقد مؤتمر ثانٍ في حيفا يناقش البحث على إصلاح الخط برئاسة مهندس السكة رشيد الغزّيّ، وبعد الانتهاء من أعمال الكشف توجهت اللجنة إلى حيفا لحضور المؤتمر، وعقد الاجتماع في 12رجب 1354هـ الموافق 10أكتوبر 1935م. وتألّف الوفد الفرنسيّ من ثلاثة أعضاء برئاسة المسيو فاسليه مستشار الأشغال العامة، بالإضافة إلى شركات الاستثمار في المفوضيّة الفرنسيّة، كما يرأس الوفد البريطانيّ المستر وب مدير سكك الحديد

في فلسطين، ورئيس المؤتمر، ومعه عدد من الاختصاصيين. من أهم المسائل التي بدأ المؤتمر بمناقشتهاكانت تتعلق بتسيير الخط الحديديّ بين معان والمدينة المنورة، وهذا يتطلب الكشف عن القسم المعطل لمعرفة مبلغ الإصلاح في مسافة تزيد على 703 كيلو مترات من أراضي المملكة، وقدّم الوفد السعوديّ تقريرًا عن نتائج الكشف على الخط، وتعيين مدى الإصلاح الذي يجب القيام به، وتحديد النفقات المقدرة التي يتطلبها الإصلاح، وهذا الأمر يتطلب النظر في الدخل المدخر سابقًا لدى حكومتي فرنسا وإنكلترا، فإن كان كافيًا يتم البدء بالإصلاح على الفور، وإن لم يكن، فلابد من إيجاد حلول مناسبة في ظل الإمكانات المتاحة إما بتوفير مبالغ الإصلاحات من الحكومات المشتركة في خط السكة الحديديّة،أو الاستدانة باسم الخط وحسابه، إلا أنهم سرعان ما أعلن المندوب الإنجليزيّ والفرنسيّ في نهاية المؤتمر عن عجزهم عن توفير النفقات الماليّة التي يحتاج إليها الخط بحجة عدم وجود صلاحيات لديهم، فكانت نتيجة الاجتماع كسابقه دون نتيجة تذكر[40].

في عام 1357هـ / 1938م طلبت الحكومة السعوديّة من بريطانيا إصلاح جزء من سكة الحديد، كما طلبت في مذكرة أخرى للمفوضتين البريطانيّة والفرنسيّة بشأن خط سكة حديد الحجاز أن تعامل الخط بأكمله كوحدة واحدة من حيث الإدارة [41]. كما استفسرت عن النتائج التي توصل إليها مؤتمر حيفا من المندوب الساميّ البريطانيّ في فلسطين حول المؤتمر خاصة بعد اقتراح وزارة المستعمرات البريطانيّة التفكير جديًّا في تمويل مشروع إصلاح سكة الحديد، وذلك لأغراض سياسيّة، وليست اقتصاديّة، وكانت النتيجة تطابق وجهات النظر البريطانيّة والفرنسيّة بشأن سلبيات المشروع، وعدم الرغبة في الالتزام بإحيائه، واتفقت الحكومتان على تأخير الرد على الطلب السعوديّ حتى تتضح الصورة بشكل أفضل[42]. وأما فيما يخص الموقف السوريّ من هذه المسألة بعد أن اتضحت جميع وجهات نظر الحكومات المشاركة في سكة الحديد تصدر الموقف شكري القوتلي [43] بصفته وزير الماليّة السوريّة، وأبدى للملك عبد العزيز استعداد الحكومة السوريّة للمشاركة في إصلاح خط السكة الحديد، ولقي هذا التصريح قبولًا لدى الملك عبد العزيز الذي أبدى استعداده للمشاركة في إصلاحه. كما شدد الموقف السعوديّ السوريّ على ضرورة إصلاح سكة الحديد مع الحكومات التي تشاركها فيها، في الوقت ذاته جاء رد الحكومة البريطانيّة في صعوبة ترميم الجزء الحجازيّ من الخط، والصعوبات التي تعترض الإنشاء ولكنها ترغب في مناقشة الحكومة السعوديّة في إعادة تسيير السكة في الجزء السعوديّ، وأن حكومة شرق الأردن ستساهم بمبلغ من المال في

عمليّة الإصلاح، في حين جاءت التكاليف المقدرة للإصلاح حوالي ثلاثمائة ألف جنيه إسترليني، وأن عدد الحجاج، وكمية الشحن لن تغطي تكلفة التشغيل[44].

بعد المواقف السابقة من قبل الحكومات الاستعماريّة تكونت لجنة للدفاع عن حقوق المسلمين في سكة حديد الحجاز لعقد مؤتمر في جدة يحضره ممثلون من السعوديّة، وسوريّة، وفرنسا، وبريطانيا بغرض التوصل إلى اتفاق فيما يتعلق بإصلاح الجزء المدمر من خطة سكة حديد الحجاز، ومساهمة الحكومة البريطانيّة بمبلغ ثلاثين ألف جنيه إسترليني فقط؛ حيث إن التكلفة التقريبيّة لإعادة إنشاء الجزء المار من معان إلى المدورة الذي بدونه سيصبح الجزء المار بالمملكة عديم الجدوى تتراوح بين 200 إلى 300 ألف جنيه إسترليني، وعلى الحكومة السعوديّة اتخاذ التدابير اللازمة للحصول على باقي النفقات من مصادر أخرى [45].

في عام 1357هـ/ 1938م كانت الحكومة البريطانيّة تسعى لكسب ود الملك عبدالعزيز خاصة مع بداية قيام الحرب العالميّة الثانية، وتسعى لوقف التباعد الذي بدأ يظهر بوضوح على العلاقات السعوديّة البريطانيّة، والذي يجب اتخاذ العمل لوقفه، رغم أن الإجراء والموضوع الذي يمكن لبريطانيا من خلاله محاولة إرضاء الملك عبدالعزيز هو موضوع سكة حديد الحجاز التي سوف تتكفل بإصلاح الجزء الممتد بين المدورة ومعان، وذلك بالتعاون مع الحكومة الفرنسيّة في هذا المجال دون فرض أي قيود ماليّة عليها [46]، لذلك وافقت على المشاركة في مؤتمر جدة الذي ناقش العقبات الاقتصاديّة، والتكلفة الماليّة، وشارك في دعم اقتراح الحكومة السوريّة فيما يتعلق بتقدير تكلفة الإصلاح؛ حيث يجب أن يتم هذا التقدير من قبل المهندسين البريطانيّين والفرنسيّين[47].

انقطعت المحادثات المتعلقة بسكة حديد الحجاز أثناء الحرب العالميّة الثانية، وتجددت بعد الانتهاء منها عام 1364هـ/ 1945م. وعندما تقرر استقلال سوريا ولبنان أصدر مجلس الشعب السوريّ قرارًا بمطالبة شركة سكة حديد دمشق/ حماة الفرنسيّة بفسخ الاتفاق الذي عُقد بينها، وبين حكومة الانتداب الفرنسيّ عام 1342هـ/ 1923م، وتسليم ما تحت يدها من قبل من الأمانات المتعلقة بالسكة الحديديّة، وتسليمها إلى الإدارة الشرعيّة المسؤولة عن الأوقاف[48]. وعندما ظهرت على الساحة السياسيّة جامعة الدول العربيّة كمنظمة عربيّة يسهل من خلالها إجراء المباحثات اللازمة لإعادة تشغيل السكة الحديد، تم عقد أول اجتماعاتها في مؤتمر المواصلات في لبنان بتاريخ 4/6/ 1365هـ الموافق 1/8/1946م، وكان من نتائجه تكليف الدول العربيّة ذات العلاقة بالخط الحجازيّ بدراسة أحواله،والاتفاق على إعادة تسييره، فسارعت كلا من السعوديّة

وسوريا والأردن بتلبية الدعوة، وعلى ضوء ذلك عُقد الاجتماع المتعلق بقضية إعادة تشغيل السكة في دمشق بتاريخ 27جمادى الأولى 1366هـ الموافق 18 إبريل 1947م في مكتب رئيس الوزراء السوري، وضم كلًا من سمير الرفاعيّ بصفته رئيس الوزراء وزير الخارجيّة الأردنيّة، ويوسف ياسين نائب وزير الشؤون الخارجيّة السعوديّة، وخرج بعدد من القرارات أهمها: الإقرار على أن الخط وقف إسلاميّ يجب المحافظة عليه رغم جميع الظروف السياسيّة والاقتصاديّة، والعمل على هذا المبدأ عند الدفاع عنه، وأن الخط بجميع فروعه هو وحدة كاملة، وغير قابلة للتجزئة، وهو المبدأ الذي نادى به الملك عبدالعزيز منذ بدء المسألة، وهذا يدلّ على النظرة الثاقبة في قراءة الأحداث، والإصرار على المبادئ وعدم التنازل عنها [49]. من هنا بدأت الدول الثلاث بالدراسات الفنيّة للطريق، وتقدير النفقات اللازمة للإصلاح، وتم التعاقد مع شركة بكتل الأمريكيّة العالميّة للقيام بعملية المسح، وشكلت شركة سعوديّة بالتعاون مع شركة إسبانيّة ويابانيّة، وذلك للاستعانة بالخبرات المختلفة في تشغيل سكة حديد الحجاز [50].

بالرغم من تعدد المباحثات بين الحكومات ذات العلاقة بطرق متعددة من الاجتماعات الرسميّة، أو الرسائل والبرقيات الرسميّة المتبادلة السريّة منها، وغير السريّة إلا أنها لم تصلإلى نتيجة تذكر، واستمرت خلال عقدي الستينات والسبعينات الهجريّة مباحثات مطولة بين مسؤولين من حكومات المملكة العربيّة السعوديّة، والمملكة الأردنيّة الهاشميّة، والجمهوريّة السوريّة لإنشاء خط حديديّ جديد من القياس العريض؛ ليكون بديلًا عن الخط الضيق السابق، يصل بين الأقطار العربيّة الثلاثة، ويساهم في تنشيط حركة التجارة بينها، وييسر عملية نقل السكان، والحجاج فيما بينها. ومن أمثلة ذلك جهود الملك سعود[51] الذي أمر بإعادة تسيير الخط، فأدخلته وزارة المواصلات ضمن مشروعاتها، وخصصت الحكومة السعوديّة المبالغ اللازمة للإصلاح، ولكن تلك المباحثات لم تسفر عن نتيجة حتمية[52].

الخاتمة:

إن اهتمام الملك عبدالعزيز بإصلاح سكة حديد الحجاز كان من أجل توفير وسائل نقل حديثة للحجاج، وتيسير المناسك، ونشر الأمن في جميع الدروب التي يسلكها الحجاج، ولتحقيق ذلك سعت الحكومة السعودية إلى إعادة تشغيل سكة حديد الحجاز. ونظرًا إلى امتداد الخط، وتباين أحواله الفنيّة فقد كانت أعظم محطات الخط غني، وبحالة جيدة هو ذلك الجزء الذي يقع تحت سيطرة الحكومتين: البريطانيّة والفرنسيّة.

أمـا بالنسـبة إلى جـزء السـكة الحديـد الواقـع ضمـن حـدود الحكومـة السـعوديّة مـن المـدورة إلى المدينـة المنـورة، فقـد دمـرت العديـد مـن أجزائـه. ولذلـك كان لابـد مـن البحـث، والوصـول إلى نقطـة تتوحـد فيهـا الجهـود لإعـادة تشـغيلها، ولكـن في تلـك الاجتماعـات تباعـدت فيهـا وجهـات النظـر حسـب المصالـح الاقتصاديّـة التـي تراهـا الحكومـات الاسـتعماريّة في الأجـزاء الواقعـة ضمـن نطـاق أراضيهـا. وكان الملـك عبدالعزيـز يـرى فيهـا خدمـة حجـاج بيـت اللـه الحـرام، وتيسـير الوصـول إلى المدينـة المنـورة هـو الهـدف الـذي أنشـئت مـن أجلـه.

إن جهـود الملـك عبدالعزيـز كان لـه أكـبر الأثـر في نفـوس المسـلمين خاصـة عندمـا تصـدر الموقـف في الدفـاع عـن قضيـة سـكة الحديـد الأولى، والمتمثلـة في ملكيّـة الخـط قبـل البـدء في مناقشـة الأمـور الفنيـة والهندسـية المتعلقـة بهـا.

النتائج:

لقـد تـم بحمـد اللـه وتوفيقـه إكمـال هـذا البحـث الموسـوم بـجهود الملـك عبـد العزيـز في إصـلاح سـكة حديـد الحجـاز في الفـترة 1344هـ1373-هـ/ 1926-1953م. وتوصـل إلى النتائـج الآتيـة:

- تبنـى الملـك عبدالعزيزمسـألة إعـادة تشـغيل سـكة حديـد الحجـاز، وتعامـل معهـا عـلى أنهـا مسـألة تهـم الأمتـين العربيّـة والإسـلاميّة.
- شـارك الملـك عبدالعزيـز عـن طريـق انتـداب ممثلـين عنـه في العديـد مـن المؤتمـرات لرغبتـه في الوصـول إلى اتفـاق جـاد لحـل مسـائل السـكة الحديـد التـي تداخلـت فيهـا المصالـح السياسـيّة والاقتصاديّـة.
- إنَّ قضيـة الملـك عبدالعزيـز كانـت جوهريّـة تتعلـق بملكيّـة الخـط، والمحافظـة عـلى حقـوق المسـلمين فيها،والتعامـل معـه عـلى أنهـا وقـف إسـلاميٌ، ولا يعتـدُّ مـن أمـلاك الدولـة العثمانيّـة حتـى يصبـح مـن غنائـم الحـرب العالميّـة الأولى للـدول المنتـصرة.
- إنَّ أكثـر أجـزاء السـكة تـضررًا كانـت في الجـزء الواقـع ضمـن نطـاق حكـم الملـك عبدالعزيـز بـين معـان والمدينـة المنـورة، في حـين كانـت بقيـة أجـزاء الخـط بحالـة جيّـدة وليسـت بحاجـة الى إصلاحـات.
- كان للحـرب العالميّـة الثانيةتأثـيرٌ سـلبيٌ في انقطـاع المحادثـات بـين الحكومـات ذات العلاقة لانشـغالها بشـؤونها الداخليّـة والخارجيّةللوصول إلى اتفـاق يـرضي جميـع الأطـراف.
- تجـددت الآمـال في إعـادة تشـغيل سـكة حديـد الحجـاز بعـد نهايـة الحـرب العالميّـة الثانية،واسـتقلال الـدول العربيّـة المشـتركة بالسـكة الحديـد مـع البـدء بمرحلـة جديـدة مـن المباحثات،والاجتماعـات، وكتابـة

التقاريـــر الفنيّـــة المتعلقـــة بها،ولكـــن في نهايـــة المطـــاف لـــم تتوصـــل الحكومـــةالســـعوديّةبالتعـــاونمـــعالأطـــرافذاتالعلاقـــةلنتيجـــةتذكـــر.

- اســـتمرار المحـــاولات لإعـــادة تشـــغيل ســـكة حديـــد الحجـــاز حتـــى بعـــد وفـــاة الملـــك عبدالعزيـــز خاصـــة في عهـــد الملـــك ســـعود.

المصادر والمراجع:

أولاً: الوثائق.

أ-الوثائق غير المنشورة.

الأرشيف البريطانيّ.

(1)وثيقة عنوانها: إصلاحات الجزء المدمر من سكة حديد الحجاز من معان إلى المدينة المنورة،المكتبة البريطانيّةرقمها: E6260/1257/5، لندن تاريخها 15/ 9/ 1357ه الموافق 7/11/1938م.

(2)وثيقة عنوانها: مباحثات الحكومات المشتركة في خط سكة الحديد لإعادة تشغيلها، المكتبة البريطانيّة، رقمها: 765 E4/1237/25، لندن تاريخها 22/6/1357ه الموافق 18/8/ 1938م.

(3)وثيقة عنوانها: مؤتمر جدة، المكتبة البريطانيّة، رقمها: E4535/2768/7، لندن تاريخها 26/8/ 1357ه الموافق 19/10/ 1938م.

(4)دارة الملك عبدالعزيز.

(5)وثيقة ألمانيّة، عنوانها: سكة حديد جدة- مكة، رقم الملف: 13277، بدون تاريخ، دارة الملك عبد العزيز.

(6)وثيقة ألمانيّة، عنوانها: مشاريع السكة الحديديّة في الحجاز، رقم الملف: 21532، بدون تاريخ، دارة الملك عبد العزيز.

(7)وثيقة بريطانيّة،عنوانها: إعادة تشغيل خط سكة حديد الحجاز، رقمها 3380، تاريخها 23/11/ 1344ه الموافق 3/6/ 1926م، دارة الملك عبد العزيز، الرياض.

(8)وثيقة هولنديّة، عنوانها: مشروع السكة الحديديّة بين جدة ومكة في عام 1933م، رقم الملف24796، تاريخها 1933م، دارة الملك عبد العزيز.

ب-الوثائق المنشورة:

من كتاب سعد الصويان وآخرون، الملك عبد العزيز سيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبيّة، ط1، دار الدائرة للنشر والتوثيق، الرياض 1419ه/ 1999م.

1 -الوثائق البريطانية:

(1)وثيقة بريطانيّة، رقمها 371 Fo/15297(4)، موقف الملك عبد العزيز آل سعود تجاه خط سكة حديد الحجاز، تاريخها 5/12/ 1348ه الموافق 3/5/1930م.

(2)وثيقة بريطانيّة، رقمها 371 FO/15297(5)، عنوانها: مناقشة

الحجـج البريطانيّـة والفرنسـيّة مـع الملـك عبـد العزيـز، تاريخهـا 3/2/ 1352هـ الموافـق 17/7/ 1931م.

(3)وثيقـة بريطانيّـة، رقمهـا 371 FO/62097(1)،عنوانهـا: محـضر اجتمـاع في دمشـق بشـأن سـكة حديـد الحجـاز، تاريخهـا 6/7/ 1366هـ الموافـق 26/5/1947م.

(4)وثيقـة بريطانيّة،رقمهـا FO371/13728(2)، عنوانهـا: إصـلاح سـكة حديـد الحجـاز مـن قبـل الملـك عبدالعزيـز، تاريخهـا 6/6/ 1350هـ الموافـق 17/10/1931م.

(5)وثيقـة بريطانيّـة، رقمهـا FO371/16022(7)، تاريخهـا 13/1/ 1351هـ الموافـق 18/5/1932م.

(6)وثيقـة بريطانيّـة، رقمهـا FO371/16024(17)، عنوانهـا: المؤتمـر الإسـلامي المنعقـد في القـدس، تاريخهـا: 10/10/ 1350هـ الموافـق 16/2/1932م.

(7)وثيقـة بريطانيّـة، رقمهـا FO371/21905(12)، عنوانهـا: موقـف سـوريا مـن إعـادة تشـغيل سـكة حديـد الحجـاز، تاريخهـا 1/2/ 1357هـ الموافـق 1/4/1938م.

(8)وثيقـة بريطانيّـة، رقمهـا FO371/21905(13)، عنوانهـا: المباحثـات بـين الحكومـات بشـأن سـكة حديـد الحجـاز، تاريخهـا 1/12/ 1356هـ الموافـق 1/2/1938م.

(9)وثيقـة بريطانيّـة، رقمهـا FO371/21906(4)، عنوانهـا: بريطانيـا تطلـب ود الملـك عبـد العزيـز بإصـلاح سـكة حديـد الحجـاز، تاريخهـا 22/6/ 1357هـ الموافـق 18/8/1938م.

(10)وثيقـة بريطانيّـة، رقمهـا FO371/21906(4)، عنوانهـا: موقـف بريطانيـا مـن الموقـف السـعوديّ السـوريّ مـن إعـادة تشـغيل خـط سـكةحديـدالحجـاز،تاريخهـا:24/2/1357هالموافـق24/4/1938م.

(11)وثيقـة بريطانيّـة، رقمهـا FO371/21906(6)، عنوانهـا: التشـاور حـول المشـاركة في مؤتمـر جـدة، تاريخهـا: 1/5/ 1357هـ الموافـق 28/6/1938م.

(12)وثيقـة بريطانيّـة، رقمهـا371 Fo/62097(1)، عنوانهـا: التقريـر السـنويّ الاقتصـاديّ لعـام 1365هـ/ 1946م، تاريخهـا 25/7/ 1366هـ الموافـق 14/6/1947م.

2 -الوثائق الفرنسيّة.

(1)وثيقة فرنسيّة، رقمها Arab-hedj.139(1/40-E-lev-18)، عنوانها: المباحثات حول سكة حديد الحجاز، تاريخها 1345/10/28ه الموافق 1927/4/30م.

(2)وثيقة فرنسيّة، رقمها LECOFJ/B/17(1)، عنوانها: موفد الملك عبد العزيز إلى سوريا، تاريخها 1348/5/14ه الموافق 1929/10/16م.

(3)وثيقة فرنسيّة، رقمها LECOFJ/B/6(8)، عنوانها موقف حكومة الملك عبد العزيز من مؤتمر حيفا، تاريخها 1347/3/26ه الموافق 1928/9/10م.

(4)وثيقة فرنسيّة، رقمها LECOFJ/B/6، عنوانها: المحادثات التي دارت بين الملك عبد العزيز والقنصل البريطانيّ في جدة، تاريخها: 1345/9/12ه الموافق 1927/3/5م.

ثانياً: المصادر والمراجع.

أ-المصادر العربيّة والمعربة.

(1)الزركلي: خير الدين، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت 1422ه/ 2002م.

(2)علي: محمد كرد، خطط الشام، ط3، مكتبة النوري، دمشق 1431ه/ 2011م.

(3)الغلامي: عبد المنعم، الملك الراشدجلالة الملك المغفور له عبد العزيز آل سعود، ط2، دار اللواء، الرياض 1400ه/ 1980م.

ب-المصادر المعربة.

(1)جارستلي: إسماعيل حقي، أمراء مكة المكرمة في العهد العثمانيّ، ترجمة: خليل علي مراد، ط1، دار العرب، دمشق، 1434ه/ 2013م.

(2)رتر: الدون، مدينتا الجزيرة العربية المقدستان، مج2، ط1، مركز تاريخ مكة المكرمة، 1433ه/2012م.

(3)فلبي: هاري سانت جون، الذكرى العربيّة للمملكة العربيّة السعوديّة، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض 1424ه/ 2004م.

ج- المراجع العربيّة والمعربة.

(1)آل فائع: أحمد بن يحيى، العلاقة بين الملك عبد العزيز والملك الحسين بن علي وضم الحجاز (1308-1344ه/ 1910-1925م)، ط1، دارة الملك عبد العزيز الرياض، 1433ه/ 2013م.

(2)بروكلمان: كارل، تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة: نبيه أمين فارس_منيرالبعلبكي،ط5،دارالعلمللملايين،ط1،بيروت،1968م.

(3)البلادي: عاتق غيث، معجم معالم الحجاز، ج4، ط2، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، 1431ه/2010م.
(4)الدقن: محمد، سكة حديد الحجاز الحميدية (دراسة وثائقية)، ط2، 1435ه/2014م.
(5)السماري وآخرون: فهد بن عبد الله، موسوعة تاريخ الملك عبد العزيز الدبلوماسي، ط1، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض 1419ه/1999م.
(6)الشريف: عبد الرحمن صادق، جغرافية المملكة العربيّة السعوديّة، ط2، دار المريخ،الرياض 1415ه/ 1995م.
(7)الشناوي: عبد العزيز محمد، الدولة العثمانيّة دولة إسلاميّة مفترى عليها، ط2، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة 1420ه/ 2000م.
(8)صابان: سهيل، المعجم الموسوعيّ للمصطلحات العثمانيّة التاريخيّة، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، الرياض 1421ه/ 2000م.
(9)العيسى: عبد العزيز محمد الفهد، أرشيف مملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها من عام (1343-1346ه/ 1924-1928م)، ط1، وزارة الثقافة، الرياض 1436ه/ 2016م.
(10)اللحياني: فهد مرزوق، المدينة المنورة في عهد الملك عبد العزيز (1343ه/ 1925م إلى 1373ه/ 1953م)، ط1، دارة الملك عبد العزيز، الرياض 1434ه/ 2013م.
(11)الوليعي: عبد الله ناصر، معجم البلدان والقبائل في شبة الجزيرة العربية والعراق وجنوبي الأردن وسيناء، ط1، دارة الملك عبد العزيز، الرياض 1435ه/ 2015م.

ثالثاً: الصحف والمجلات والدوريات.

(1)أحمد: علي، الخط الحديدي الحجازي، مجلة الحج والعمرة، وزارة الحج، السنة 24، ع9، مايو 1970م.
(2)جريدة أم القرى، سكة حديد الحجاز، العدد 77، السنة الثانية، 7 ذي الحجة 1344ه الموافق 17 يونيو 1926م.
(3)السعدون: خالد حمود، مقاومة القبائل لسكة حديد الحجاز أسبابها وتطوراتها خلال عامي (1326-1327ه/1908-1909م، دارة الملك عبدالعزيز.
(4)صحيفة القبلة، العدد17، السنة الأولى، يوم الخميس 5 ذي الحجة 1334ه.

(5)عبد القادر:أحمد، سكة حديد الحجاز رحلة الزمان والمكان، السنة الثالثة عشرة، العدد الثاني، محرم 1408هـ، دارة الملك عبدالعزيز.
(6)العبد الله: يوسف إبراهيم، إنشاء سكة حديد الحجاز (تنفيذ المشروع وسيره)، العدد26، مجلة بحوث الشرق الأوسط، مارس 2010م.
(7)مجلة الفتح، اقتراح السيد محمد أمين الحسيني مفتي القدس إعادة سكة الحجاز الحديدية، السنة الأولى، العدد الرابع، 28 ذو الحجة 1344هـ الموافق 8 يوليو 1926م، ص15.
(8)مجلة الفتح، السنة الرابعة، العدد 158، الخميس 18 صفر 1348هـ الموافق 25 يوليو 1929م.
(9)مجلة الفتح، سكة حديد الحجاز والملك ابن السعود، السنة الثالثة، العدد 147، السنة الثالثة، 29 ذو القعدة 1347هـ الموافق 8 مايو 1929م.
(10)مجلة الفتح، سكة حديد الحجاز، السنة العاشرة، العدد 463، 19 رجب 1354هـ الموافق 16 أكتوبر 1935م.
(11)مجلة الفتح، عنوان المقال: سكة الحجاز الحديدية، السنة الثالثة، العدد 107، الخميس 16 صفر 1347هـ الموافق 2 أغسطس 1928م.
(12)مجلة الفتح، مؤتمر سكة الحجاز، العدد 109، السنة الثالثة، غرة ربيع الأول 1347هـ/ 16أغسطس 1928م.
(13)مجلة الفتح، التقديرات الماليةلإصلاح السكة الحديدية الحجازية، العدد69، السنة الثانية، 9/5/1346هـ الموافق 1/11/ 1927م.

رابعاً: الموسوعات.

(1)الموسوعة العربيّة العالميّة، ط2، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض 1419هـ/1999م.

الهوامش:

(1)رتر، الدون، مدينتا الجزيرة العربية المقدستان، مج2، ط1، مركز تاريخ مكة المكرمة، 1433ه/2012م، ص602.

(2)بروكلمان، كارل، تاريخ الشعوب الإسلاميّة، ترجمة: نبيه أمين فارس_ منير البعلبكي، ط5، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، 1968م، ص594؛ الشريف، عبد الرحمن صادق، جغرافية المملكة العربيّة السعوديّة، ط2، دار المريخ،الرياض 1415ه/ 1995م، ج1، ص 398؛ عبد القادر، أحمد، سكة حديد الحجاز رحلة الزمان والمكان،السنةالثالثةعشرة،العددالثاني،محرم1408ه،الدارة،ص93.

(3)**الحسين بن علي**: حفيد الشريف محمد بن عون. ولد عام 1270ه/ 1853م بمكة المكرمة. كان عضوًا في مجلس شورى الدولة العثمانيّة في إستانبول بمرتبة وزير، تم تعيينه أميراً لمكة المكرمة. أسس للدولة الهاشميّة في الحجازالتي استمرت عشر سنوات. جارستلي، إسماعيل حقي، أمراء مكة المكرمة في العهد العثمانيّ، ترجمة: خليل علي مراد، ط1، دار العرب، دمشق، 1434ه/ 2013م، ص172.

(4)**فيصل بن الحسين**: فيصل بن الحسين بن علي الحسني – الهاشمي- كنيته (أبو غازي). ولد بالطائف عام 1300ه/1883م، تربى في بادية الحجاز. اختير نائبًا عن مدينة جدة في مجلس النواب العثمانيّ عام 1913م. زار دمشق عام 1916م، فأقسم على يمين الإخلاص للجمعيّة العربيّة الفتاة السريّة. ثار والده على الترك، فتولى فيصل قيادة الجيش الشماليّ. دخل سوريا عام 1918م بعد خروج الأتراك منها. سافر إلى باريس نائبًا عن والده في مؤتمر الصلح، وعاد إلى دمشق في أوائل عام 1920م، فنودي به ملكًا دستوريًّا على البلاد لشهور قليلة، حتى كانت وقعة ميسلون التي احتل فيها الجيش الفرنسيّ سوريا، ورحل الملك فيصل إلى أوروبا. وفي عام 1921م تقرر ترشيحه لعرش العراق من قبل الحكومة البريطانيّة، وفي المؤتمر الذي عُقد في القاهرة برئاسة ونستون تشرشل نودي به ملكًا على العراق، فانصرف إلى الإصلاح الداخلي، ووضع دستور للبلاد، وإنشاء مجلس للأمة، وأقام العلاقات بين العراق وبريطانيا على أسس المعاهدات، ووثّق العديد من العلاقات السياسيّة مع جيرانه، منها: السعوديّة، وإيران، وتركيا، وغيرها. الزركلي: خير الدين، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت 1422ه/ 2002م،ج5،ص 165-166.

(5)**بـواط**: وادي بـواط يقـع عـلى بُعـد 70 كيـلاً تقريبًـا غـرب المدينـة المنـورة، توجـد بـه محطـة لسـكة حديـد الحجـاز عـلى بُعـد 55 كيـلاً. البـلادي: عاتـق غيـث، معجـم معالـم الحجـاز، ج4، ط2، دار مكـة للنـشر والتوزيـع، مكـة المكرمـة، 1431هـ/2010م ، ج1، ص236. صحيفـة القبلـة، العـدد17، السـنة الأولى، يـوم الخميـس 5 ذي الحجـة 1334هـ، ص2.

(6)فلبـي، هـاري سـانت جـون، الذكـرى العربيّـة للمملكـة العربيـة السـعوديّة، ط1، مكتبـة العبيـكان، الريـاض 1424هـ/ 2004م، ص. العبـد اللـه، يوسـف إبراهيـم، إنشـاء سـكة حديـد الحجـاز (تنفيـذ المـشروع وسـيره)، العـدد26، مجلـة بحـوث الـشرق الأوسـط، مـارس 2010م،ص 429-448، ص 444. عبـد القـادر، سـكة حديـد الحجـاز رحلـة الزمـان والمـكان، ص92.

(7)**ضـم الحجـاز**: مـن الأسـباب التـي دفعـت الملـك عبـد العزيـز إلى ضـم الحجـاز اسـتمرار الشريـف حسـين في منـع حجـاج نجـد مـن أداء فريضـة الحـج حتـى سـنة 1342هـ/1923م، وسـعيه في إفسـاد مؤتمـر الكويـت الـذي كان يناقـش المشـكلات الحدوديّـة مـع العـراق، وشرق الأردن التـي كان للحكومـة الإنجليزيـة دور في حلهـا في مؤتمـر الكويـت، وأخفـق ذلـك المؤتمـر في تحقيـق الهـدف مـن إقامتـه. بالإضافـة إلى أطمـاع الأشراف في نجـد، وتلقـب الشريـف بالخلافـة، وأصبحـت المواجهـة أمـرًا محتمًـا. كمـا طلـب أشراف الحجـاز ووجهـاؤه مـن الملـك عبدالعزيـز يشـكون فيهـا مـن الملـك الحسـين وتعدياتـه عليهـم ويطالبونـه فيهـا بالتقـدم إلى الحجـاز ومناصرتـه، وهـذا يعنـي وجـود معارضـة في الطائـف ومكـة وجـدة للملـك حسـين وسياسـته، و ممـا سـاعد عـلى السـيطرة في الحجـاز حركـة الإخـوان التـي أصبحـت تنتـشر داخـل الحـدود الحجازيّـة، ووصلـت إلى شـمال المدينـة المنـورة منـذ عـام 1338هـ/1920م. جـاء ضـم الحجـاز عـلى مراحـل، كان آخرهـا عـام 1344هـ/1925م باستسـلام جـدة، ومغـادرة الشريـف عـلي للحجـاز في يـوم الثلاثـاء 29 جمـادى الأولى 1344هـ/ 15 ديسـمبر 1925م. آل فائـع، أحمـد بـن يحيـى، العلاقـة بـين الملـك عبدالعزيـز والملـك الحسـين بـن علي وضـم الحجـاز (1308-1344هـ/ 1910-1925م)،ط1، دارة الملـك عبدالعزيـز الريـاض، 1433هـ/ 2013م، ص 245-249.

(8)**مؤتمـر مكـة الإسـلاميّ**: عُقـد بعـد ضـم الملـك عبـد العزيـز الحجـاز بدعـوة منـه ـــــ يرحمـه اللـه ـــــ إلى ملـوك العالـم الإسـلامي وأمرائـه وشـعوبه، تألّف المجلـس مـن تسـعة وخمسـين عضـوًا، عُقـدت أولى جلسـات المؤتمـر في يـوم

الاثنين 26 ذي القعدة 1344ه الموافق 6 يونيو 1926م، تمت مناقشة القضايا التي تهم المسلمين، وأهمها الحجاز، ومكانته الدينيّة، وضرورة الحفاظ على الأمن، وتجنيبه الحروب؛ لأنه مقصد كل المسلمين في كل عام، واقترح إقامة سكة للحديد بين جدة ومكة المكرمة، كما أقر المؤتمر بقضية العقبة ومعان، وضرورة استرجاعهما إلى الحجاز، كما شدد المؤتمر على ضرورة إعادة تشغيل سكة حديد الحجاز. الغلاميّ: عبد المنعم، الملك الراشد جلالة الملك المغفور له عبد العزيز آل سعود، ط2، دار اللواء، الرياض 1400ه/ 1980م، ص 49، 50

(9) وثيقة ألمانية، مشاريع السكة الحديديّة في الحجاز، رقم الملف: 21532، دارة الملك عبد العزيز؛ مجلة الفتح، السنة الرابعة، العدد 158، الخميس 18 صفر 1348ه الموافق 25 يوليو 1929م، ص 12.

(10)وثيقة هولندية، مشروع السكة الحديديّة بين جدة ومكة في عام 1933م، رقم الملف24796، تاريخها 1933م، دارة الملك عبد العزيز. وثيقة ألمانيّة، سكة حديد جدة- مكة، رقم الملف: 13277، بدون تاريخ، دارة الملك عبدالعزيز. العيسى: عبدالعزيز محمد الفهد، أرشيف مملكة الحجاز وسلطنة نجد وملحقاتها من عام 1343-1346ه/ 1924-1928م، ط1، وزارة الثقافة، الرياض 1436ه/ 2016م، ج3، ص 542-546.

(11)**العقبة**:خليج العقبة هي الذراع الشماليّ الشرقيّ للبحر الأحمر، يصل طوله نحو 120 ميلاً، ومتوسط عرضه نحو 12ميلاً، وهو يفصل شبة جزيرة سيناء عن منطقة الحجاز في شبة الجزيرة العربية. الوليعيّ: عبد الله ناصر، معجم البلدان والقبائل في شبة الجزيرة العربيّة والعراق وجنوبي الأردن وسيناء، ط1، دارة الملك عبد العزيز، الرياض 1435ه/ 2015م ج7، ص149.

(12)**معان**: محطة سكة حديد على طريق الحجاز، تقع على مسافة نحو 460 كم إلى الجنوب من دمشق، وقبل إقامة سكة حديد الحجاز كانت معان مكانًا يتوقف فيه الحجاج، ويخيمون في طريق الحج الشاميّ، وفيما بعد أصبحت أهميتها بصورة رئيسة إلى كونها مركزًا لسكة الحديد، ومستودعًا للتموين بطريق العقبة.الوليعيّ، معجم البلدان والقبائل، ج9، ص464.

(13)((**المُدَوَّرَة**: محطة على طريق سكة حديد الحجاز على بُعد نحو 572كم من دمشق. ويقال:إنّه ممر صخريّ على الطريق بين قلعة المدورة، وذات الحاج. الوليعيّ، معجم البلدان والقبائل في شبة الجزيرة العربية والعراق، مج9، ص251

(14)علي: محمد كرد، خطط الشام، ط3، مكتبة النوري، دمشق 1431هـ/2011م، ج5، ص181؛ الشناويّ: عبدالعزيز محمد، الدولة العثمانيّة دولة إسلاميّة مفترى عليها، ط2، مكتبة الأنجلو المصريّة، القاهرة 1420هـ/ 2000م، ص167.

(15)مجلة الفتح، سكة الحجاز الحديديّة، السنة الثالثة، العدد 107، الخميس 16 صفر 1347هـ الموافق 2 أغسطس 1928م، ص1؛ الدقن، سكة حديد الحجاز، ص354؛ محمد كرد علي، خطط الشام، ج5، ص 183.

(16)**سان لوزان**: مدينة في غربيّ سويسرا على الساحل الشماليّ لبحيرة جنيف. الموسوعة العربيّة العالمية، ط2، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض 1419هـ/1999م، مج21، ص192.

(17)وثيقة بريطانيّة، رقمها FO 371/15297(5)، مناقشة الحجج البريطانيّة والفرنسيّة مع الملك عبد العزيز، تاريخها 2/3/ 1352هـ الموافق 17/7/ 1931م، ضمن كتاب الصويان: سعد وآخرون، الملك عبد العزيز سيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبيّة، ط1، دار الدائرة للنشر والتوثيق، الرياض 1419هـ/ 1999م، مج3، ص257؛ الدقن: محمد، سكة حديد الحجاز الحميدية (دراسة وثائقية)، ط2، 1435هـ/2014م، ص353.

(18)**معاهدة لوزان**: هي معاهدة الاعتراف باستقلال تركيا في عام 1341هـ/1923م، وأصبح أتاتورك رئيسًا لها حتى وفاته عام 1357هـ/ 1938م. الموسوعة العربيّة العالميّة، مج1، ص116.

(19)الدقن، سكة حديد الحجاز، ص354؛ محمد كرد علي، خطط الشام، ج5، ص 183.

(20)((**معاهدة جدة**: وصلت بعثة بريطانيّة إلى جدة برئاسة الجنرال كلايتون ممثلاً عن الحكومة البريطانيّة لبحث الأمور السياسيّة مع الحكومة السعوديّة خاصة بعد ضم الحجاز، الأمر الذي انتهى بوضع معاهدة جدة مثلها من الجانب السعوديّ بالنيابة عن الملك عبدالعزيز نجله، ونائبه في الحجاز الأمير فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، ومثلها من الجانب البريطاني، وبتفويض من ملك بريطانيا جلبرت فلكنجهام (كلايتن) في 18 ذي القعدة 1345هـ الموافق 20/5/ 1927م، وقد احتفظت فيها المملكة العربيّة السعوديّة بحق مطالبتها بالعقبة ومعان باعتبارهما تابعتين للحجاز. كما أُعيد النظر في معاهدة جدة بعد عشر سنوات من عقدها، وتم تمديدها سبع سنوات

شمسية جديدة، وجددت الحكومة السعوديّة الاحتفاظ بحقها في منطقتي العقبة ومعان. الزركلي، الأعلام، ج1، ص 298،299. وثيقة بريطانيّة، رقمها Fo 371/15297(4)، موقف الملك عبد العزيز آل سعود تجاه خط سكة حديد الحجاز، تاريخها 5/12/ 1348هـ الموافق 3/5/1930م، ضمن كتاب الصويان: سعد وآخرون، الملك عبد العزيز سيرته وفترة حكمه، مج4، ص60.

(21)مجلة الفتح، التقديرات المالية لإصلاحات السكة الحديديّة الحجازيّة، العدد69، السنة الثانية، 9/5/ 1346هـ الموافق 1/11/ 1927م، ص14.

(22)**السيد محمد أمين الحسيني:** محمد أمين، أو الحاج أمين بن محمد بن مصطفى الحسيني، زعيم فلسطين السياسيّ في عصره. ولد بالقدس عام 1311هـ/ 1893م، وتعلم بها. تخرج ضابطًا من إسطنبول عام 1334هـ/ 1916م. انتخب مفتي لفلسطين بعد وفاة أخيه مفتي فلسطين عام 1340هـ/ 1922م. كانت له جهود في التعريف بخطر اليهود، وكثرتهم في فلسطين بعد وعد بلفور عام 1335هـ/ 1917م، حارب اليهود في حرب1366-1367هـ/ 1947-1948م فقام بتأليف جيش الجهاد المقدس. توفي عام 1394هـ/ 1974م ودفن في بيروت. الزركلي، الأعلام، ج6، ص46.

(23)**الآستانة:** هو الاسم القديم لإستانبول، ويعني عتبة الباب والتكية الكبيرة. صابان: سهيل، المعجم الموسوعيّ للمصطلحات العثمانيّة التاريخيّة، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنيّة، الرياض 1421هـ/ 2000م، ص15.

(24)جريدة أم القرى، سكة حديد الحجاز، العدد 77، السنة الثانية، 7 ذي الحجة 1344هـ الموافق 17 يونيو 1926م، ص1؛ مجلة الفتح، اقتراح السيد محمد أمين الحسيني مفتي القدس إعادة سكة الحجاز الحديديّة، السنة الأولى، العدد الرابع، 28 ذو الحجة 1344هـ الموافق 8 يوليو 1926م، ص15.

(25)**يوسف ياسين:** هو الشيخ يوسف ياسين بن محمد ياسين، ولد باللاذقية في سوريا عام 1315هـ/ 1897م. نشأ نشأة دينيّة في مصر، والتحق فيها بدار الدعوة والإرشاد، والتي كان مشرفها الشيخ رشيد رضا. التحق بالحسين بن علي في الحجاز، ثم سافر والتحق به ابنه عبد الله في شرق الأردن، ومكث عامًا، ثم توجه إلى دمشق، وقرر الالتحاق بالملك عبد العزيز فسافر من دمشق في شهر محرم عام 1343هـ/ 1924م إلى بغداد، فالقطيف، والأحساء، وأخيراً الرياض. عهد إليه الملك عبد العزيز بإدارة جريدة أم القرى، ورئاسة تحريرها، ثم عيّنه الملك عبد العزيز رئيسًا للشعبة السياسيّة بالديوان الملكيّ. يعدُّ يوسف ياسين وزيرًا من وزراء الدولة باعتباره قائماً بالأعمال الآتية: مستشارًا في مجلس الملك الخاص، وعضوًا طبيعيًّا في مجلس

الـوكلاء، ورئيسًـا للشـعبة السياسـيّة في الديـوان الملكـيّ، وسـكرتيرًا خاصًـا للملك، ونائبًـا لوزيـر الخارجيّـة. السـماري وآخـرون: فهـد بـن عبـد اللـه، موسـوعة تاريـخ الملـك عبـد العزيـز الدبلومـاسي، ط1، مكتبـة الملـك عبـد العزيـز العامـة، الريـاض 1419هـ/1999م،ص650

(26)((**جلـبرت كلايتـون**: المنـدوب السـاميّ البريطانـيّ في العـراق، ولـد عـام 1292هـ/ 1875م، مـن رجـال الجيـش البريطانـيّ، شـغل وظيفـة عسـكريّة في الشـؤون قبـل الحـرب العالميّـة الأولى برتبـة ماجـور، ثـم نُقـل إلى مـصر. وفي أثناء الحـرب الأولى كان مديـر قلـم اسـتخبارات الحملـة المصريّـة، ثـم عُـين مستشـارًا لـوزارة الداخليّـة المصريّـة. وقـد اشـتهر بمفاوضاتـه المعروفـة مـع الملـك عبـد العزيـز حـول العديـد مـن المسـائل، مـن أبرزهـا العلاقـات البريطانيّة السـعوديّة. السـماري، موسـوعة تاريـخ الملـك عبـد العزيـز الدبلومـاسّي، ص513.

(27)**وادي العقيـق**: وادي مـن أوديـة الحجـاز، وهـو مـن الأشـهر والأكثـر ذكـرًا في التاريـخ. يأخـذ أعـلى مسـاقط مياهـه مـن قـرب وادي الفـرع ثـم ينحـدر شـمالًا، وترفـده أوديـة عظيمـة إلى أن يصـل إلى بـئر المـاشي، ثم يتجـه غربًـا إلى الشـمال إلى أن يصـل إلى بـئر عـلي (ذي الحليفـة)، ثـم يتجـه شـمالًا حتـى يجتمـع بـوادي بطحـان قـرب مسـجد القبلتين.البـلادي، غيـث، معجـم معالـم الحجـاز، ج6، ص1173.

(28)((وثيقـة محليّـة، إعـادة تشـغيل خـط سـكة حديـد الحجـاز، رقمهـا 3380، تاريخهـا 1344/11/23هـ الموافـق 1926/6/3م، دارة الملـك عبـد العزيـز، الريـاض؛ وثيقـة فرنسـيّة، رقمهـا (Arab-hedj.139(1/40-E-lev-18)، المباحثـات حـول سـكة حديـد الحجـاز، تاريخهـا 1345/10/28هـ الموافـق 1927/4/30م، ضمـن كتـاب الصويـان: سـعد وآخـرون، الملـك عبـد العزيـز سـيرته وفـترة حكمـه، مـج17، ص268.

(29)((مجلـة الفتـح، سـكة حديـد الحجـاز والملـك ابـن السـعود، السـنة الثالثـة، العـدد 147، السـنة الثالثـة، 29 ذو القعـدة 1347هـ الموافـق 8 مايـو 1929م، ص12؛ وثيقـة فرنسـيّة، رقمهـا LECOFJ/B/6، المحادثـات التـي دارت بـين الملـك عبـد العزيـز والقنصـل البريطانـيّ في جـدة، تاريخهـا: 1345/9/12هـ الموافـق 1927/3/5م، ضمـن كتـاب الصويـان: سـعد وآخـرون، الملـك عبـد العزيـز سـيرته وفـترة حكمـه، مـج17، ص 226.

(30)**مؤتمـر حيفـا**: مؤتمـر دوليّ يضـم حكومـة الحجـاز والحكومتـين الإنجليزيّـة والفرنسـيّة، تمـت الموافقـة عـلى اقـتراح حكومـة الحجـاز بتمديـد الخـط الحجازيّ إلى المدينـة المنـورة، ومكـة المكرمـة. مجلـة الفتـح، مؤتمـر سـكة الحجـاز، العـدد 109، السـنة الثالثـة، غـرة ربيـع الأول 1347هـ/ 16أغسـطس 1928م، ص12

(31) وثيقة فرنسيّة، رقمها 40-Arab.Hedj.139(2/E.Lev18)، تحديد تاريخ إقامة مؤتمر سكة حديد الحجاز، تاريخها 7/7/ 1346ه الموافق 31/12/ 1927م، ضمن كتاب الصويان: سعد وآخرون، الملك عبد العزيز سيرته وفترة حكمه، مج17، ص 337؛ وثيقة فرنسيّة، رقمها LECOFJ/B/9(2)، عقد اجتماع حيفا، تاريخها 17/7/ 1346ه الموافق 10/1/1928م، ضمن كتاب الصويان: سعد وآخرون، الملك عبد العزيز سيرته وفترة حكمه، مج17، ص286.

(32)**فؤاد حمزة**: فؤاد بن أمين بن علي حمزة (1317-1371ه / 1899-1915م). كاتب وباحث لبنانيّ، قدمه السيد شكري القوتلي للملك عبدالعزيز،شارك في سياسة الملك عبدالعزيز ربع قرن، عُين مترجمًا خاصًا للملك عبدالعزيز في الرياض عام 1345ه/ 1926م، ثم تولى أعمال مديرية الشؤون الخارجيّة خلال الفترة من 1347- 1349ه / 1928- 1930م، ثم وكيلًا للشؤون الخارجيّة في عام 1349ه/ 1930م حتى عام 1358ه/ 1940م، ثم أصبح مستشارًا للملك، قام برحلات ومهمات دبلوماسيّة عديدة، منح لقب سفير، ثم وزير دولة، توفي ـــ رحمه الله ـــ وهو على رأس عمله في بيروت في عام 1371ه/ 1952م. السماري، موسوعة تاريخ الملك عبد العزيز الدبلوماسّي، ص588.

(33)**عبد الله الدملوجي**: عراقيّ الأصل، موصليّ المولد، أرسلته لجنة المنتدى الأدبيّ عام 1332ه/ 1914م، ومقرها الأستانة إلى الملك عبدالعزيز لدعوته إلى الحركة القوميّة الجديدة. تولى أعمال وزارة الخارجية رسميًّا عام 1344ه/ 1926م في منصب مدير الشؤون الخارجيّة، وأنّ معرفته بالفرنسيّة إلى تحمل مسؤوليات سياسية تجاه زوار الملك الأجانب، فعين ممثلًا خاصًا للملك في جدة، ثم أصبح بعد ذلك نائبًا لوزير الخارجيّة الأمير فيصل، ومثّل المملكة في مؤتمر حيفا للبحث في مصير سكة حديد الحجاز سنة 1347ه/ 1928م، السماري، موسوعة تاريخ الملك عبدالعزيز الدبلوماسّي، ص573.

(34)**خالد بك الحكيم**: خالد بن ياسين بن محمد الحكيم، ولد بحمص عام 1295ه/ 1878م، درس وتعلم في إستانبول، مهندس عسكريّ، من مفكري العرب ومجاهديهم، تولى العديد من أعمال إنشاء الخط الحجازيّ ابتداءً من العمل فيه إلى انتهائه. اشترك في الثورة العربيّة الكبرى. وعندما توحدت المملكة العربيّة السعوديّة دعي للعمل في الحكومة السعوديّة، فكان من مستشاري الملك عبد العزيز، وأقام في خدمته للملك فترة طويلة. توفي عام 1363ه/ 1944م في دمشق ودفن بها. الزركلي، الأعلام، ج2، ص300.

(35)مجلة الفتح، اقتراح السيد الحسينيّ مفتي القدس إعادة سكة الحجاز الحديديّة، السنة الثالثة، العدد147، 29 ذو القعدة 1347ه الموافق 8 مايو 1929م، ص12؛ العيسى، أرشيف مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها، ج2، ص129.

(36)وثيقة فرنسيّة، رقمها LECOFJ/B/6(8)، موقف حكومة الملك عبد العزيز من مؤتمر حيفا، تاريخها 26/3/ 1347ه الموافق 10/9/1928م، ضمن كتاب الصويان:سعد وآخرون، الملك عبد العزيز سيرته وفترة حكمه، مج17، ص 531

(37)وثيقة فرنسيّة، رقمها LECOFJ/B/17(1)، موفد الملك عبد العزيز إلى سوريا، تاريخها 14/5/ 1348ه الموافق 16/10/1929م، ضمن كتاب الصويان: سعد وآخرون، الملك عبد العزيز سيرته وفترة حكمه، مج17، ص 686.

(38)وثيقة بريطانيّة، رقمها FO371/16024(17)، المؤتمر الإسلاميّ المنعقد في القدس، تاريخها: 10/10/ 1350ه الموافق 16/2/1932م، ضمن كتاب الصويان: سعد وآخرون، الملك عبد العزيز سيرته وفترة حكمه، مج4، ص 344؛ وثيقة بريطانيّة، رقمها FO371/16022(7)، تاريخها 13/1/ 1351ه الموافق 18/5/1932م، ضمن كتاب الصويان: سعد وآخرون، الملك عبد العزيز سيرته وفترة حكمه، مج4، ص 386.

(39)وثيقة بريطانيّة، رقمها FO371/13728(2)، عنوانها: إصلاح سكة حديد الحجاز من قبل الملك عبدالعزيز، تاريخها 6/6/ 1350ه الموافق 17/10/1931م، ضمن كتاب الصويان: سعد وآخرون، الملك عبد العزيز سيرته وفترة حكمه، مج4، ص 621؛ العبدالله، إنشاء سكة حديد الحجاز (تنفيذ المشروع ومسيره)، ص446.

(40)مجلة الفتح، السكة الحديديّة السعوديّة- العراقيّة، السنة العاشرة، العدد 463، 19 رجب 1354ه الموافق 16 أكتوبر 1935م، ص12؛ اللحيانيّ: فهد مرزوق، المدينة المنورة في عهد الملك عبد العزيز (1343ه/ 1925م إلى 1373ه/ 1953م)، ط1، دارة الملك عبد العزيز، الرياض 1434ه/ 2013م، ص 380.

(41)وثيقة بريطانيّة، رقمها FO371/21905(13)، عنوانها: المباحثات بين الحكومات بشأن سكة حديد الحجاز، تاريخها 1/12/ 1356ه الموافق 1/2/1938م، ضمن كتاب الصويان: سعد وآخرون، الملك عبد العزيز سيرته وفترة حكمه، مج6، ص 190.

(42)وثيقة بريطانيّة، رقمها FO371/21905(13)، عنوانها: المباحثات بين الحكومات بشأن سكة حديد الحجاز، تاريخها1/12/ 1356هـ الموافق 1/2/1938م، ضمن كتاب الصويان: سعد وآخرون، الملك عبد العزيز سيرته وفترة حكمه، مج6، ص 236.

(43)**شكري القوتلي**: شكري بن محمود عبد الغني القوتلي. ولد في دمشق عام 1308هـ/ 1891م. تخرج في المدرسة الملكيّة في إستانبول. اشترك في جمعيّة العربيّة الفتاة السريّة القائمة على تحرير العرب من الأتراك. عندما احتل الفرنسيّون سورية عام 1338هـ/ 1920م حكم عليه غيابيًّا بعد أن أقام في مصر ثم في حيفا إلى أن قامت الثورة السوريّة 1343هـ/ 1925م فكان من العاملين عليها. استقر في دمشق عام 1348هـ/ 1930م بعد سقوط حكم الإعدام عنه، في عام 1355هـ/ 1936م تألّف مجلس النواب السوريّ، فكانمن أعضائه، وتولى وزارة المالية، واستقال منها عام 1357هـ/ 1938م، انتخب في عام1362هـ/ 1943م رئيسًا للجمهورية السوريّة للفترة الأولى بسبب ثورة حسني الزعيم فأكره على الاستقالة، واعتقل وسافر إلى الإسكندرية، إلا أنه عاد إلى دمشق، وانتخب رئيسًا للجمهورية السورية مره ثانية في عام1374هـ/ 1955م. توفي في دمشق، ودفن بها في عام 1387هـ/ 1967م. الزركلي، الأعلام، ج3، ص173.

(44)وثيقة بريطانيّة، رقمها FO371/21905(12) ، موقف سوريا من إعادة تشغيل سكة حديد الحجاز، تاريخها 1/2/ 1357هـ الموافق 1/4/1938م، ضمن كتاب الصويان: سعد وآخرون، الملك عبد العزيز سيرته وفترة حكمه، مج 6، ص 256؛ وثيقة بريطانيّة، رقمها FO371/21906(4)، موقف بريطانيا من الموقف السعوديّ السوريّ من إعادة تشغيل خط سكة حديد الحجاز، تاريخها: 24/2/ 1357هـ الموافق 24/4/1938م، ضمن كتاب الصويان: سعد وآخرون، الملك عبد العزيز سيرته وفترة حكمه، مج6، ص 280.

(45)وثيقة عنوانها: مباحثات الحكومات المشتركة في خط سكة الحديد لإعادة تشغيلها، المكتبة البريطانيّة، رقمها: 765 E4/1237/25، لندن تاريخها 22/6/1357هـ الموافق 18/8/ 1938م؛ وثيقة بريطانيّة، رقمها FO371/21906(6)، التشاور حول المشاركة في

مؤتمر جدة، تاريخها: 1/ 5/ 1357ه الموافق 28/ 6/ 1938م، ضمن كتاب الصويان: سعد وآخرون، الملك عبد العزيز سيرته وفترة حكمه، مج6، ص 316.

(46)وثيقة بريطانيّة، رقمها FO371/21906(4)، بريطانيا تطلب ود الملك عبد العزيز بإصلاح سكة حديد الحجاز، تاريخها 22/ 6/ 1357ه الموافق 18/ 8/ 1938م، ضمن كتاب الصويان: سعد وآخرون، الملك عبد العزيز سيرته وفترة حكمه، مج6، ص 339؛ إصلاحات الجزء المدمر من سكة حديد الحجاز من معان إلى المدينة المنورة، المكتبة البريطانيّة رقمها: E6260/1257/5، لندن تاريخها 15/ 9/ 1357ه الموافق 7/ 11/ 1938م.

(47) وثيقة عنوانها: مؤتمر جدة، المكتبة البريطانيّة، رقمها: E4535/2768/7، لندن تاريخها 26/ 8/ 1357ه الموافق 19/ 10/ 1938م.

(48)وثيقة بريطانيّة، رقمها FO 371/62097(1)، محضر اجتماع في دمشق بشأن سكة حديد الحجاز، تاريخها 6/ 7/ 1366ه الموافق 26/ 5/ 1947م، ضمن كتاب الصويان: سعد وآخرون، الملك عبد العزيز سيرته وفترة حكمه، مج6، ص 535؛ الدقن، سكة حديد الحجاز، ص 351.

(49)وثيقة بريطانيّة، رقمها FO 371/62097 1)، محضر اجتماع في دمشق بشأن سكة حديد الحجاز، تاريخها 7/ 6/ 1366ه الموافق 26/ 5/ 1947م، ضمن كتاب الصويان: سعد وآخرون، الملك عبد العزيز سيرته وفترة حكمه، مج7، ص 535.

(50)وثيقة بريطانيّة، رقمها Fo 371/62097 1) ، التقريرالسنويّ الاقتصاديّ لعام 1365ه/ 1946م، تاريخها 25/ 7/ 1366ه الموافق 14/ 6/ 1947م، ضمن كتاب الصويان: سعد وآخرون، الملك عبد العزيز سيرته وفترة حكمه، مج7، ص544.أحمد، علي، الخط الحديدي الحجازي، مجلة الحج والعمرة، وزارة الحج، السنة 24، ع9، مايو 1970م، ص -579 582.

(51)**الملك سعود بن عبد العزيز بن عبدالرحمن آل سعود:** ولد في الكويت عام 1319ه/1902م. تولى إدارة نجد عام 1343ه/ 1924م مدة غياب أبيه في الحجاز، شهد العديد من المعارك مع أبيه؛ حيث كان في جبال اليمن أيام الحرب السعوديّة – اليمنيّة عام 1353ه/ 1934م. بويع بولاية العهد

عـام 1352ه/ 1933م، تـولى الحكـم بعـد وفـاة أبيـه في 5 ربيـع الأول 1373ه الموافـق 12/11/1953م. تـوفي أثينـا عـام 1388ه/ 1969م، وحمـل جثمانـه إلى مكـة حيـث صـلى عليـه أخـوه الملـك فيصـل مـع جمـع مـن الأمـراء والمسـلمين صـلاة الجنـازة، ثـم نقـل إلى مقابـر العائلـة بالريـاض. الـزركليّ، شـبة الجزيـرة، ج4، ص 1404

(52)الغلاميّ، الملك الراشد، ص250؛ الشريف، جغرافية المملكة، ج1، ص 399.

تنظيم المحاجر الصحية بالحجاز والبحر الأحمر في العصر الحديث
(1246 -1357هـ/ 1831 -1938م)

أ.عبـد الله فايـز محمـد الشـهري
معيد – قسم التاريخ والحضارة الإسلامية
جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية

مستخلص:

تكمـن أهميـة المحاجـر الصحيـة، في كونهـا وسـيلةً مهمـة مـن وسـائل الوقاية الصحيـة، ومكافحـة العـدوى والأوبئـة، والتـي وجـدت في العـصر الحديـث، للحيلولـة دون انتشـار الأمـراض المعديـة، كالكولـيرا والطاعون،وتـبرز أهميـة الدراسـة، في محاولتهـا إظهـار تاريـخ التنظيمـات المتعلقـة بالمحاجـر الصحيـة بالحجـاز والبحـر الأحمـر، والتـي كانـت مخصصـةً للحجـاج والمارين عـبر تلـك المناطـق، مسـتخدمةً المنهـج الوصفـي لدراسـة تلـك التنظيمـات وتاريخهـا، وقـد ركـزت الدراسـة عـلى بيـان تطـور المحاجـر الصحيـة بالحجـاز، وعلاقتهـا بالحـج والحجـاج، ووصـف تاريخهـا، وجغرافيتهـا، وأسـباب بنائهـا، ونتائـج تشـغيلها، والتركيـز عـلى محجـر كمـران، ومحجرأبوسـعد، ومحجـر الواسـطة، ومحجـر الوجـه، ومحجـر الطـور، وذلك عـبر دراسـة تطورهـا في العهـد العثمانـي، والعهـد الهاشـمي ممثـلاً بحكـم الشريـف حسـين، والعهـد السـعودي ممثـلاً بحكـم الملـك عبـد العزيـز، موضّحـة العوائـق التي واجهتهـا تلـك المحاجـر، ومقـدار الرسـوم المقـررة لهـا، والسـلبيات التـي تضمنتهـا، ويصـل البحـث إلى نتائـج تطـور المحاجـر الصحيـة في العهـد العثمانـي، ومـا اكتنفهـا مـن عوائـق وصعوبـات حالـت دون وصولهـا للشـكل المطلـوب، والـذي نتـج عـلى إثره ظهـور عـدة أوبئـة وأمـراض، وحالـة المحاجـر الصحيـة في العهـد الهاشـمي التـي لـم تكـن بأحسـن حـالاً ممـا قبلهـا، وحالـة المحاجـر الصحيـة في العهـد السـعودي، والتنظيـم الجيـد الـذي حظيـت بـه، الأمـر الـذي أدى إلى الاسـتغناء عنهـا فيمـا بعـد.

كلمـات مفتاحيـة: الحجـاز، الكولـيرا ، الطاعـون، حجـر صحـي ، محجـر كمـران ، الحـج.

Abstract:

The importance of quarantinelies in the fact that they are an important means of health prevention, infection control and epidemics, which existed in modern times, to prevent the spread of infectious diseases, such as cholera and plague, and highlights the importance of the study, in trying to show the history of regulations

related to quarantine. The study focused on the development of quarantinein Hijaz, their relationship to pilgrimage and pilgrims, and described their history and geography. The reasons for its construction, the results of its operation, and the focus on the Kamran quarantine, the Abu Saad quarantine, the wasta quarantine, Wajhquarantine and Tor quarantine, by studying its development in the Ottoman era, the Hashemite era represented by the rule of Sharif Hussein, and the Saudi era represented by the rule of King Abdul Aziz, explaining the obstacles faced by those quarantines, the amount of fees set for them, and the negatives they included, andthe research reaches the results of the development of quarantinein the Ottoman era, and the obstacles and difficulties that prevented them from reaching the desired form, which resulted in the emergence of several epidemics and diseases, the state of quarantinein the Hashemite era, which were not better than before, the state of quarantinein the Saudi era, and the good organization it received, which led to the subsequent dispensation of them.

Keywords: Hijaz - Cholera - Plague - Quarantine–Kamranquarantine - Hajj

مقدمة:

شكلت المحاجر الصحة بالحجاز، والتي كانت متعلقة بالحج والحجاج، ركيزة أساسية ومعلماً مهماً في العصر الحديث خلال الفترة (1246-1357هـ/1831-1938م)، وزادت أهميتها بعد انتشار عدة موجات من الأوبئة، كوباء الكوليرا والطاعون، في مواسم مختلفة، الأمر الذي دعا الدول لعقد عدد من المؤتمرات الصحية الدولية، والتي ناقشت شؤون الصحة العالمية، وكان ملف الحجاز والحج ضمن تلك الملفات، وقامت باتخاذ عدد من الإجراءات والاحتياطات الوقائية بالمناطق القريبة من المشاعر المقدسة، والمؤدية إليها، والتي كانت منبثقة من عدد من المعاهدات الصحية الدولية، وستبحث هذه الدراسة عن الآلية التي تم بها تنظيم تلك المحاجر الصحية، متبعة التسلسل لتاريخي، وذلك عبر وصف المحاجر الصحية بالعهد العثماني، والعهد الهاشمي، وانتهاءً بالعهد السعودي في فترة حكم الملك عبد العزيز، وستتعرض أيضاً للرسوم التي كانت مقررة في تلك المحاجر على الحجاج المارين عبرها، وما هي السلبيات التي اكتنفت تلك العملية.

المحاجر الصحية في العهد العثماني:

لم تكن فكرة تنظيم المحاجر الصحية فكرةً جديدةً على الدولة العثمانية، والتي كانت تقوم بإدارة منطقة الحجاز، ومما يثبت ذلك، أنّ أول حجر صحي أقيم في الدولة العثمانية سنة 1246هـ/1831م، في إستانبول[1]، وذلك بعد ظهور الكوليرا[2] في روسيا، حيث تم تطبيق الحجر الصحي على السفن القادمة من هناك[3]. ومما يدل على اهتمام الدولة العثمانية بإقامة المحاجر الصحية، وصول عدد المحاجر الصحية التي أقيمت فيها 81 محجراً توزعت حتى عام 1278ه/1862مـ على شتى أراضيها[4]، ولا يُستغرب هذا العدد الكبير، لاتساع مساحة الدولة في ذلك الوقت. وقد كانت من توصيات مؤتمر إستانبول الصحي الدولي سنة 1283هـ/1866م، ضرورة إنشاء محجر صحي في الوجه[5]؛ لأن أغلب الحجاج كانوا يسافرون عبرها براً منمصر وشمال أفريقية وإليها[6]، كما قّررت الدولة العثمانية إنشاء محجر صحي آخر في جدة، يكون مركزاً لجميع المحاجر التي تقام على السواحل اليمنية والحجازية للبحر الأحمر[7]، وقد كان من مهامه فحص المسافرين القادمين والذاهبين عبر ميناء جدة[8]. وبالتوازي مع ذلك، قررت الإدارة الصحية العثمانية، ممثلةً في مجلس الصحة العثماني الأعلى[9] في سنة 1285هـ/1868م[10]، تأسيس محجر صحي إضافي للقادمين من بلاد الهند وما حولها، وكان أن وقع الاختيار على جزيرة كمران[11] بالقرب من السواحل اليمنية، لما تتمتع به من مزايا تتمثل في سعة مينائها، والمناخ المناسب أيضاً، والمساحات الواسعة[12]، رغم بحث الحكومة العثمانية عن خيارات أخرى، تمثلت في اقتراحها لجزيرة بريم[13]، ومنطقة حصن الغراب[14]، والتي تقع على الساحل اليمني بمحاذاة بحر العرب، وذلك بسبب أنها كانت ترى أنه من الممكن أن ترسو سفن مصابة على الساحل اليمني قبل وصولها إلى كمران، ولكن بعد رفض بريطانيا لتلك المقترحات، والاختلافات المستمرة لأعضاء مجلس الصحة العثماني الأعلى، تم تعليق جميع المخططات لبناء محجر كمران، وذلك منذ اتخاذ قرار بنائه سنة 1285هـ/1868م[15]، وحتى تم الشروع في بنائه سنة 1299هـ/1882م[16]،كما تمت توسعته بعد عام 1309هـ/1892م[17]، وقد كان محجر كمران مخصصاً للحجاج الهنود، حيث تخصص لهم إجراءات صحية وقائية في ميناء بومباي، وبعد ذلك إجراءات مكمّلةٌ في محجر كمران[18]، كتبخير ملابس الحجاج وأمتعتهم[19]، ورشّهم بالبودرة، والتحقق من أخذ اللقاحات المطلوبة[20]. وقد بلغت تكلفة بناء الحجر الصحي في كمران، 542000 قرش، وبعد توسعته اتسع المحجر لثمانية آلاف حاج، بعد أن كان يتسع لستة آلاف، وكان يؤدي خدمة

الحجر الصحي لثلاثين ألف حاج كل عام، وفيما يتعلق بوصف الإنشاءات التي قامت بالمحجر، فقد كان عبارةً عن عرائش من سعف النخيل، ونظراً لأن سعف النخيل لا تتحمل الظروف المناخية الصعبة، فكان يلزم إصلاحها كل عام أو تشييدها من جديد[21]، وكان من المشاريع التي قررت الدولة العثمانية تنفيذها في محجر كمران أيضاً، ابتداءً من سنة 1311هـ/1894م:

- تجهيز المركز الصحي بأدوات التطهير.
- تجهيز المركز الصحي بأجهزة التعقيم.
- توفير آلات لترشيح المياه.
- توفير آلة لصنع الثلج.
- أوعية نقالة لإزالة البراز من المخيمات.
- بناء مختبر جديد لتحليل الجراثيم، ومراقبة جودة المياه باستمرار.
- بناء خمسين أو ستين غرفة استحمام.
- إعادة تنظيم المخيمات والمستشفيات.
- إخلاء جزيرة كمران من السكان المحليين، وتخصيصها فقط للحجر الصحي[22].

واستمرت الإدارة العثمانية لمحجر كمران حتى عام 1336هـ/1918م، ثم تحولت إدارة المحجر إلى الحكومة البريطانية، واتفقت الحكومتان البريطانية والهولندية، في سنة 1344هـ/1926م، على التعاون في تشغيل المحجر الصحي في كمران[23]، وانتهى العمل به بعد إلغاء منظمة الصحة العالمية لجميع الضوابط الدولية على الإدارة الصحية للحج، وذلك في سنة 1375هـ/1956م[24]. وقد أقامت الإدارة الصحية العثمانية محجراً صحياً آخراً في ميناء جدة وما حولها، واختارت لذلك جزيرتي أبي سعد[25] والواسطة[26] لهذا الأمر، حيث أصبح محجر أبي سعد مخصصاً لحجاج جاوه[27]، وكان الانتهاء من بناء محجر جزيرة أبي سعد في سنة 1305هـ/1888م، بالإضافة إلى البدء في إنشاء محجر الواسطة في نفس العام[28]، وعلاوةً على ذلك، أنشأت الدولة العثمانية محاجر صحية على المداخل البرية للحجاج القادمين من الشام؛ حيث أقيم محجر صحي في قلعة الوجه شمالي مدينة جدة في سنة 1283هـ/1866م[29]، بالإضافة إلى محجر مدائن صالح[30]، ومحجر تبوك[31] في سنة 1326هـ/1908م[32]، التي أدت إلى تقليل أهمية المحاجر الساحلية في البحر الأحمر بشكل جزئي[33]، وتخفيف الضغط عنها أيضاً.

كذلك أقامت الدولة العثمانية في منى، مبنى تقام فيه إجراءات الحجر الصحي، ويتكون من طابقين، وذلك أثناء إقامة الحجاج في منى، وهو عبارة

عن لوازم المستشفى المؤقت والأطباء المرسلين في مأمورية إلى المشاعر المقدسة في موسم الحج، حيث ذكره النقيب دولتشين[34] في تقريره، وذلك في سنة 1317هـ/1899م[35]. وفي سنة 1326هـ/1908م، كانت الإدارة الصحية تضع على مبنى الحجر الصحي بالمشاعر المقدسة أعلاماً ملونة، تشير كلٌّ منها إلى حالة الحج الصحية في تلك الفترة، فالعلم الأحمر يعني خلو الحج من الأمراض الوبائية، وفي حال رفعالعلم الأصفر فهذا يعني تفشّي داء الكوليرا أو الطاعون، الأمر الذي يلزم منه الخضوع للإجراءات الصحية عند العودة للديار، والتي لم يكن يرغب بها الحجاج[36]. وكانت الإدارة العثمانية تقوم بالعديد من الإجراءات والأنظمة في حال تفشي الأوبئة، كتفشي وباء الكوليرا سنة 1310هـ/1893م، حيث أمرت بتأمين ما يلزم لمكافحة هذا الوباء، وإرسال متطلبات اللجنة الصحية كاملة، وإرسال أطباء إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة، وتعزيزهم بما يحتاجونه من إستانبول العاصمة مباشرة، وإسناد معالجة الفقراء والمرضى الذين سيمرون بهم في طريقهم إليهم أيضاً، وتكثيف الاهتمام بالتدابير الاحترازية كلما اقترب حلول موسم الحج الشريف، والاهتمام بالمحافظة على صحة الحجاج ونقلهم إلى المعازل الصحية المشددة لدى عودتهم[37].

ورغم هذا كله، فيبدو أن المحاجر العثمانية لم تنل اهتماماً دائماً بالشكل المطلوب، الأمر الذي استدعى مجلس الشؤون الصحية في الدولة العثمانية، وذلك في سنة 1324هـ/1908م، بعد وصول عدد من التقارير إليه، القيام بإصدار عدد من القرارات:

- ضرورة إنشاء مستشفى مناسب بسعة 200 سرير
- إصلاح أماكن عزل المرضى المصابين بالطاعون في جدة، حيث وردت الأنباء عن ضعف شديد بتلك المنشآت، وانهيار بعضها، ونقص شديد في الأدوات والمستلزمات اللازمة للمستشفى، الأمر الذي لم يكن يليق بمدينة كجدة، حيث يمر بها سنوياً ما يفوق 60 ألف حاج، فضلاً عن حرمان السكان المحليين من ضروريات العلاج، خصوصاً الفقراء والمساكين منهم[38].

وعلاوةً على ذلك، فقد كان المحجر الصحي بجدة سنة 1328هـ/1910م مهملاً بشكل تام، ولا يعطى المريض الدواء إلا كل عدة أيام، كما كان يفتقد للزيارات اليومية للأطباء، وحالة النظافة للأدوات والمستلزمات الخاصة بالمحجر سيئة، ولا يوجد اعتناء بتغييرها ونظافتها بشكل دوري[39].

كذلك لم تسلم المحاجر الصحية العثمانية في جزيرة كمران، وجزيرتي أبي سعد والواسطة من الانتقادات، لضعف إمكاناتها، وقلة قدرتها الاستيعابية،

وسوء المعاملة للحجاج، حيث تضطر أحياناً مع كثرة الوفود عليها إلى التساهل في الإجراءات الصحية، والسماح لبعض المصابين بالأوبئة بركوب البواخر[40].

ومن الجدير بالذكر، الإشارة إلى المحجر الصحي الذي أُقيم بمدينة الطور[41] المصرية، والذي كان تحت إشراف مجلس الصحة البحرية والكورنتينات المصرية[42]، وترجع بداية الحجر الصحي فيه إلى عام 1271هـ/1855م، حيث أُرسلت أول فرقة مكونة من طبيب وأربعة حراس صحيين مصاحبيْن له، وتنبع أهمية ذلك المحجر لموقعه المهم على سواحل البحر الأحمر، والذي أصبح نافذاً على البحر الأبيض المتوسط بعد افتتاح قناة السويس سنة 1286هـ/1869م، فكانت أهميته لموقعه الاستراتيجي المهم.

وفي الواقع، لم يُستخدم محجر الطور فعلياً إلا في عام 1278هـ/1862م، حيث تم الحجر على الحجاج القادمين إليه لمدة خمسة أيام فقط، ومنذ عام 1309هـ/1892م أصبحت مدينة الطور تمثل أفضل موقع يمكن أن تقام فيه إجراءات الحجر الصحي[43]، وذلك بعد تنظيمه وتجهيزه بأحدث المعدات والأدوات[44]، وقد كانت من النتائج المهمة لهذه التحديثات بالمحجر، تقليل نسب أعداد الوفيات من الحجاج، فبلغت نسبة الوفيات معدلاً لا يتجاوز 3,5% من أعداد الحجاج في تلك الفترة[45].

وعن وصف المحجر، فقد كان محجر الطور محجراً قائماً على شاطئ البحر جنوبي المدينة على بعد 640 متراً منها، ومساحته 4 كيلومترات مربعة، يحده من الغرب خليج السويس، ويحيط به من جهة البر شبكة من الأسلاك مرفوعة على عمد خشبية متينة، علوّها نحو أربعة أمتار[46]، كما كان محجر الطور يشتمل على:

- ثلاث مستشفيات أقيمت في الأعوام ما بين 1319-1322هـ/1901-1904م، بالإضافة إلى مستشفى بُني في عام 1330هـ/1912م(47).
- ثلاث مباخر، في كل واحدة نحو ستين عاملا، وفي كل مبخرة خمس ماكينات، وكل واحدة تبخر من 75 إلى 80 حاجا في الساعة حسب ما عنده من أمتعة(48).

وفيما يتعلق بالإجراءات المتبعة في محجر الطور، فقد كانت على الصورة التالية:

«عند وصول البواخر من جدة، كانت ترسل برقية لاسلكية لمحجر الطور عند قيامها[49]من جدة، ويذكر في هذه البرقية البيانات التالية: اسم الباخرة، وتاريخ وساعة قيامها من جدة، وعدد الحجاج بالتقريب، كما ترسل الباخرة برقية أخرى إلى مندوب وزارة الداخلية بالمحجر، وقبودان[50]ميناء الطور

توضح ما يلي:

تاريخ، وساعة وصولها للطور، وعدد من يطلب منهم غرفاً في الدرجة الأولى، وكذلك توضيح أعداد المرضى على الباخرة، وبناء على هذه المعلومات تعطى الأوامر للأطباء، ورؤساء العمال للاستعداد لاستقبال الباخرة، كل فيما يخصه من أعمال، ثم ترسل الباخرة في المرحلة الأخيرة برقية ثالثة تخطر فيها إدارة المحجر بساعة وصولها بالضبط إلى ميناء الطور، حيث ينزل إليها في استقبالها مدير المحجر، أو الطبيب النوبتجي[51]، ومعهما باشكاتب[52] المحجر، وعند وصول الباخرة تؤخذ منها المستندات التالية:

الاستجواب بعد استيفائه من موقع قبودان الباخرة وطبيبها، وشهادة مقاس الباخرة، وشهادات الوفاة إذا كان على الباخرة وفيات، ومذكرة موقعة من قبودان الباخرة توضح ما إذا كانت الباخرة تقلّ حجاجًا أجانب، وقائمة بأسماء الحجاج الذين يرغبون في الإقامة بالدرجة الأولى، وقائمة بأسماء طاقم الباخرة، وبعد إتمام هذه الإجراءات ترسل البرقية التالية إلى مصلحة الكورنتينات بالصيغة التالية:

«وصلت الباخرة ..... وعليها..... حاجاً حسب إقرار القبودان..... وفاة ..... مريض بأمراض معدية»[53].

ومن الخدمات المهمة التي كانت تقدم للمحجورين في محجر الطور، مرور الأطباء يومياً على الغرف الخصوصية وعلى العنابر والكشف على المرضى وعلاج من يحتاج منهم إلى العلاج[54].

وكانت من التبعات المهمة للتوسع في إقامة المحاجر الصحية على مناطق مختلفة، احتمالية حدوث ازدواجية في تطبيق الإجراءات الصحية للحجاج، فاستُحدثت أنظمةٌ جديدة لإبلاغ من يمر على محجر تبوك، ومحجر مدائن صالح، بعدم اضطراره للقيام بالإجراءات الصحية في محجر الطور، تخفيفاً عليهم[55].

المحاجر الصحية في العهد الهاشمي:

لم تكن المحاجر الصحية في العهد الهاشمي بأحسن حالاً من العهد العثماني، حيث عانت من نقص واضح في المعدات والتجهيزات اللازمة، حيث كانت المحاجر الصحية في جزيرتي أبي سعد والواسطة تفتقد لأدنى المقومات لإقامة حجر صحي متكامل بها[56]، فضلًا عن تعطل بعضها الآخر، وبذلك لم تكن جاهزة للتعامل مع الأوضاع في حال انتشار الأوبئة، الأمر الذي أدى إلى فرض الحكومة البريطانية في سنة 1337هـ/1919م، إجراءات صحية مشددة على القادمين والذاهبين للحج، وعلى الرغم من مقاومة الشريف حسين[57] لذلك

الأمر، إلا أن ابنه الأمير عبد الله[58] نصحه بترك المقاومة وقام بثنيه عنها[59]، كما وُصفت إجراءات محجر جدة في موسم حج سنة 1336هـ/1918م بأنها كانت نوعاً من المهزلة[60]، ويستغرب مع هذا رفض الشريف حسين للتعاون مع الإرساليات الطبية الأجنبية التي تأتي للحجاز مع الحجاج، كخلافه موسم حج سنة 1341هـ/1923م مع المحمل المصري، حيث أرفقت الحكومة المصرية هيئةً طبيةً للعناية بالحجاج المصريين، على أن تستقر هذه الهيئة بصفة دائمة في مكة، وبسبب عدم إبلاغ الشريف حسين بذلك مسبقاً، فقد رفض أن يسمح لها بالنزول إلى جدة، واضطرت الهيئة الطبية والمحمل، بالرجوع إلى مصر[61]. وبالتوازي مع ذلك، انتقلت إدارة المحجر الصحي بجزيرة كمران إلى الحكومة البريطانية، وقامت بإعادة افتتاح المستشفى المخصص للأمراض المعدية بها أيضاً، وقاموا بافتتاح مركز حجر صحي جديد في جزيرة بريم، وذلك لدعم عملية الحجر الصحي وتحسين الإجراءات الوقائية للمارين عبر البحر الأحمر[62]. وفي الوقت نفسه، أصرت الحكومة الهاشمية على أن يقضي الحجاج 24 ساعةً في محجر أبي سعد بالقرب من جدة، حتى لو خضعوا للحجر الصحي في كمران أو الطور، بالإضافة إلى أنّ هذا الإصرار على الحجر الصحي الإضافي، دفع الحكومة البريطانية، والحجاج إلى الاعتقاد بأنّ هذا ليس إلا وسيلةً للحصول على موارد إضافية عن طريق رسوم الحجر الصحي[63].

ونتيجةً لضعف الإمكانيات المتعلقة بالمحاجر الصحية الحجازية في العهد الهاشمي، أُوفدت لجنة دولية سنة 1341هـ/1923م، إلى الشرق الأدنى، ووضعت تقريراً جاء فيه، أنّ: «الإدارة الصحية في الحجاز، ما زالت، وستظل إلى وقت طويل، غير صالحة للاعتماد عليها في اتخاذ إجراءات صحية تمكّن الدول من رفع القيود التي وضعتها على الحجاج، في القدوم والعودة»، واقترحت:

1. إبقاء المراقبة الصحية بعيدةً عن إدارة الهيئات الصحية الحجازية.
2. إبقاء أماكن المراقبة خارج البلاد الحجازية.
3. استمرار التدابير المفروضة على الحجاج.
4. اعتبار المجلس الدولي للصحة البحرية والكورنتينات في الإسكندرية، مشرفاً على شؤون الصحة في الحجاز، ومراقباً لها[64].

المحاجر الصحية في العهد السعودي:

أَوْلت حكومة الملك عبد العزيز رحمه الله الكثير من الرعاية والاهتمام لتنظيم المحاجر الصحية، ولعل من أبرز الشواهد على ذلك، ما كان من التأسيس المبكر لمصلحة الصحة العامة، في عام 1343هـ/1924م[65]، ووضع مقرها في مكة المكرمة، بالإضافة إلى إنشاء إدارة خاصة للمحاجر الصحية

والكورنتينات بجدة أيضاً[66]، الأمر الذي يدل على اهتمام مبكر بشؤون الحج الصحية من قبل حكومة الملك عبد العزيز[67]، كما بادرت حكومة الملك عبد العزيز بالقيام بعدد من التحسينات في مرافق جزر الحجر الصحي في جدة سنة 1344هـ/1926م[68]. وقد كان من أهم أعمال إدارة المحاجر الصحية والكورنتينات السعودية، قيامها بإصلاحات نوعية في المحجر الصحي بجدة، في جزيرتي أبي سعد والواسطة بالتحديد، حيث تضمنت الإصلاحات ربطها بتلفون لاسلكي، وإصلاح آلة الكنداسة[69]، وإعداد خزان مائي، وإضافة عدد من الأسرّة، وعدد من الإصلاحات الأخرى[70]، ولم تكتفِ حكومة الملك عبد العزيز بتلك الإصلاحات فقط، بل قامت بإنشاء محاجر جديدة متخصصة، ومن ذلك محجر العريض بالقرب من المدينة المنورة، والذي كان مخصصاً لحجاج البر[71]، ومحجر جزيرة العباسية بالقرب من ينبع[72]، بالإضافة إلى تعيين مأمور صحي وكاتب ومحاسب، لمحجر الوجه[73]. وفي تطورٍ لافتٍ لإدارة المحاجر الصحية السعودية، يصف فؤاد حمزة[74] ما كانت عليه تلك الإدارة من إمكانيات متعددة في فترة وجيزة من توحيد المملكة، وذلك في سنة 1356هـ/1937م، في جزيرتي أبي سعد والواسطة، بأن توفرت جميع الآلات المخصصة للمحاجر الصحية، من آلة للتقطير، وآلة للكهرباء، والمباخر، والحمامات، والقاعات المتعددة للمحجورين، وصيدلية، بالإضافة إلى أنّ جزيرة الواسطة، احتوت على ثماني قاعات لحجر الركاب، بالإضافة إلى مهامها المتعلقة بتطبيق الأنظمة الدولية المتخصصة، وتقديم التطعيمات اللازمة للحجاج، لعدد من الأمراض كالكوليرا والتيفوئيد[75]، ونستخلص من ذلك، أنّ الاهتمام السعودي بالمحاجر الصحي في جزيرتي أبي سعد والواسطة، كان له الأثر البالغ في رفع كفاءة وتحسين الشؤون الصحية للحج، الأمر الذي لا يتأتى إلا عبر اهتمام مباشر، ودعم مستمر، والذي يناقض ما كانت عليه أوضاع المحاجر الصحيةً في العهد العثماني والهاشمي[76].

رسوم المحاجر الصحية:

لم تكن المحاجر الصحية تختلف عن غيرها من الإدارات، من حيث ضرورة توفير المبالغ المناسبة لإنشائها وتسييرها، ولعل أبرز مصادر تمويل المحاجر الصحية:

1. الميزانية المعتمدة من قبل الجهة التي تدير المحجر الصحي.
2. استيفاء الرسوم من الحجاج المارين عبر هذا المحجر.

ولا يستغرب هذا الأمر، وذلك لضرورة توفير رواتب الموظفين العاملين بها، والأطباء، وصيانة وتشغيل الآلات والإنشاءات المتعلقة بها. وفي السياق

نفسه، فلم تكن رسوم المحاجر الصحية ثابتةً على مدار السنوات، بل تعرضت لظروف متعددة، جعلتها تضطر لتغيير الرسوم بين الفينة والأخرى، فمن ذلك أن الرسوم المطلوبة من الحجاج عند المرور بالمحاجر الصحية العثمانية، كانت في فترات معينة تتراوح بين نصف ليرة مجيدية[77]، وذلك في عام 1307هـ/1890م[78]، وثمانية قروش[79] في عام 1318هـ/1901م[80]، وفي عام 1338هـ/1920م، كانت 37.5 قرشاً ذهبيا، وذلك في محجر جدة، وفي حالة حجاج البر الذين قدموا للحج عبر السيارات من العراق وسوريا والكويت والأحساء، فإن الرسوم المقررة للحجر الصحي كانت جنيه ذهب وعشرة قروش، وذلك سنة 1355هـ/1937م[81]، وأما عن رسوم محجر الطور فقد كانت 64 قرشاً مصرياً، وذلك في عام 1317هـ/1899م، كما أكّدت المعاهدة الصحية الدولية 1344هـ/1926م على أنّه في حال انعدام المال لدى الحاج، فيسمح له بالدخول مجاناً، بالإضافة إلى ضرورة الإبقاء على نفس الرسوم التي يدفعها الحجاج للمحجر، ولو في حال زيادة أيام حجرهم بالمحجر، ومنع رفع الرسوم المقررة عليهم[82]، وفي العهد السعودي، بالتحديد في سنة 1356هـ/1937م، كانت الرسوم المقررة للكرنتينة[83] والجواز 120 قرشاً ذهبياً[84].

سلبيات المحاجر الصحية:

وفي الواقع، فيظهر للباحث بأنّ موظفي المحاجر الصحية تعرضوا أثناء قيامهم بأعمالهم لعددٍ من الصعوبات والعوائق أثناء تأديتهم لأعمالهم، من حيث تأخر رواتبهم مرات متعددة، وضعف في تطبيق الأنظمة بشكل صارم، وقد كانوا يواجهون ذلك عبر تغاضيهم عن بعض الحجاج عند العبور، أو تزوير لبيانات الحجاج، وذلك مقابل مبالغ معينة[85]، وقد أشار إلى ذلك تقريرٌ بريطاني يتحدث عن أوضاع الحج في عاميْ 1324-1325هـ/1906-1907م، مبيّناً ضعف الإجراءات المتخذة في محجر مدائن صالح للعائدين من الحج، حيث أن أنظمة المجلس الصحي العثماني لم تطبق بالشكل الصحيح، ولم يكن هناك حجر صحي مناسب، ولا مكافحة للعدوى باستعمال التبخير أو المواد الكيميائية المخصصة لذلك، ولا أي محاولة لتطوير المحجر الصحي هناك، فضلاً على أن الترتيبات المتخذة كانت بدائية جدا، وأن قوافل الحجاج توزعت في الطريق ولم تخضع للعزل الصحيح، وكان البعض يلجأ لاستعمال الرشوة للحراس الصحيين، بالإضافة إلى عدم توفر الخيام المناسبة لسكن الحجاج[86]، فقد كانت تلك التصرفات، تمنع تحقيق الغرض المطلوب من تنفيذ الإجراءات والتنظيمات الصادرة بخصوص الوقاية الصحية. ومن الصعوبات الأخرى التي كانت تواجه موظفي المحاجر الصحية، قلة أعداد الموظفين العاملين مقارنةً بأعداد الحجاج،

حيث كان في محجر بيروت طبيبٌ واحد فقط، مخصصٌ لـ 1500 حاج، يقوم وحده برعايتهم والعناية بهم، فضلاً عن جهله بلغاتهم، مما يسبب صعوبةً في التواصل، ومجالاً واسعاً لسوء الفهم والاستيعاب، الأمر الذي يدل على عدم اهتمام إدارة المحجر الصحي بشؤون المحجر وتحسينه[87]. ومن ناحيةٍ أخرى، فقد كانت المحاجر الصحية تسبب استياءً عاماً لدى الحجاج في أوقات مختلفة، وذلك لما يلاقونه من سوء المعاملة، مثل حرق لأمتعتهم بدعوى تبخيرها، والعبث بها أحياناً أخرى، الأمر الذي أدى إلى نفورهم منها ووصفهم لها بالسجن[88]، بالإضافة إلى فحص النساء بواسطة الأطباء الرجال،وعزل المرضى عن الأصحاء[89]، كما أن مدة الحجر الصحي بالموانئ كانت تطول في بعض الأحيان، حتى تصل إلى 40 يوماً، وذلك للتأكد من عدم إصابة العائدين من مكة المكرمة بالأوبئة،الأمر الذي يسبّب للحجاج متاعب أخرى[90]، فضلًا عن إعادة الحجاج عند مجاوزتهم للمحجر الصحي في بعض المرات لمجرد الاشتباه بأحد الوفيات أنها كانت ناشئةً عن مرض معدي، فيقضي الحجاج مدداً إضافية ترهقهم[91].

بالإضافة إلى معاناتهم من محجر كمران، وتذمرهم من عملية النزول من سفنهم إلى المحجر، والانتقال من الرصيف إلى محطة الحجر الصحي، وسوء الحمامات، وسوء إمدادات الطعام، وسرقة ممتلكاتهم على متن السفن[92] .

فكان نتيجةً لهذا كله، أن ارتفعت مطالبات الحجاج بإلغاء الإجراءات الصحية بالمحاجر الصحية؛ لما يتخللها من متاعب ومصاعب جمة، خصوصاً في حال كان الحج في ذلك العام سليماً وخالياً من الوباء[93]. ويصف الحاج تاكيشي سوزوكي[94] تبّرمه من الإجراءات المتبعة في محجر الطور فيقول:

«كنت أشعر بالخوف أثناء وجودنا هنا في الحجر الصحي بجبل الطور، فهم يضعون كل مئة شخص في مجموعة واحدة، ويبقى هؤلاء المئة في حجرة محاطة بسياج حديدي، كما لو كنا مجموعة دجاج في قفص»[95].

ومن مظاهر معاناة الحجاج في المحاجر الصحية أيضاً في محجر الطور، أنّ من يقوم بالتفتيش فيه مفتشون غير مسلمين، وليسوا على نفس الدرجة من المعاملة والتدقيق، فمنهم الذي يعامل الحجاج وأمتعتهم بأدب، ومنهم عكس ذلك، فضلاً عن خلطهم لملابس الحجاج وبعثرتها، وسرقة أمتعة الحجاج بعض المرات، وسوء النظافة في دورات المياه خصوصاً، كما أن الطبيب المرافق للحجاج لم يكن يتحدث العربية، فاستلزم وجود مترجم، وكذلك كان الكتبة الذين يكتبون بيانات الحجاج في جوازاتهم، حيث كان يظهر خطأ واختلاف بين الكتابة على الجوازات بسبب ذلك، وينشأ عنه إعادة عدّ الحجاج والتأكد من أسمائهم مما يسبب تعباً إضافياً لهم[96].

ويذكر إبراهيم رفعت باشا[97] حالة الحجاج مع موظفي المحجر الصحي في السويس:

«كان رجال المحجر يطوفون طول الليل حول الباخرة، كأنما نحن أعداء وقعنا في أسر العدو، ويخشى أن نفر، وكان الأطباء البريون والبحريون وعمال الجمرك يحيطون بنا في السويس، والناس ينظرون إلينا كأنما أتينا أمراً إداً، وكل هذا ناتج من أن أمتعتنا فتشت بالطور في تسعة أيام، وفي الباخرة مرتين، فظن الناس أن الأمراض التهمتنا أجمعين، فجاؤوا لذلك ينظرون، مع أننا كنا في صحة جيدة، ولكن سوء تصرف موظفي المحجر بالطور وَصَمَنَا بما نحن منه براء»[98]. ولا يُستغرب بعد هذا كله، لجوء بعض الحجاج إلى التهرب من الحجر الصحي، ومن أمثلة ذلك ما ذكره حسين كاظم زاده[99] في حج عام 1328هـ/1910م، من أن سفينةً محملةً بالحجاج كانت متوجهةً إلى جدة خارجةً من السويس، حيث فوجئ الركاب بوفاة أحد رفاقهم، فقاموا بتكفينه وإخفائه عن أنظار الجمارك، وبعد مغادرة الحجاج للباخرة، تم اكتشاف الجثة في حالة متعفنة، ومن حسن حظ الحجاج أن التقرير الطبي أكّد أن سبب وفاته الشيخوخة،ولم يقم الحجاج بهذا العمل إلا خوفاً من إخضاعهم للحجر الصحي عند وصولهم إلى جدة؛ لقلة الوقت المتبقي على بدء مناسك الحج[100]. ومن الأحداث المؤسفة التي وقعت في المحاجر الصحية، ما حدث في المحجر الصحي المصري في عام 1298هـ/1881م، نظراً لتمديد السلطات المصرية لمدة الحجر الصحي، وذلك بعد ظهور وباء الكوليرا بالحجاز في ذلك العام، حيث وصلت فترة الحجر الصحي إلى 40 أو 50 يوماً، الأمر الذي جعل بعض الحجاج المستائين يقومون بإحراق أماكن العزل في المحجر الصحي، ولاذوا بالفرار بعد ذلك[101].

ومهما يكن من أمر، فيظهر للباحث ما للمحاجر الصحية من الأهمية الكبيرة فيما يتعلق بالشؤون الصحية للحج، رغم تعرضها لعدد من الانتقادات من الحجاج، ومواجهتها لعدد من الصعوبات الإدارية والتنظيمية في فترات معينة، وجهل الحجاج بأهمية تلك المحاجر والإجراءات التابعة لها، ونستطيع أن نقول أن المحاجر الصحية كانت من أبرز النتائج الإيجابية التي أسهمت في الارتقاء بالحالة الصحية للحجاج، كما كان للمؤتمرات الصحية الدولية تأثير مهم في تنظيمها وتحسينها بين الفينة والأخرى، رغم أن تبعات التحسين والإنشاء كانت تقع على عاتق الدول الحاكمة للحجاز.

خاتمة:

كان إنشاء وتنظيم المحاجر الصحية أمراً ضرورياً لمكافحة انتشار الأوبئة والأمراض المعدية التي ظهرت بالحجاز على فترات متفاوتة، واستطاعت الدراسة الوصول إلى التطور التاريخي لتلك المحاجر الصحية بالحجاز، والبحر الأحمر، المتعلقة بالحج والحجاج، من تطورها في العهد العثماني، والهاشمي، والسعودي فيما بعد، ويتضح الفرق بين أوضاع المحاجر الصحية في كل فترة عن الأخرى، من قلة كفاءة وصعوبات واجهت الدولة العثمانية والهاشمية، وكيف تجاوزت الحكومة السعودية تلك الصعوبات والعوائق، عبر التنظيم الجيد والإدارة السليمة.

كما توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج:

- أقامت الدولة العثمانية عدداً من المحاجر الصحية في شتى المناطق الخاضعة لحكمها، كمحجر الوجه، ومحجر كمران، ومحجر أبو سعد، ومحجر الواسطة، ومحجر الطور، ومحجر مدائن صالح، ومحجر تبوك.
- بذلت الدولة العثمانية وسعها في تنظيم وتحسين المحاجر الصحية، ولكن لم تكن بالشكل المثالي.
- واجهت الدولة العثمانية أزمات مالية أعاقتها من تنفيذ الإصلاحات والتحسينات المطلوبة.
- استمرت الأزمات في المحاجر الصحية في العهد الهاشمي.
- فرضت الحكومة الهاشمية إجراءات إضافية مشددة في المحاجر الصحية.
- بادرت حكومة الملك عبد العزيز لإصلاح المحاجر الصحية، منذ توليها إدارة الحجاز.
- أنشأت حكومة الملك عبد العزيز محاجر صحية إضافية مساندة.
- اختلفت رسوم المحاجر الصحية عبر السنوات، تبعاً لاختلاف الأوضاع الإدارية والتنظيمية.
- واجه موظفو المحاجر الصحية عدداً من العقبات في أداء أعمالهم.
- لم يكن الحجاج راضين عن مستوى الخدمات في المحاجر الصحية.
- استاء الحجاج من تعامل المحاجر الصحية معهم.

التوصيات:

تنتهي الدراسة بعدد من التوصيات:

- دراسة تاريخ الأمراض المعدية وظهورها بالحجاز وسواحل البحر الأحمر عبر العصور.
- دراسة علاقة القوى المتنافسة على البحر الأحمر والحجاز وموقفها من تلك الأمراض.
- دراسة التدابير التي قامت بها الدول الحاكمة للحجاز في مواجهة تلك الأمراض بعيداً عن الحجر الصحي.
- دراسة حالة طرق الحجاج وتأثيرها على انتقال الأوبئة والأمراض المعدية.

الهوامش:

(1)يلدز، الحجر الصحي، ص30.

(2)**الكوليرا:** مرض واسع الانتشار، ويكثر في البلدان الحارة في جنوبي آسيا والبلدان التي تفتقر إلى الوسائل الصحية، يسبب الإسهال وفقدان السوائل من جسم المريض، وينتقل عن طريق المياه والأطعمة الملوثة بالميكروب وينتشر بشكل وبائي، ويسمي أهالي مصر والحجاز الكوليرا الشوطة، وكذلك الريح الصفراء أو الهواء الأصفر، وقد أطلقوا هذا الاسم على الكوليرا لأن من يمرضون بها يصبح لونهم أصفر للغاية، كما تشير روايةٌ أخرى إلى أن سبب تسمية الكوليرا بالريح الصفراء، أو الوباء الأصفر، هو بسبب كون المؤرخين العرب عند رؤيتهم للكوليرا بدايةً في عُمان، لم يكن لديهم اسمٌ يسمون به مرض الكوليرا، ولكن لما رأوا الشخص الصحيح البدن يسقط فجأة من الإعياء كما لو أن رياح السموم قد ضربته، فاعتقدوا نتيجة لذلك أن الكوليرا محمولة على ريح صفراء أو هواء أصفر. زينب، معجم الأمراض، ص632. القيصري، الأحوال الصحية، ص218. كونكه، لافيرن، أرواح في خطر الصحة العامة في مصر القرن التاسع عشر، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، 1434هـ/2013م، ص98. رفيع، محمد عمر، مكة في القرن الرابع عشر الهجري، مكة المكرمة، دار مكة للطباعة والنشر، ط1، 1401هـ، ص228.

(3)يلدز، الحجر الصحي، ص29.

(4) أوغلي، الدولة العثمانية، ص587، من ضمنها: محجرا كمران وأبوسعد لطريق الهند وجاوه وبلاد باب المندب، ومحجر البصرة للقادمين من طريق عمان إلى أنحاء العراق، ومحجرا قلازمون وبيروت للقادمين من البحر الأحمر، والبلاد الأجنبية المطلة على سواحل البحر الأبيض المتوسط إلى سوريا والأناضول والروم وإستانبول، ومحجر قاواق الموجود على مضيق الجبل الأسود، للقادمين من البلاد المطلة على سواحل البحر الأسود، في حالة ظهور الوباء. يلدز، الحجر الصحي، ص200-201.

(5)**الوجه:** يطلق هذا الاسم على واد من أودية تهامة، ينزله الحجاج القادمون بطريق الساحل من مصر أو الشام، ولهذا كثر ذكره في رحلات الحج، كما كان يطلق على ميناء تقع في مصب ذلك الوادي في البحر، وهي الآن محافظة في المملكة العربية السعودية. للمزيد: الجاسر، حمد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، الرياض، دار اليمامة للنشر والتوزيع، د.ت، ج3، ص1349-1359.

(6)الخالدي، الإدارة العثمانية، ص390.

(7) الروقي، المنشآت الطبية، ص35.

(8)الوثيقة العثمانية رقم A.}MKT.MHM.00580.00001.011

(9)**المجلس الصحي الأعلى العثماني:** تم إنشاء المجلس الصحي الأعلى في إستانبول في عام 1839م/1255هـ بموافقة السلطان عبد المجيد الأول، لتطبيق أنظمة الحجر الصحي في مناطق البحر المتوسط، وكان المجلس يتكون من 8 أعضاء عثمانيين و9 ممثلين من دول أوروبية (النمسا، بلجيكا، فرنسا، إنجلترا، اليونان، بروسيا، روسيا، سردينا، إيطاليا). Nermin Ersoy, Yuksel Gungor and Aslihan Akpinar, International Sanitary Conferences from the Ottoman perspective (1851-1938) ، Journal for the History of Public Health, January 2011, P.55.

(10) لو، إدارة الحج إلى مكة،ص192.

(11)11 **كمران:** جزيرة مشهورة في البحر الأحمر قبالة مرفأ الصليف، لا تبعد عن اليابسة إلا بنحو ميل واحد، وتتكون الجزيرة من مدينة صغيرة لها ميناء صالح لاستقبال السفن المتوسطة، تتمتع الجزيرة بوجود غابات طبيعية تنتشر فيها أشجار المانجروف والأحراج البحرية التي يصل ارتفاعها إلى أكثر من أربعة أمتار. المقحفي، إبراهيم، معجم البلدان والقبائل اليمنية، صنعاء، دار الكلمة للنشر والتوزيع، 1422هـ/2002م، ج2، ص1352.

(12)يلدز، الحجر الصحي، ص125.

(13)**جزيرة بريم:** جزيرة تقع في مضيق باب المندب، تقدر مساحتها بـ 12 كيلومتراً، أرضها صخرية بركانية الأصل، وبها هضبات غير مرتفعة، تكتد تكون أرضها خالية من النبات والماء. المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص167.

(14)حصن الغراب: منطقة تقع في قرية بئر علي الساحلية، بمحافظة شبوة، كانت بئر علي الميناء التجاري لقنا، وكان يستقبل السفن التجارية القادمة من دول القرن الإفريقي ودول جنوب وشرق آسيا. المقحفي، معجم البلدان والقبائل، ص133.

(15)لو، إدارة الحج إلى مكة،ص191-192.

(16)يلدز، الحجر الصحي، ص124.

(17)أوكسنولد، الحجاز، ص85.

(18)الحفناوي، جلال، رحلات الحج الهندية إلى مكة المكرمة وأثرها في مسلمي

شبه القارة الهندية، ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، 1426هـ، ص178.

(19)يلدز، الحجر الصحي، ص204.

(20)مهر، غلام رسول، يوميات رحلة في الحجاز 1348هـ/1930م، ترجمة: سمير عبد الحميد إبراهيم، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، 1417هـ، ص30-31.

(21)يلدز، الحجر الصحي، ص126-127. كما تم تقسيم المباني المشيدة عدة أقسام، بكل قسم أجنحة مخصصة للمصابين بأمراض وبائية، تقسيم الأقسام شُعباً مختلفة، وكانت كل سقيفة تتسع لخمسين أو ستين شخصاً، كما كان هناك قسم خاص بأمراض الجدري، وتم تخصيص ثلاث شعب للتطهير من الجراثيم، أما أماكن إقامة الحجاج، فكانت بعيدة عن الحجر الصحي، ومحاطة بأسوار، وكان هناك خط سكة حديدية بطول أحد عشر كيلومتراً، يحيط بالحجر الصحي، يقوم بنقل الحجاج وأمتعتهم، وكانت الأبنية مزودة بالهاتف. للمزيد: يلدز، الحجر الصحي، ص127.

(22)لو، إدارة الحج إلى مكة،ص219. للمزيد: لو، إدارة الحج إلى مكة،ص219-220.

(23)لو، إدارة الحج إلى مكة،ص400-401.

(24) لو، إدارة الحج إلى مكة،ص404.

(25)**أبو سعد:** جزيرة يطلق عليها جزيرة (سعد)، تقع جنوب ميناء جدة الإسلامي، وهي جزيرة دائرية صغيرة تقع على شعب مرجاني يحيط بها، يقع في طرفه الشمالي شريط رملي بارز، وقد أقيم عليها علامة إرشاد ملاحية. جزر المملكة العربية السعودية في البحر الأحمر والخليج العربي، هيئة المساحة الجيولوجية السعودية، ط1، 1428هـ/2007م، ص144.

(26)**الواسطة:** جزيرة واقعة جنوبي جدة، كانت تجري بها عمليات الحجر الصحي، هي وجزيرة أبو سعد، وقد استخدمت هاتان الجزيرتان للحجر في مناسبات عديدة قبل عام 1329هـ/1911م. الأنصاري، موسوعة تاريخ مدينة جدة، ص126-133.

(27)يلدز، الحجر الصحي، ص133.**جاوة:** جزيرة من جزر إندونيسيا، تقع جنوب شرق ماليزيا وسومطرة، هي موطن لما يقرب من نصف سكان إندونيسيا، وتهيمن على البلاد سياسياً واقتصادياً، عاصمة جاوا، وعاصمة الدولة أيضا (جاكرتا)، وهي أكبر مدن إندونيسيا. Britannica. Java. https://www.britannica.com/place/Java-island-Indonesia

(28)يلدز، الحجر الصحي، ص135.

(29)الروقي، المنشآت الطبية، ص36.

(30)**مدائن صالح «الحِجر»:** تقع على بعد 15 كيلو مترا إلى الشمال من مدينة العلا الحالية، على الطريق الذي يربط جنوب بلاد العرب بسوريا. مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، د.ت، ص490.

(31)**تبوك:** موضع بين وادي القرى والشام، وهو حصن به عين ونخل وحائط ينسب إلى النبي، صلى الله عليه وسلم، ويقال إن أصحاب الأيكة الذين بعث إليهم شعيب، عليه السلام، كانوا فيها ولم يكن شعيب منهم. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص14.

(32)Records of the AL-HAJJ.Vol.9. PP.379380-.

(33) يلدز، الحجر الصحي، ص279.

(34)**عبد العزيز دولتشين:** (1277هـ- .... /1861م- ....) ولد في عام 1277هـ /1861م، من عائلة تترية محترمة، تتمتع بتأثير كبير بين أبناء قوميتها، شغل والده مناصب مهمة في إدارة مناطق الأورال الجنوبية في روسيا، تخرج من مدرسة الإمبراطور بافل العسكرية في بطرسبرغ، كان عارفاً باللغات العربية والتركية والفارسية والإنجليزية والفرنسية، ناهيك عن لغته الأم والروسية، حج في سنة 1317ه/1899م، وبعد الحج أعد تقريراً عن رحلته، ترقى في عام 1334هـ/1916م، إلى رتبة لواء أمين سر هيئة الأركان العامة، ولا يعرف مصيره بعد عام 1337هـ/1919م. ريزفان، الحج قبل مئة سنة، ص30-35.

(35)ريزفان، الحج قبل مئة سنة، ص209

(36) وافل، رحلة الحاج المعاصر، ص188.

(37) الوثيقة العثمانية رقم BEO.000218.016428.001

(38)الوثيقة العثمانية رقم A.}MKT.MHM.00589.00007.002

(39)إسماعيل، صابرة مؤمن، جدة خلال الفترة 1286ه1326-هـ/1869-1908م دراسة تاريخية وحضارية في المصادر المعاصرة، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، 1418هـ، ص152.

(40)شانتر، الحج، ص122.

(41)**الطور:** بلدة بمصر، في شبه جزيرة سيناء، تطل على خليج السويس، جنوبي غربي جبل موسى، بها محجر صحي للحجاج، غربال، الموسوعة العربية، ج2، ص1166.

(42)**مجلس الصحة البحرية والكورنتينات:** مجلس تم إنشاؤه سنة

1298هـ/1880م، وذلك خلفاً لمجلس عموم الصحة المصري، تتركز مهمته في اتخاذ ما يلزم من الاحتياطات لمنع دخول الأمراض المعدية إلى الأراضي المصرية، أو نقلها منها إلى خارجها، بالإضافة إلى تنظيم اللوائح المتعلقة بمصلحة الكورنتينات وتنفيذها على وجه الدقة، وتقرير الشروط اللازم اتباعها في نقل الحجاج إلى الحجاز وعودتهم منه، وأعيد تشكيله وتنظيمه بعد اتفاقية البندقية 1309هـ/1892م.عبد المجيد، عبد المنعم، الأنظمة والإجراءات والإدارات المتعلقة بالحجاج وتطورها في جمهورية مصر العربية، مشروع موسوعة الحرمين الشريفين، قيد النشر، ص76-77.

(43)عيسوي، الخدمات والرعاية الصحية، ص190.

(44)الروقي، المنشآت الطبية، ص32.

(45)عيسوي، الخدمات والرعاية الصحية، ص187.

(46)رفعت باشا، مرآة الحرمين، ص234.

(47)عيسوي، الخدمات والرعاية الصحية، ص192.

(48)رضا، محيي الدين، رحلتي إلى الحجاز، مصر، مطبعة المنار، د.ت، ص153.

(49)قدومها

(50)**قبودان:** مصطلح يقصد به أميرال البحرية الكبير، ورئيس الأسطول العثماني، وهو أعلى رتبة عسكرية في البحرية العثمانية، ولعل المقصود به هنا قبطان الباخرة وقائدها. انظر صابان، المعجم الموسوعي، ص177.

(51)**نوبتجي:** مصطلح عثماني يقصد به الحارس، أو المناوب. الخطيب، معجم المصطلحات، ص426.

(52)**باشكاتب:** لقب رئيس الكتاب في الدائرة، كان متداولاً في العصر العثماني. الخطيب، معجم المصطلحات، ص66.

(53)عيسوي، الخدمات والرعاية الصحية، ص193.

(54)الراعي، في المملكة الروحية، ص224.

(55)عيسوي، الخدمات والرعاية الصحية، ص191.

(56)الريحاني، ملوك العرب، ص38.

(57)**الملك حسين بن علي:** (1270-1350هـ - 1854 – 1931م) هو الحسين بن علي بن محمد بن عبد المعين ابن عون، من أحفاد أبي نمي ابن بركات، الحسني الهاشمي، أول من قام في الحجاز باستقلال العرب عن الترك، وآخر من حكم مكة من الأشراف الهاشميين، ولد في الآستانة، عاد إلى مكة ونشأ بها، ثم نُفي إلى الآستانة سنة 1309هـ/1892م، وجعل فيها من أعضاء مجلس شورى الدولة، وعين أميراً لمكة سنة 1326هـ/1908م،

فعاد إليها، وأعلن الثورة على الترك سنة 1334هـ/1916م، ونجح في إجلائهم، اشتد توتره الملك عبد العزيز رحمه الله فيما بعد، وخسر معاركه معه، واضطر للانتقال من مكة إلى جدة سنة 1343هـ/1924م، ثم إلى العقبة، ورحل إلى جزيرة قبرص، فأقام ست سنين، ومرض فانتقل إلى عمّان، فمكث فيها معتلاً، ومات سنة 1350هـ/1931م. الزركلي، الأعلام، ج2، ص249-250.

(58)**عبد الله بن الحسين:** (1299-1370هـ/ 1882-1951م) أمير شرقي الأردن، ثم ملك المملكة الأردنية الهاشمية، ولد بمكة، وتلقى مبادئ العلوم بالآستانة أيام إقامة أبيه فيها، وعاد مع أبيه إلى الحجاز سنة 1326هـ/1908م، وسمّي نائباً عن مكة، في مجلس النواب العثماني سنة 1327هـ/1909م، قام مع والده بالثورة على الحجاز سنة 1334هـ/1916م، عيّنه والده وكيلاً لوزارة الخارجية، كما أسس الإمارة في شرقي الأردن، وسُمّي ملكاً سنة 1365هـ/1946م، وقتل أثناء صلاة الجمعة، في المسجد الأقصى بالقدس، كان مطاع اللسان، مولعاً بالحجج والمناظرة، كثير المزاح مع خاصته. الزركلي، الأعلام، ج4، ص82.

(59)7N/1658 مذكرة عن الرقابة الصحية خلال الحج من جورج بيكو (Georges Picot)المفوض السامي في بيروت.

(60)صفوة، الجزيرة العربية، ص289.

(61)رفيع، مكة في القرن الرابع عشر، ص229.

(62)شانتر، الحج، ص244-269.

(63)لو، إدارة الحج إلى مكة،ص399.

(64)الزركلي، شبه الجزيرة، ص724.

(65) أم القرى، السنة الأولى، العدد 1، 15 جمادى الأولى 1343هـ/ 12 ديسمبر 1924م، ص4.

(66) الزركلي، شبه الجزيرة، ص402.

(67)وتتبع إدارة المحاجر الصحية ومركزها الرئيسي في جدة، مراكز صحية ساحلية في موانئ ينبع، ورابغ، والليث، والوجه، وضبا، وأملج، والقنفذة، وجازان، والليث، وفرسان، وثول، والقحمة، وخريبة، والحقل، على شاطئ البحر الأحمر، ومحاجر في رأس تنورة، ورأس مشعاب، والدمام على ساحل الخليج العربي. للمزيد: الزركلي، شبه الجزيرة، ص404.

(68)68 رسالة من إبراهيم دبوي (Ibrahim Depui) وكيل القنصلية الفرنسية في جدة إلى وزير الخارجية الفرنسي، الملك عبد العزيز آل سعود سيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية، ج17، ص124.

(69)**الكنداسة:** مكينة تقطّر الماء العذب من الماء المالح، فيخرج حلواً صالحاً للاستعمال. الأنصاري، عبد القدوس، تاريخ العين العزيزية بجدة، جدة، إدارة العين العزيزية، 1389هـ/1969م، ص48-49.

(70)أم القرى، السنة السابعة، العدد 313، 15 رجب 1349هـ/ 5 ديسمبر 1930م، ص2.

(71)أم القرى، السنة الحادية عشرة، العدد 524، 21 رمضان 1353هـ/ 28 ديسمبر 1934م، ص2.

(72)أم القرى، السنة السادسة، العدد 267، 17 شعبان 1348هـ/ 17 يناير 1930م، ص3.

(73)حمزة، البلاد العربية، ص220.

(74)74 **فؤاد حمزة:** (1317-1371هـ/1899-1951م) هو فؤاد بن أمين بن علي حمزة، كاتب وباحث، شارك في سياسة المملكة العربية السعودية ربع قرن، ولد وتعلم في لبنان، وزاول التعليم في بعض المدارس الحكومية بدمشق والقدس، كان يحسن الإنجليزية، فعُيّن مترجماً خاصاً للملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، وعيّنه وكيلاً للشؤون الخارجية، ثم ذهب إلى باريس وزيراً مفوضاً، ومنها إلى أنقرة، واستقر بعد ذلك في خدمة الملك مستشاراً يتنقل معه بين الرياض ومكة، قضى أكثر أيامه الأخيرة في لبنان، وتوفي ببيروت، عني قبيل وفاته بدراسة آثار الجزيرة قبل الإسلام، ومن كتبه: قلب جزيرة العرب، البلاد العربية السعودية، في بلاد عسير، الزركلي، الاعلام، ج5، ص159.

(75)حمزة، البلاد العربية، ص215.**التيفوئيد:** مرض بكتيري خطر تنتج عنه الحمى والضعف، وفي الحالات الحادة يؤدي إلى الموت، وقد كان هذا المرض منتشراً في المناطق الكثيفة بالسكان، ولكن مع تطور أساليب الصحة الجيدة، انخفض معدل الإصابات به، وأصبح نادراً نسبياً في المناطق التي تتمتع بأنظمة صحية حديثة، تشمل أعراضه الحمى المرتفعة، وآلام في البطن، وطفح مميز بالصدر والبطن، ويشعر المصاب بالنحول والضعف العام، والهذيان في الحالات الشديدة، بالإضافة إلى الإسهال. منصور، معجم الأمراض، ص356-357.

(76) الريحاني، ملوك العرب، ص38. شانتر، الحج، ص122.

(77)**مجيدية:** نوع من النقود الفضية المضروبة في عهد السلطان عبد المجيد، كان يساوي خمس الذهب العثماني، وعشرين قرشاً، ضرب عام 1260هـ/1844م، بعد صدور قرار تصحيح المسكوكات العثمانية في العام

نفسه، كما سُكّ من خلال القرار ذاته فئة العشرة قروش، وسمّي نصف مجيدي، والخمسة قروش، وسمّي ربع مجيدي، والقرشين والقرش الواحد، وكان عيار المجيدي 830 من الألف. صابان، المعجم الموسوعي، ص202-203.

(78) القيصري، الأحوال الصحية، ص60.

(79)**قرش/قروش:** هي وحدة نقدية أخذها العثمانيون عن الأوروبيين، وقد بدأ ضربها في عهد سليم الثالث، وكانت من الذهب في أول الأمر، ثم بدأ ذربها من الفضة عام 1147هـ/1734م، وكان وزنها تسعة دراهم من الفضة، ثم بدأت تتناقص عياراً ووزناً حتى أصبحت في عهد السلطان عبد الحميد الثاني أقل من نصف درهم. صابان، المعجم الموسوعي، ص178-179.

(80)رفعت باشا، مرآة الحرمين، ص16.

(81)رسالة من وزير فرنسا في جدة إلى المفوض السامي الفرنسي في بيروت، الملك عبد العزيز آل سعود سيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية، ج20، ص68.

(82) المعاهدة الصحية الدولية، المادة 142، ص72.

(83)**كرنتينة:** لفظ أصله فرنسي، ويقال إيطالي **(Quarantine)** ومعناه الشيء الذي يبلغ عدده تقريباً إلى أربعين، ويقال إن جمهورية فينيسيا (البندقية) لما رأت أن الأوبئة كانت تأتي إلى أوروبا من طريق الشرق ومن بلاد المغرب بشمال إفريقية، اهتمت لهذا الأمر، وأقامت أول محجر صحي سمته لازاريت **(Lazarette)** وجعلته في جزيرة صغيرة قريبة منها بالبحر الأدرياتيكي، وكانت تحجر فيها على البضائع والأشخاص القادمين على بلادها من الشرق. البتنوني، محمد لبيب، الرحلة الحجازية، مصر، مطبعة الجمالية، ط2، 1329هـ، ص305. سليمان، أحمد السعيد، تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، القاهرة، دار المعارف، د.ت، ص181. والخلاصة أنه مصطلح يستخدم بمعنى: الحجر الصحي. الصباغ، تحصيل المرام، ص888.

(84)شهبندر، عبد الغني، رحلة الحجاز، بيروت، مجلة الحكمة، 1356هـ/1937م، ص98. كانت رسوم الحجر الصحي تقبض بالقروش المصرية لصالح مجلس الحجر الصحي في الإسكندرية. شانتر، الحج، ص324.

(85)كونكه، أرواح في خطر، ص168-169.

(86)Records of the AL-HAJJ. P.379.

(87)ريزفان، الحج قبل مئة سنة، ص292.
(88)عوادي، ربيع، مسألة العدوى والاحتراز من الأوبئة لدى رحالة الغرب الإسلامي 1830-1930م، مركز البحث وتطوير الموارد البشرية، مج3، ع3، 2020، ص127.
(89)أوكسنولد، الحجاز، ص87.
(90)بن مرعي، الحجيج التونسيون، ص38-39.
(91) العبدلي، الحج إلى الأراضي المقدسة، ص16.
(92)جميل، مرافق الحج، ص144.
(93)ريزفان، الحج قبل مئة سنة، ص216.
(94)**تاكيشي سوزوكي:** (1322هـ1364-هـ/1904م1945-م) ولد تاكيشي سوزوكي سنة 1322هـ/1904م، في محافظة كاناغاوا بالقرب من طوكيو، ويقال أنه لم يواصل تعليمه بالمرحلة الثانوية، كما عمل في شركة كانيو كوهاتسو التجارية، سمى نفسه باسم الحاج محمد صالح، وذلك بعد أدائه مناسك الحج، وقام بأداء مناسك الحج عدة مرات، وسافر في مهمة عسكرية إلى إندونيسيا لايعرف تفاصيلها أحد، وقاد جماعة جاوة الإسلامية، وكان نائباً لمدير جمعية المسلمين في طوكيو، وتقلد رئاستها فيما بعد، توفي غرقاً في سفينة أوامارو، بعد تحطيمها على يد القوات الأمريكية سنة 1364هـ/1945م. سوزوكي، ياباني في مكة، مقدمة المترجم ص22-27.
(95)سوزوكي، ياباني في مكة، ص281.
(96)رفعت باشا، إبراهيم، مرآة الحرمين، ص31-35.
(97)**إبراهيم رفعت باشا:** (1273-1353هـ/1875-1935م) مؤرخ مصري، من أمراء الحج العسكريين، ولد في أسيوط، ونشأ يتيماً، ثم تخرج من المدرسة الحربية بالقاهرة، وولي إمارة الحج ثلاث مرات (1320-1321-1325هـ/1903-1904-1908م)، وتتلمذ في أوقات فراغه على يد بعض علماء الأزهر، كما تم منحه رتبة اللواء العسكرية، صنف كتاب مرآة الحرمين، وتوفي بالقاهرة. الزركلي، الأعلام، ج1، ص39.
(98)رفعت باشا، مرآة الحرمين، ص37.
(99)**حسين كاظم زاده:** (1884-1962م/1301-1382هـ) أديب وفيلسوف ومفكر واسع الاطلاع، عُرف بإتقانه عدة لغات إلى جانب الفارسية لغته الأم، مثل الفرنسية والإنجليزية والألمانية. له عدة مؤلفات، كما نشر بحوثاً في عدة دوريات، وتنقل بين عدة جامعات ومراكز بحوث بأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية. ولد في تبريز سنة 1884م/1301هـ، وتوفي بسويسرا سنة

1962م/1382هـ. زاده، روايـة حـج إلى مكـة، مقدمـة المترجـم، ص21-22.

(100) زاده، رواية حج إلى مكة المكرمة، ص100

(101) كونكه، أرواح في خطر، ص185.

المصادر والمراجع:

(1)الأرشيف العثماني.
(2)الأرشيف الفرنسي.
(3)إسماعيل، صابرة مؤمن، جدة خلال الفترة 1286ه1326-هـ/1869-1908م دراسة تاريخية وحضارية في المصادر المعاصرة، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، 1418هـ.
(4)أمين الريحاني، ملوك العرب، بيروت، دار الجيل، ج1، ط8، 1987م.
(5)الأنصاري، عبد القدوس، تاريخ العين العزيزية بجدة، جدة، إدارة العين العزيزية، 1389هـ/1969م.
(6)الأنصاري، عبد القدوس، موسوعة تاريخ مدينة جدة، جدة، مطابع الروضة، ط2،1401هـ/1980م.
(7)أوغلي، أكمل الدين، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة: صالح سعداوي، إستانبول، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، 1999م، ج2.
(8)أوكسنولد، وليم، الدين والمجتمع والدولة في جزيرة العرب تحت الحكم العثماني 1840-1908م، ترجمة: عبد الرحمن العرابي، جامعة الملك عبد العزيز، 1437هـ.
(9)البتنوني، محمد لبيب، الرحلة الحجازية، مصر، مطبعة الجمالية، ط2، 1329هـ.
(10)بن مرعي، نجيب، الحجيج التونسيون زمن الاستعمار الفرنسي، مكة، مركز تاريخ مكة المكرمة، 1435هـ.
(11)الجاسر، حمد، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، الرياض، دار اليمامة للنشر والتوزيع، د.ت، ج3.
(12)جريدة أم القرى.
(13)جزر المملكة العربية السعودية في البحر الأحمر والخليج العربي، هيئة المساحة الجيولوجية السعودية، ط1، 1428هـ/2007م.
(14)جميل، وليد، مرافق الحج وخدماته المدنية في عهد الملك عبد العزيز: 1343-1373هـ، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1419ه.
(15)الحفناوي، جلال، رحلات الحج الهندية إلى مكة المكرمة وأثرها في مسلمي شبه القارة الهندية، ندوة مكة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية، 1426هـ.
(16)حمزة، فؤاد، البلاد العربية السعودية، الرياض، مكتبة النصر الحديثة، ط2، 1388هـ.

(17)الحموي، ياقوت، معجم البلدان، بيروت، دار صادر، ط2، 1995م.
(18)الخالدي، دايل علي، الإدارة العثمانية وأنظمتها في الحجاز في عهد السلطان عبد الحميد الثاني، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، 1435هـ.
(19)الخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألفاظ التاريخية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1416هـ/1996م.
(20)الراعي، مصطفى، في المملكة الروحية للعالم الإسلامي، مطبعة المدينة المنورة، ط1، د.ت.
(21)رضا، محيي الدين، رحلتي إلى الحجاز، مصر، مطبعة المنار، د.ت.
(22)رفعت باشا، إبراهيم، مرآة الحرمين، د.ط، د.ت.
(23)رفيع، محمد عمر، مكة في القرن الرابع عشر الهجري، مكة المكرمة، دار مكة للطباعة والنشر، ط1، 1401هـ.
(24)الروقي، عايض، المنشآت الطبية في الحرمين الشريفين خلال العهد العثماني: دراسة تاريخية وثائقية، جامعة الكويت، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، مج22، ع88، 2004م
(25)ريزفان، يفيم، الحج قبل مئة سنة، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، ط2، 1414هـ/1993م.
(26)زاده، حسين كاظم، رواية حج إلى مكة المكرمة عام 1328هـ، ترجمة: محمد أمين، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، 1439هـ.
(27)الزركلي، خير الدين، الأعلام، بيروت، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.
(28)لزركلي، خير الدين، شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، بيروت، دار العلم للملايين، ط5، 1992م.
(29)سليمان، أحمد السعيد، تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، القاهرة، دار المعارف، د.ت.
(30)سوزوكي، تاكيشي، ياباني في مكة، ترجمة: سمير عبد الحميد إبراهيم، سارة تاكاهاشي، الرياض، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ط2، 1431هـ.
(31)شانتر، لوك، الحج في الحقبة الاستعمارية (1866-1940)، الكويت، المركز الفرنسي للبحوث في شبه الجزيرة العربية، 2021م.
(32)شهبندر، عبد الغني، رحلة الحجاز، بيروت، مجلة الحكمة، 1356هـ/ 1937م.
(33)صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، د.ط، 1421هـ/2000م.

(34)الصباغ، محمد المكي، تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، مكة، د.ن، 1424هـ.

(35)صفوة، نجدة فتحي، الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، بيروت، دار الساقي، ط1، 2001م.

(36)عبد المجيد، عبد المنعم، الأنظمة والإجراءات والإدارات المتعلقة بالحجاج وتطورها في جمهورية مصر العربية، مشروع موسوعة الحرمين الشريفين، قيد النشر.

(37)العبدلي، هاني، الحج إلى الأراضي المقدسة خلال القرن التاسع عشر: موسم 1884م أنموذجاً، دورية كان التاريخية، السنة العاشرة، العدد السادس والثلاثون، 2017م.

(38)عوادي، ربيع، مسألة العدوى والاحتراز من الأوبئة لدى رحالة الغرب الإسلامي 1830-1930م، مركز البحث وتطوير الموارد البشرية، مج3، ع3، 2020.

(39)عيسوي، عصام، الخدمات والرعاية الصحية للحجاج في الوثائق الرسمية للإدارة المصرية في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين، دراسة تاريخية وثائقية، الجمعية المصرية للمكتبات والمعلومات والأرشيف، مج7، ع1، مارس 2020م.

(40)غربال، محمد شفيق، الموسوعة العربية الميسرة، القاهرة، دار الشعب، نسخة مصورة طبق الأصل من ط1965م.

(41)القيصري، محمد شاكر، الأحوال الصحية العامة في الحجاز 1307هـ/1890م، ترجمة: مصطفى محمد زهران، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، 1437هـ.

(42)كونكه، لافيرن، أرواح في خطر الصحة العامة في مصر القرن التاسع عشر، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، 1434هـ/2013م.

(43)لو، مايكل كريستوفر، إدارة الحج إلى مكة موضوع تجاذب بين السلطنة العثمانية والاستعمار الأوروبي، ترجمة: ربيع هندي، الشارقة، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، 1443هـ/2022م.

(44)المعاهدة الصحية الدولية، المملكة المصرية، وزارة الخارجية، إدارة الشؤون السياسية والتجارية، القاهرة، المطبعة الأميرية، 1934م.

(45)المقحفي، إبراهيم، معجم البلدان والقبائل اليمنية، صنعاء، دار الكلمة للنشر والتوزيع، 1422هـ/2002م، ج2.

(46)الملك عبد العزيز آل سعود سيرته وفترة حكمه في الوثائق الأجنبية، الرياض، دار الدائرة للنشر والتوزيع، ط1، 1419هـ/1998م.
(47)منصور، زينب، معجم الأمراض وعلاجها، عمان، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، 2010م.
(48)مهر، غلام رسول، يوميات رحلة في الحجاز 1348هـ/1930م، ترجمة: سمير عبد الحميد إبراهيم، الرياض، دارة الملك عبد العزيز، 1417هـ.
(49)مهران، محمد بيومي، دراسات في تاريخ العرب القديم، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، د.ت.
(50)وافل، آرثر جون، رحلة الحاج المعاصر إلى مكة عام 1908م، ترجمة: ريم بوزين الدين، أبو ظبي، دار الكتب الوطنية، ط1، 2011.
(51)يلدز، جولدن صاري، الحجر الصحي في الحجاز، ترجمة: عبد الرزاق بركات، الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 1422هـ/2001م.
(52)https://www.britannica.com
(53)Nermin Ersoy, Yuksel Gungor and Aslihan Akpinar, International Sanitary Conferences from the Ottoman perspective (18511938–) ، Journal for the History of Public Health, January 2011.
(54)Records of the AL-HAJJ A Documentary History of the Pilgrimage to Mecca. ARCHIVE EDITIONS.1993.

ولاة خراسان خلال العصر العباسي الأول
(132 - 232 هـ / 749 - 846 م)

أ.حمد راشد سالم الرشيد

باحث - قسم التاريخ - جامعة أم القرى
المملكة العربية السعودية

المستخلص:

هدفت الدراسة الى دراسة النظام الاداري في خراسان وذلك من خلال التركيز على المناطق الادارية التابعة للولاية ، ودراسة النظم الادارية في خراسان واقسامها ودراسة وتحليل الولاة وانسابهم ومصير الولاة بعد الولاية وعمل جداول احصائية تحليلية لتكون اكثر عمقاً واكثر تفصيلاً .وتنبع أهمية الدراسة من عناية الإدارة الإسلامية في الدول والأقاليم جاءت فكرة هذه الدراسة التي تقوم على معرفة أهم الجوانب التي تعلقت بإدارة خراسان خلال العصر العباسي الأول 132-232هـ/749-846م ، وذلك لمكانة العصر العباسي وامتلاكه للقوة السياسية والعسكرية، إضافة إلىمكانة خراسان السياسية والاقتصادية وفي الفترات التي سبقت الدول الإسلامية، علاوة على ما تمتعت بهخراسانم نمواردااقتصاديةكبيرة؛مما ساعد على انتشار الرخاءالاقتصادي ،والذي ظهر على نحو واضح وتمثل في رغبة سكانها في طلب العلموالثقافةعلىنطاقواسعولاسيما أنفيهاًتياراتفكريةمختلفةدينياًمذهبياً وعقائدياً، وهذا يستدعي وجود تنظيم إداري لهذا الإقليم. إضافة إلى ذلك فإن خراسان تعد محطأنظارالدولة الإسلامية منذ نشأتها؛ لأنها تعدرمزاًسياسياً ومظهراً حضارياً عربياً إسلامياً . واتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي بغية الوصول الى نتائج والتي من أهمها : أن الدولة اعتمدت في إدارة خراسان على العنصر اليماني بشكل كبير جداً ، حيث بلغ عدد ولاة خراسان من هذا العنصر عشرة ولاة وهو عدد كبير ، يدل دلالة واضحة على مدى اعتماد الدولة العباسية على اليمانية ، في حين لم يحظ القيسيون بفرصة مماثلة في إدارة خراسان ، وايضاً استقلالية إدارة خراسان حيث لم تتبع خراسان طوال فترة الدراسة لأي ولاية أخرى ، بل كانت بعض الولايات الأخرى تتبع في إدارتها لولاية خراسان ، وفي هذه الحالات كان الوالي الذي تجمع له ولايات أخرى مع خراسان يتمتع بالقوة وثبت ولاءه للدولة العباسية ، وفي اغلب الفترات كانت ولاية خراسان مستقلة في إدارتها حتى يتسنى للوالي فيها ضبط أمورها وإصلاح أحوالها .

الكلمات المفتاحية : الدولة العباسية ، خراسان ، الولاة ، اليمانية ، القيسية

Abstract:

Th e study aimed to study the administrative system in Kh orasan, by focusing on the administrative regions of the st ate, studying the administrative systems in Khorasan and its d epartments, studying and analyzing the governors and their lineage and the fate of the governors after the state, and making statistical and analytical tables to be more in-depth and more detailed. The importance of the study stems from the attention of the Islamic administration in the countries and regions. The idea of this study came, which is based on knowing the most important aspects related to the administration of Khorasan during the first Abbasid era 132232- AH / 749846- AD, due to the status of the Abbas id era and its possession of political and military power, in addition to the political status of Khorasan and in the periods prior to the Islamic countries, in addition to the great economic resources that Khurasan enjoyed; Which helped spread economic prosperity, which appeared clearly and was represented in the desire of its residents to seek knowledge and culture on a large scale, especially since it has different intellectual currents, religiously and ideologically, and this calls for the existence of an administrative organization for this region. In addition, Khorasan has been the focus of attention of the Islamic State since its inception; Because it is considered a political symbol and a manifestation of Arab and Islamic civilization. The study followed the historical, descriptive, and analytical method in order to reach results, the most important of which are: that the state relied in the administration of Khorasan on the Yemeni element in a very large way, as the number of the governors of Khorasan from this element reached ten, which is a large number, which indicates a clear indication of the extent to which the Abbasid state relied on Al-Yamani, while the Qaisians did not have a similar opportunity in the administration of Khorasan, as well as the independence of the administration of Khorasan, as

during the study period, Khorasan was not affiliated to any other state, but some other states were affiliated in their administration to the state of Khorasan, and in these cases it was the governor who combined other states with Khorasan enjoys power and proved his loyalty to the Abbasid state, and in most periods, the state of. Khorasan was independent in its administration so that the governor in it could control its affairs and reform its conditions.

Keywords: Abbasid state, Khorasan, governors, Yamaniyah, Qaisia.

مقدمة :

يعتبر العصر العباسي الأول هو العصر الذهبي للخلافة العباسية ، حيث تميز هذا العصر بالقوة والتأسيس والافتخار ، امتد من سنة 132 – 232هـ تناوب على حكمه تسع خلفاء ، حيث كونت الخلافة العباسية نظاما اداريا رفيعاً وصارماً ، مكن الدولة العباسية من ادارة ولاياتها بكل يسر وسهولة .

وخراسان إحدى الولايات المهمة إذ تجلى باهتمام الخلافة الراشدة التي سعت لفتحها علاوة على هجرة القبائل العربية إليها والاستقرار فيها منذ وقت مبكر، وقد زادالاهتمام بها أكثر في العصر الأموي وذلك بإخضاع مناطق كثيرة منها للدولة العربية الإسلامية عن طريق فتحها، وبرزت أهميتها وقيمتها على نحوٍ كبير بما أبداه العباسيون في نشر دعوتهم فيها، وقيام دولتهم على أكتاف الخراسانيين عرباً وعجما ،وستحاول الدراسة التركيز على مناطق الإدارة التابعة للولاة، كما ستتناول هذه الدراسة إدارة خراسان،وأقسامهاوتحليل الولاة، وأنسابهم ،ومصير الولاة بعد الولاية ، وتمثل خراسان إحدى المراكز الإدارية التابعة للخلافة، فهي تشرف على إدارة منطقة واسعة تضم عدداً من المدن والقرى التابعة لها .

ولاة خراسان في العصر العباسي الأول :

تعتبر خراسان من أهم الولايات بالنسبة للعباسيين خاصة في فترة الدعوة والمرحلة الأولى من إعلان قيام الدولة ، وقد حظيت تلك الولاية باهتمام العباسيين المتزايد ، ويظهر ذلك من خلال عنايتهم باختيار الولاة على خراسان ، ومن خلال ما ورد في المصادر من روايات وأحداث وإشارات حول ولاة خراسان يمكننا أن ننظم الجدول الآتي :

اسم الخليفة	اسم الوالي	القبيلة	فترة الوالي	ملاحظات
الخليفة أبو العباس السفاح (231هـ – 631هـ/947-357م)	أبومسلم الخراساني	مولى	231-731هـ 457-947م	تولى خراسان بصفته القائم بالأمر في خراسان من قبل إبراهيم الإمام ، فلقد وصل أبو مسلم خلال ولايته على خراسان إلى مكانة كبيرة وسلطان عظيم ، فوجد المنصور نفسه مهدداً من تلك المكانة فقرر قتله ، ويمكن توضيح ذلك من خلال موقف المنصور من أبي مسلم خلال ولايته على خراسان في عهد الخليفة السفاح ، حيث كان المنصور يطالب أخاه السفاح بالتخلص من أبي مسلم ، لكن أبا العباس كان يرفض إما لعجز منه أو لأن مكانة أبي مسلم كانت كبيرة وقد يهدد قتله الدولة خاصة انها في بدايتها [1].
الخليفة المنصور (136هـ – 158هـ/753-774م)	أبومسلم الخراساني	مولى		كان المنصور يخشى سلطان أبي مسلم ويسيء الظن ، ويتضح ذلك من محاورة جرت بينه وبين أخيه السفاح136هـ/753م حين قدم أبو مسلم للحج فقال جعفر « يا أمير المؤمنين ، أطعني واقتل أبا مسلم ، فو الله أن في رأسه لغدره ، فقال : يا أخي قد عرفت بلاءه ، وما كان منه « الخ [2] وزاد الخلاف بين الطرفين ، وذلك عندما كتب المنصور لأبي مسلم « قد وليتك الشام ومصر فهي خير لك من خراسان ، فوجه إلى مصر من أحببت وأقم بالشام فتكون بقرب أمير المؤمنين «، وفطن أبو مسلم لغرض المنصور فغضب وقال « يوليني الشام ومصر، وخراسان لي» [3] ثم استخدم المنصور أساليب الدهاء ودعا أبا مسلم لزيارته بإرسال الرسل ، ثم قطع المنصور خط الرجعة على أبي مسلم إذ كتب إلى أبي داوود (خليفة أبي مسلم على خراسان) بالإمارة على خراسان ، ثم توجه أبو مسلم إلى العراق ومن ثم قتله المنصور سنة 731 هـ/457م [4].
الخليفة المنصور (631هـ – 851هـ/357-477م)	أبو داود خالد ابن إبراهيم الذهلي [5]	قيسي	137-140هـ 754-757م	ولاه أبو مسلم أمر خراسان أثناء ذهابه للحج [6] انتهت ولاية أبي داود بسبب مقتله حيث قتل في منزله بعد أن ثار عليه بعض الجند [7]. ويبدو أن المنصور غضب منه بعد أن أنكر قتل أبي مسلم وذكر المنصور ذكرا قبيحا ونسبه إلى الغدر، فكتب المنصور إليه يأمره بغزو ما وراء النهر، ثم كتب إليه في القدوم عليه ووجه بكتابه إليه رسولا مفردا، فقال: ما يقدمني عليه إلا لمسألتي عن أمور أبي مسلم وأمواله ثم قتلي بعد ذلك، ثم قام يفرقع أصابعه ويرقص ويقول: يا أبا جعفر غر غيري، والرسول يراه. فرجع إلى المنصور فأخبره بما عاين، ولم يجب المنصور على كتابه. فكتب المنصور إلى أبي عصام عبد الرحمن ابن سليم مولى عبد الله بن عامر بن كريز: إن قتلت أبا داود فأنت أمير خراسان، فخرج أبو عصام إلى كشماهن[8] وقد دس إلى أهلها من هيجهم ليخرج أبو داود فيفتك به، وسمع أبو داود الضجة فصعد لينظر فمشى على جناح في داره وكان ضعيف البصر فسقط على وتد، فقالت له امرأته من ذا؟ قال: أنا أبو داود قد نزل بي ما يريد أبو جعفر، واحتمل فمات[9]

اسم الخليفة	اسم الوالي	القبيلة	فترة الوالي	ملاحظات
الخليفة المنصور (136هـ-158هـ/753-774م)	عبدالجبار بن عبدالرحمن الازدي[10]	يماني	140-141هـ 757-758م	أرسله المنصور لقتال المتمردين الذين قتلوا أبا داود وقضى عليهم، ثم ما لبث أن تمرد عبدالجبار بعد أن كثر عدده وماله، ووجه المنصور ابنه محمد المهدي الذي أقام بالري، فأرسل قائده خازم بن خزيمة التميمي لقتال عبدالجبار وتمت هزيمته وإرساله للمنصور الذي نفذ فيه حكم القتل.[11]
الخليفة المنصور (631هـ-851هـ/357-477م)	محمدالمهدي ابن أبي جعفرعبدالله المنصور[12]	عباسي	141-151هـ 857-867م	أرسله أبوه أبو جعفر المنصور على رأس جيوشه ومعه أمهر القادة فقضى على فتنة عبدالرحمن بن عبد الجبار الأزدي والي خراسان وقضى على ثورة الأصبه بذوالي طبرستان وفتنة أستاذسيس الذي أدعى النبوة[13]. غزا طبرستان، ووجه أبا الخصيب وخازم بْن خزيمة والجنود إلى الأصبهبذ[14]
الخليفة المنصور (631هـ-851هـ/357-477م)	أسيدبن عبدالله بن مالك الخزاعي[15]	يماني	141-151هـ 758-768م	بعثه المهدي بجيش للمشاركة والقضاء على تمرد والي خراسان عبدالجبار الازدي[16] .
الخليفة المنصور (136هـ-158هـ/753-774م)	حميدبن قحطبة الطائي[17]	يماني	151-159هـ 768-775م	كان لأبيه شان كبير في بداية الدعوة العباسية حيث كان أحد النقباء[18]. تولى ولاية مصر من قبل المنصور عام 143هـ إلى144هـ/760-761م[19] انتهت ولايته على خراسان بسبب وفاته[20].
الخليفةالمهدي (851هـ-961هـ/477-587م)	أبو عون عبد الملك بن يزيد الازدي[21]	يماني	159-160هـ 775-776م	كان من ضمن القادة الذين شاركوا في معركة الزاب 132هـ تولى مصر مرتين سنة 133هـ-136هـ، و 137-140هـ[22] عزله المهدي لسخطه عليه بسبب عدم قدرته على القضاء على ثورة يوسف البرم[23]
الخليفةالمهدي (851هـ-961هـ/477-587م)	معاذبن مسلم[24]	قيسي	160-163هـ 776-779م	تم عزله لأنه لم يستطع القضاء على ثورة المقنع الخراساني[25]

اسم الخليفة	اسم الوالي	القبيلة	فترة الوالي	ملاحظات
الخليفة المهدي (851هـ-961هـ/477-587م)	المسيب بن زهير بن عمر ابن مسلم الضبي[26]	قيسي	163-166هـ 977-287م	تم عزله بسبب اضطراب الأمور في خراسان ، وذلك بسبب الإجراءات التي اتبعها حين قام برفع وجمع الضرائب [27].
الخليفة المهدي (851هـ-961هـ/477-587م)	أبو العباس الفضل بن سليمل الطوسي[28]	خراساني	166-171هـ 782-787م	تولى خراسان وأضيفت إليه سجستان[29] توفي في بغداد بعد قدومه للمهدي [30]
الخليفة الرشيد (071هـ-391هـ/687-808م)	جعفر بن محمد بن الأشعث ابن عقبة الخزاعي [31]	يماني	171-173هـ 787-987م	استقدمه الرشيد إلى بغداد وعين ابنه العباس إلى أن مات[32].
الخليفة الرشيد (170هـ-193هـ/786-808م)	العباس بن جعفر بن محمد ابن الأشعث الخزاعي[33]	يماني	371-571هـ 987-197م	يظهر أنه لسيرة والده وجده والخدمات التي قدماها للدولة العباسية دور في تعيينه .
الخليفة الرشيد (071هـ-391هـ/687-808م)	لغطريف بن عطاء الكندي[34]	يماني	571-671هـ 197-297م	خال الرشيد ، سألته أمه الخيزران يولي خاله فولاه اليمن[35]، ثم ولاه خراسان وعزله لأنه لم يستطع القضاء على ثورة حصين الخارجي [36]
الخليفة الرشيد (071هـ-391هـ/687-808م)	حمزة بن مالك ابن الهيثم الخزاعي[37]	يماني	176-177هـ 792-793م	أبوه أحد نقباء الدولة العباسية[38] تولى ولاية سجستان سنة 159هـ/775م وتوفي سنة 181 هـ/797م [39] .

اسم الخليفة	اسم الوالي	القبيلة	فترة الوالي	ملاحظات
الخليفةالرشيد (170هـ-193هـ/786-808م)	أبوالعباس الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي[40]	فارسي	177-179هـ 793-795م	ولاه كور الجبال وطبرستان ودنباوند وقومس وأرمينية وأذربيجان سنة 176هـ/792م[41] ثم ولاه خراسان وما يليها من الأعمال من الري وسجستان[42] . وكان عزله بسبب ميله للصيد وبعده عن الرعية [43]
الخليفةالرشيد (071هـ-391هـ/687-808م)	عمرو بن شرحبيل[44]		971-971هـ 597-597م	عند انصراف الفضل بْن يحيى عن خراسان استخلف عليها عمرو بْن شرحبيل[45].ويبدو أن ذلك جعل الرشيد يعزل الفضل لعدم اهتمامه وتفرغه للولاية.
الخليفةالرشيد (071هـ-391هـ/687-808م)	منصور بن يزيد بن منصور الحميري[46]	يماني	179-180هـ 597-697م	
الخليفةالرشيد (071هـ-391هـ/687-808م)	أبوالفضل جعفرابن يحيى ابن خالد البرمكي	فارسي	081هـ 697م	كان وزير الرشيد ولاه خراسان وسجستان، واستعمل جعفر عليهما محمد بن الحسن بْن قحطبة . وشخص الرشيد من مدينة السلام مريدا الرقة على طريق الموصل، فلما نزل البردان، ولى عيسى بْن جعفر خراسان، وعزل عنها جعفر بْن يحيى، فكانت ولاية جعفر بْن يحيى إياها عشرين ليلة ، وولاه أمر الحرس[47] .
الخليفةالرشيد (170هـ-193هـ/786-808م)	علي بن عيسى بن ماهان[48]	عرب خراسان	180-191هـ 796-806م	لم يستطع القضاء على ثورة رافع بن الليث وخرج من بلخ إلى مرو فبلغ ذلك الرشيد فعزله وولى هرثمة [49] . ثم عاد مرة أخرى عندما أرسله الأمين لقتال أخيه المأمون في خراسان[50] . بعد ذلك ولاه الأمين سنة 591هـ/018م الجبل وهمذان وأصبهان وقم [51].

اسم الخليفة	اسم الوالي	القبيلة	فترة الوالي	ملاحظات
الخليفة الرشيد (170هـ-193هـ/786-808م)	هرثمة بن أعين البلخي الخراساني[52]	خراساني	191-491هـ 608-908م	كان من كبار رجال بلاط الرشيد، وكان يستعين به في ضبط الأحوال والقضاء على الاضطرابات في أي الجهات كانت، وكان يثبت قدرة كبيرة على ذلك. حيث ولاه الرشيد مصر سنة 871هـ/497م، ثم وجهه إلى أفريقية لإخضاع عصاتها ،فدخل القيروان سنة 971هـ/597م ولقي من أهلها ما يحب، فأحسن معاملتهم، وتقدم في جيش كبير إلى تيهرت فقابله ابن الجارود، وظفر هرثمة، وأطاعته قبائل البربر فعاد إلى القيروان، واستمر والياً على أفريقية سنتين ونصف[53]. كما ولاه الرشيد غزو الصائفة، وضم إليه ثلاثين ألفا من جند خراسان، ومعه مسرور الخادم، إليه النفقات وجميع الأمور[54].
الخليفة الرشيد (071هـ-391هـ/687-808م)	المأمون بن هارون الرشيد[55]	عباسي	183-198هـ 799-813م	ولاه أبوه خراسان سنة 381هـ/997م وما يتصل بها من همذان إلى آخر المشرق[56]
الخليفة الأمين (391هـ-891هـ/808-318م)	العباس بن جعفر بن محمد ابن الأشعث الخزاعي	يمني	491-591هـ 908-018م	تولى خراسان للمرة الثانية[57]
الخليفة الأمين (391هـ-891هـ/808-318م)	علي بن الحسن بن قحطبة الطائي[58]	يمني	591-691هـ 018-118م	
الخليفة الأمين (391هـ-891هـ/808-318م) الخليفة المأمون (891هـ-812هـ/318-338م)	الفضل بن سهل بن عبدالله[59]	فارسي	196-202هـ 811-817م	كان والياً على المشرق[60] استمر الفضل والياً على خراسان حتى تمكن المأمون من حسم الأمر مع أخيه الأمين، وقرر العودة إلى بغداد.

اسم الخليفة	اسم الوالي	القبيلة	فترة الوالي	ملاحظات
الخليفة المأمون (891م-812م/318-338م)	غسان بن عباد بن أبي الفرج أبي إبراهيم بن غسان[61]	عراقي عربي	202-502هـ 718-028م	
الخليفة المأمون (198هـ-218هـ/813-833م)	أبو الطيب طاهر بن حسين بن مصعب البوشنجي[62]	فارسي	205-207هـ 820-822م	كان قائد المأمون في حربه ضد أخيه الأمين وتمكن طاهر من القضاء على جيش الأمين بقيادة علي بن عيسى بن ماهان وسمي بذي اليمينين[63] . كان في نفس المأمون شيء لقتله أخاه الأمين بغير مشورته ، لما استقر في خراسان قطع خطبة المأمون يوم جمعه ، انتهت ولايته بمقتله[64] ويعتبر طاهر بن الحسين المؤسس للدولة الطاهرية رغم قصر مدة حكمه .
الخليفة المأمون (198هـ-218هـ/813-833م)	طلحة بن طاهر بن الحسين[65]	فارسي	207-213هـ 822-828م	يبدو أن خراسان أصبحت ولاية شبه مستقلة عن الدولة العباسية ، وأصبح تعيين الولاة فيها يقتصر على أسرة الطاهريين فقط منذ عصر الخليفة المأمون وحتى نهاية دولتهم سنة 259هـ/872م .
الخليفة المأمون (891م-812م/318-338م)	علي بن طاهر بن الحسين	فارسي	312-412هـ 828-928م	كان سبب مسيره إليها أنّ أخاه طلحة لما مات ولي خراسان عليّ بن طاهر، خليفة لأخيه عبد اللّه، وكان عبد اللّه بالدّينور يجهّز العساكر إلى بابك[66]
الخليفة المأمون الخليفة المعتصم (218هـ-227هـ/833-841م)	أبو العباس عبدالله بن طاهر بن الحسين[67]	فارسي	032-412هـ 448-928م	ولى المأمون عبد الله بْن طاهر الرقة لحرب نصر بْن شبث ومضر 206هـ/821م[68] أرسله المأمون إلى مصر سنة 210هـ/825م بعد أن هاجت فاخمد ثورتها، واستأمن أهلها، كما طرد الأندلسيين الذين استقروا في الإسكندرية سنة 211 هـ/826م[69] وانتهت ولايته بسبب وفاته.
الخليفة الواثق بالله (722م-232هـ/148-648م)	طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين	فارسي	032-232هـ 448-648م	

ومن خلال الجدول السابق يمكن القول أن الثورة العباسية انطلقت من خراسان وتعاظمت قوتها هناك فالأمر لا يتحمله ولاة خراسان وحدهم بل إن تردي أحوال الدولة الأموية في مختلف الولايات لعب دوراً كبيراً في ذلك .ويبدو أن العباسيين قد تنبهوا لتلك المكانة التي تمتعت بها خراسان في العصر الأموي من خلال قوة الولاة الذين تولوها للأمويين ، لذا تعامل العباسيون مع ولاية خراسان على هذا القدر من الأهمية . فقد كان مفجر الثورة العباسية أبو مسلم الخراساني صاحب الدور القوي في قيام الدولة العباسية أول والٍ على خراسان للخليفة العباسي الأول أبو العباس ، بل إن أغلب المناطق التي كانت تخضع للعباسيين أصبحت تتبع بداية الأمر خراسان ، لأنها المكان الذي انطلقت منه الجيوش العباسية فكان أبو مسلم يسير الجيوش ويعين العمال وهو ما أدى إلى تعاظم مكانته ، وازدياد قوته في خراسان وغيرها، لدرجة أن الخليفة الأول وأخاه المنصور خلال حديث بينهما أشار له المنصور بتعاظم هذه القوة ومدى خطورتها على مستقبل الدولة[70]، ورغم قناعة أبو العباس بما ساقه أبا جعفر من مخاوف تجاه أبي مسلم إلا أنه لم يتخذ بحقه أي إجراء، ربما لأن الدولة كانت في بدايتها وأنها غير مؤهلة للتخلص من شخصية بهذا الثقل. ويظهر أن المكانة التي وصل إليها أبو مسلم خلال ولايته على خراسان ودوره في قيادة الجيوش العباسية ، أعتقد أنه قد أصبح ملكاً على خراسان وأنها حق له, ويظهر ذلك بوضوح من خلال رده على رسالة المنصور حين أصدر أمراً بتوليه الشام و مصر ، فقد كتب المنصور إليه « قد وليتك الشام ومصر فهي خير لك من خراسان ، فوجه إلى مصر من أحببت وأقم بالشام فتكون بقرب أمير المؤمنين « فرد عليه أبو مسلم بقوله (هو يولينى الشام ومصر، وخراسان لي[71]) . ويبدو أن أبا مسلم في هذه الردود القوية كان يعتمد على ولاء أهل خراسان ، طالما أنه كان يثير بداخلهم طموحات بالعودة إلى امتيازاتهم ومكانتهم قبل الحكم العربي الإسلامي , ومن هنا كان على المنصور بعد توليه الخلافة أن يتعامل مع هذا الموقف بترو وحكمة قادته في النهاية للتخلص من هذا الكابوس الذي هدد وجود الدولة العباسية برمتها ، وكان للعنصر الخراساني حضورا قويا في إدارة خراسان , ورغم ما فعله أبو مسلم من تحد للسلطة العباسية إلا أن الدولة العباسية استمرت في اعتمادها على هذا العنصر عبر فترات مختلفة من عمر الدولة العباسية خلال فترة الدراسة ، حيث تولى خراسان تسعة ولاة من أصول فارسية ، فبعد ولاية أبي مسلم الخراساني الذي تولى لأبي العباس وبداية خلافة المنصور، غاب العنصر الفارسي عن ولاية خراسان حتى أيام الخليفة المهدي حيث تولى الولاية أبو العباس الفضل

بن سلمان الطوسي الذي جمع بين ولاية خراسان وسجستان [72] ثم غاب أوائل فترة حكم الرشيد ليعود مرة أخرى على يد أسرة البرامكة وذلك عندما تولى أبو العباس الفضل بن يحيى سنة 177هـ / 793م [73] ـ ويظهر أن ثقة الرشيد بأسرة البرامكة أعادت العنصر الفارسي إلى الواجهة من جديد، خاصة أن تلك الأسرة تمتعت بقدر كبير من الإدارة وحسن ضبط الأمور، فقد ولى الرشيد خلال قيام الفتنة القبلية في بلاد الشام سنة 176هـ / 792م الشام لـ موسى بن يحيى البرمكي الذي تمكن من إصلاح الحال بين المضرية واليمانية [74].

ولما تجددت العصبية من جديد سنة 180 هـ/ 796م عين الرشيد على الشام جعفر بن يحيى البرمكي والذي نجح في إصلاح أحوالها ، وفي خراسان كان لهذه الأسرة دور في الإدارة فيها ، فقد عين الرشيد على ولايتها أبا العباس الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي , وعمل الفضل على ضبط الأمور في خراسان ، وفي ظل تنامي الدور الذي تلعبه هذه الأسرة في إدارة الدولة العباسية عمل الفضل على استغلال إمكانات تلك الولاية لصالحه وصالح أسرته، بل إنه عمل على التمكين لنفسه وزيادة قوته فيها ، ويذكر الطبري « أن الفضل اتخذ بخراسان جنداً من العجم سماهم العباسية , وجعل ولاءهم لهم – أي البرامكة – وأن عدتهم بلغت خمسمائة ألف رجل، ولما قدم بغداد قدم معه منهم عشرون ألف رجل , فسموا ببغداد بالكرنبية ، وخلف الباقي منهم بخراسان على أسمائهم ودفاترهم [75] «. ومن المؤكد أن استشعار الرشيد لخطورة هذا الأمر كان عاملاً مهما في تغير الرشيد وغضبه على البرامكة وبالتالي نكبتهم . ويشير الطبري إلى أن الفضل بعد أن اطمأن للمكانة الكبيرة التي حدثت له في خراسان وولاء جيشها له ، انصرف عن خراسان واستخلف عليها عمرو بن شرحبيل ، وتفرغ للراحة والصيد ، وبعُد عن الرعية ، وهو ما ساق الرشيد لعزله فيما بعد ، متهما إياه بالبعد عن الرعية وعدم التفرغ لرعاية شؤونها ، وبقي على طبرستان والرويان ، ثم عزله عنهما أيضاً ، وعين عليها عبدالله بن خازم، ولم يبق تحت إدارة الفضل سوى الري ، ثم عزله الرشيد عنها ، وولاها محمد بن يحيى بن الحارث بن شخير [76] . ويتضح من إجراءات الرشيد المتتابعة تجاه الفضل أنه حاول أن يحد من قوته خطوة بخطوة ، حتى لا يظهر الفضل التمرد ، فبدأ بسحب المناطق من تحت إدارته أولاً بأول ، حتى لم يبق مع الفضل من الإدارة شيئاً ، ويظهر أن الرشيد استشعر الخطورة في أن يجمع عدد من الولايات كطبرستان وسجستان والري إلى جانب خراسان ، فما كان منه إلا أن عين على كل واحدة منها والياً مستقلاً ليسهل ذلك من ضبطها كما تسهل مراقبتها .وقد استعان الرشيد سنة 180هـ /796م بوزيره جعفر بن

يحيى البرمكي في إدارة خراسان، وقد ألحق له علاوة على خراسان بسجستان ، ويبدو أن أمور الإدارة كانت مضطربة ، فأراد الرشيد إعادة ضبط دواوينها من جديد ، وكان جعفر مقيماً في بغداد وينيب عنه محمد بن الحسن بن قحطبة ، ولم تستمر ولاية جعفر على خراسان أكثر من شهر، حيث أمر بعزله عنها واستبداله بعيسى بن جعفر ، ويظهر أن الرشيد أراد أن يتفرغ جعفر لأمور أخرى حيث ولاه الحرس[77] .ويبدو أن العنصر الفارسي قد غاب عن ولاية خراسان منذ أواخر فترة الرشيد ، ولكنه عاد للظهور من جديد أواخر حكم الخليفة الأمين الذي ولى إدارة خراسان للفضل بن سهل بن عبد الله ، والذي كان له دور في الصراع بين الأخوين على السلطة ، وهو الذي زين للمأمون التمرد ، وكان له دور كبير في إدارة أمور المأمون خلال فترة تواجده في خراسان خلال الفتنة بين الأخوين وحتى بعد إقامة المأمون في خراسان ، لذلك استمر في إدارة أمور خراسان بل حتى والتحكم في شؤون المأمون وتعمية الأخبار عنه ومنع وصولها إليه ، وعندما أطلعه ولي عهده علي الرضا على الأحوال ، فقرر المأمون العودة إلى بغداد. وتم التخلص من الفضل بن سهل سنة 202هـ/817م .ومنذ عصر الخليفة المأمون تولى إدارة خراسان طاهر بن الحسين ، ويبدو أنه كان للدور الذي قام به طاهر خلال الفتنة بين الأخوين وقيادته لجيش المأمون وتمكنه من تحقيق الانتصار على جيش الأمين ، دور كبير في ارتفاع مكانته ، حيث لقبه المأمون بذي اليمينين[78]، ويبدو أن تعيينه في إدارة خراسان جاء تكريما له ، بل إنه جمع إلى جانب ولاية خراسان منصباً رفيعاً في بغداد وهو ولاية الشرطة ، كما أنه منذ تولي طاهر بن الحسين ولاية خراسان تحولت الولاية إلى ولاية شبه مستقلة عن الدولة العباسية ، بحيث يتولى إدارتها أحد أفراد البيت الطاهري ، والذي كان حريصاً على حصوله على شرعية توليه من خلال مباركة الخليفة وإقراره على ولايته ، ومن هنا يمكن القول أن تبعية خراسان للدولة العباسية خلال إدارة الدولة الطاهرية كانت أقرب إلى الاسمية منها الفعلية . ويمكن القول : أنه ساد خلال فترة ولاية آل طاهر على خراسان بينهم وبين الدولة العباسية علاقات متينة ، وقدم الطاهريون خدمات جليلة للدولة العباسية في دفاعهم عن حدود الدولة من الشرق ، وتصديهم لأطماع الطامعين بأملاك الدولة العباسية ، فحصلوا على الثقة من الخلفاء العباسيين ، وكانوا بالفعل على قدر تلك الثقة التي حصلوا عليها .وقد تعاقب على ولاية خراسان من الطاهريين خلال فترة الدراسة خمسة من الولاة بدءًا من طاهر ابن الحسين وانتهاءً بطاهر بن عبد الله الحسين [79] . وإذا كانت الدولة الأموية قد اعتمدت على العرب في الإدارة على العنصر القيسي (المضري) أواخر عهدها

في إدارة خراسان ، فعلى النقيض من ذلك كانت الدولة العباسية تعتمد على العنصر اليماني أكثر من القيسي ، فقد بلغ عدد ولاة الدولة العباسية عشرة ولاة ، ويظهر أن هذا العنصر كان له دور في كبير في الدعوة العباسية ، وقد نصح صاحب الدعوة العباسية إبراهيم الإمام في رسالته الموجهة إلى أبي مسلم أن ينظر هذا الحي من العرب « وقد كان ما أراد ، فمنذ خلافة المنصور بدأ هذا العنصر بالظهور في إدارة خراسان حيث تولى عبدالجبار الأزدي ولاية خراسان للمنصور سنة 140هـ /757م ، وقد جاء تعيينه بعد أن أرسله المنصور للقضاء على التمرد الذي حصل ضد الدولة العباسية [80] ، ولكنه لم يمكث طويلًا ، حيث تم عزله عن الولاية بسبب ميله للتمرد [81] .

كما استمر المنصور في اعتماده على هذا العنصر فولى خراسان أسيد بن عبد الله بن مالك الخزاعي ، وقد جاءت ولايته كنوع من المكافأة له بعد مشاركته بالقضاء على التمرد الذي قام به عبدالجبار الأزدي [82] .

ثم استعان المنصور بن حميد قحطبة الطائي والذي استمرت ولايته على خراسان ثمان سنوات انتهت بوفاته ، وكان قبل ولايته على خراسان قد ولاه المنصور مصر [83] . ويظهر أن المكانة التي كانت لأبيه ، والدور الذي لعبه خلال الدعوة وقيادة جيوش العباسيين، كان عاملاً مهماً في تكريم الدولة لذلك الرجل المهم [84] . وتولى بعد وفاة حميد بن قحطبة خلال خلافة المهدي أبو عون بن عبدالملك الأزدي وهو يماني أيضاً ، ويظهر أنه كان للدور الذي قام به وشجاعته في معركة الزاب ، عامل مهم في تعيينه وتكريمه بولاية خراسان[85]. وكان قبل ذلك قد تولى ولاية مصر لأبي العباس ثم للمنصور [86] . واستعان الخليفة الرشيد بالعنصر اليماني من خلال تعيينه جعفر بن محمد بن الأشعث بن عقبه الخزاعي في الفترة 171-173هـ/ 787-789م ، ولم يلبث أن استقدمه الرشيد إلى بغداد بعد أن ترك ابنه العباس على خراسان ، ثم خلفه في إدارة خراسان ابنه العباس بن جعفر في الفترة 173-175هـ / 789-791م ، ويبدو أن أباه كان يتمتع بثقة ومكانة كبيرة لدى الخليفة الرشيد وهو ما جعل الرشيد يستعين به [87]. واستمر الرشيد بالاستعانة بالعنصر اليماني، حيث ولى خراسان الغطريف بن عطاء سنة 175-176هـ/791-792م بتأثير من أمه الخيزران ، ولكنه سرعان ما عزله بسبب عجزه القضاء على ثورة حصين الخارجي [88] . ثم ولى الرشيد حمزة بن مالك بن الهيثم الخزاعي في الفترة 176-177هـ /792-793م ، وكان قد تولى الشرطة في عهد المنصور وابنه المهدي ، وكان على ديوان الخاتم في خلافة هارون [89] ، وقد تولى قبل خراسان ولاية سجستان سنة 159هـ/775م [90] . وتولى منصور بن يزيد بن منصور

الحميري في الفترة 179-180هـ/ 795-796م ، وكان قبل توليه خراسان يتولى اليمن ، ولكنه لم يمكث طويلا بسبب عجزه عن القضاء على ثورة حمزة السجستاني [91] . ثم تولاها علي بن الحسن بن قحطبة الطائي في الفترة 195-196هـ/810-811م . وإذا كان للعنصر اليماني هذا العدد من الولاة عشرة ولاة ، فلم يكن للعنصر القيسي ذلك الدور حيث لم يتجاوز عدد ولاة خراسان من القيسية ثلاثة ولاة . فقد تولى للمنصور أبو داود خالد ابن ابراهيم الذهلي ، ويظهر أن توليته جاءت من قبل أبي مسلم الخراساني خلال ذهابه للحج ، واستمر والياً على خراسان ، ولكن المنصور غضب عليه بسبب إنكاره لمقتل أبي مسلم الخراساني ، واتهامه المنصور بالغدر . فحرض المنصور الجند ضده وقتل [92]. وولى الخليفة المهدي معاذ بن مسلم في الفترة 160-163هـ / 776-779م ـ ولكنه عزل عن الولاية لعجزه عن القضاء على ثورة المقنع الخراساني [93]. ثم ولى المهدي المسيب بن زهير بن عمر الضبي في الفترة 163-166هـ/779-782م وعزله بعد أن اضطربت الأمور في خراسان بسبب سلسلة إجراءاته من رفع الضرائب والقسوة في جمعها [94] .

كما تولى ولاية خراسان اثنان من كبار أفراد البيت العباسي ، وقد وصلا إلى منصب الخلافة حيث تولاها محمد بن أبي جعفر (المهدي) لأبيه المنصور في الفترة 141-151هـ /758-768م ، حيث أرسله على رأس جيش وبصحبته قادة كبار للقضاء على فتنة عبدالرحمن بن عبدالجبار الأزدي إلى خراسان ، كما قضى على ثورة الأصبهبذ والي طبرستان، وفتنة أستاذ سيس[95]، كما تولى عبدالله بن هارون (المأمون) خراسان خلال خلافة الرشيد في الفترة 183-198هـ/799-813 م ، وقد جمع له أبوه خراسان وما يتصل بها من همذان إلى آخر المشرق ، وقد نص على ذلك في كتاب توليه العهد[96]. ويتبين أيضاً أن الدولة رغم تعيينها لبعض الولاة لكنها كانت تقف في وجههم لأنهم حاولوا أن يستغلوا نفوذ تلك الولاية في تشكيل مناطق خاصة بهم فكان مصيرهم القتل ، حيث بدأوا في أبي مسلم الخراساني الذي راودته نفسه أن يُكوّن في خراسان ملكاً خاصا به [97]، وكذلك الحال لأبي داود خالد بن إبراهيم الذهلي الذي كان لسياساته دور كبير في اضطراب الجند حوله ومن ثم قتله[98]، وكذلك للوالي عبدالجبار بن عبدالرحمن الأزدي الذي حدثته نفسه بالثورة والاستقلال فكان مصيره القتل[99] . ويبدو أن الخوف كان يراود العباسيين من أن ينجح أحد الولاة الذين يتمتعون بنفوذ كبير في خراسان من الاستقلال بها ، فكانت تجعل عليهم العيون ، ولما تصل الأخبار كانت الدولة تتحرك للتخلص منهم قبل أن يستفحل أمرهم أو يعلنون تمردهم وهو ما حدث مع أبي مسلم الخراساني .

كما كان لاضطراب الأحوال في خراسان خلال ولاية بعض الولاة دور كبير في عزلهم عن ولايتهم ، فقد قتل أبو داود خالد الذهلي بعد قيام ثورة الأهالي والجند بسبب سياساته [100] ، كما عزل معاذ بن مسلم الرازي لأنه لم يستطع القضاء على ثورة المقنع[101]، وعزل عبدالجبار بن عبدالرحمن الأزدي بعد ثورته وتمرده على الدولة فتم قتله [102] ، وعزل أبو عون عبدالملك الأزدي لعدم قدرته على القضاء على ثورة يوسف البرم [103] ، وتم عزل الغطريف بن عطاء الكندي لأنه لم يستطع القضاء على ثورة حصين الخارجي[104] ، وكان لعجز علي بن عيسى بن ماهان عن قمع ثورة رافع بن الليث ودوره في قيامها سبب في عزله عن الولاية [105] . ويتضح أيضا من الجدول أن محمد المهدي تولى خراسان 141-151هـ/758-768م وهذا دليل أن والده أبا جعفر كان له بعد سياسي وإداري من حيث تولي ابنه هذه الولاية القوية ، لكي يكتسب فنون السياسة وكيفية التعامل مع الاضطرابات الداخلية والخارجية والعمل على حلها ، لا سيما في هذه الولاية التي تتسم بطبيعة مختلفة من حيث الخارجين فيها والاضطرابات والتنافس بين القبائل ، كل ذلك كان بمثابة إعداد قوي لشخصية ستتولى مقاليد الحكم ، وكذلك المأمون الذي ولاه أبوه خراسان وذلك خلال التقسيم الذي قسمه الرشيد للدولة حيث كان من نصيب المأمون خراسان وقد أوصلته هذه الولاية للخلافة . وإذا كانت الدولة في بعض الأحيان تستعين بولاة أقوياء لقمع حركات التمرد والاضطرابات فقد كان لسياسة بعض الولاة في خراسان سبب في حدوث تلك الاضطرابات [106] ، فعبدالجبار الأزدي الذي زادت أمواله ووسع جاهه وسلطانه كان لسياسته في جمع المال دور كبير في حدوث الاضطرابات ، كما كان لسياسة الوالي المسيب بن زهير الضبي المالية سبب في اضطراب الأمور في خراسان بسبب رفع الضرائب والتي كان لها دور كبير في قيام الثورة عليه فتم عزله[107] . ويتضح أيضاً أنه تولى احد الولاة مرتين وهو العباس بن جعفر بن محمد ابن الأشعث ، الأولى كانت في عهد الرشيد والثانية في عهد الأمين وهذا يدل على قوة الوالي وحضوره في المشهد الخراساني وقدرته على ضبط أحوالها . وفيما يتعلق بالمدة أو الفترة التي كان يقضيها والي خراسان في ولايته ، فإن أطول مدة استمر بها والي على خراسان كانت من نصيب علي بن عيسى بن ماهان الذي استمر في ولايته مدة 11 عاماً (180-191هـ) [108] ، ويبدو أنه كان يتمتع بقدرة كبيرة في إدارة الأمر ، لكن الروايات تشير إلى عكس ذلك ، فالطبري أشار إلى أنه عزل بسبب عجزه عن التعامل مع ثورة رافع بن الليث [109]. وأغلب الظن أنه كان يوفر الأموال الكثيرة للدولة بأساليب ربما ساهمت فيما بعد في سخط

الناس عليه وهو ما أدى إلى الثورة على سياساته ، ورغم محاولاته المستمرة في إخفاء الأخبار عن الخلافة ، إلا أن اجتماعاً أورده الطبري بين جعفر بن يحيى والرشيد أشار به جعفر إلى تلك السياسات والتي قد تؤدي إلى التمرد ، وهو ما لم يقتنع به الرشيد ولكنه حدث بالفعل[110] . والمهم في الأمر أن علي بن عيسى بن ماهان رغم طول ولايته ورضى الدولة عنه إلا أن الخلافة لم تجد حرجاً في عزله بعد عجزه عن قمع ثورة رافع بن الليث أو بعد علمها بأنه السبب ربما في حدوثها .

بينما نجد أن أقصر مدة لوالي كانت لأبي الفضل جعفر بن يحيى خالد البرمكي حيث كانت عشرين ليلة فقط ليقف على حال خراسان وذلك لأن الرشيد أراد جعفر أن يتولى أمر الحرس[111] .ويظهر أن ولاية خراسان كانت في أغلب فترات الدراسة ولاية مستقلة ولها إدارتها الخاصة ، ولكن في بعض الأحيان قد جمع إلى خراسان عدد من الولايات وأصبحت تحت إدارة والٍ واحد وهو والي خراسان ، وهذا ينطبق على الوالي الفضل بن سليمان الطوسي الذي أضيفت له ولاية سجستان[112] ، وربما يدل ذلك على كفايته الإدارية أو هامشية ولاية سجستان . وأحياناً جمع إلى خراسان ولايات أخرى كالري وسجستان وهو ما تم خلال ولاية أبي العباس الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي [113]، ويبدو أن القدرة الإدارية لهذه الأسرة وتغلغلها في الدولة كان له عامل مهم في هذا التوسع في الإدارة ، نظراً لما كان يتمتع به أبوه من مكانة لدى الرشيد وأمه .وفي بعض الأحيان كانت الدولة تعيد النظر في بعض الولاة الموالين لها بعد توليهم ولاية خراسان ، وهذا ما كانت تتطلبه التطورات والأحوال السياسية والإدارية المتتابعة ، ففي بعض الأحيان كان بعض الخلفاء يستعين بأشخاص كانوا ثقات عند ولاة سبقوه في الولاية ، وهو ما ينطبق على أسيد ابن عبدالله الخزاعي[114] . كما حرصت الدولة على تكريم بعض الأسر الموالية صاحبة المقدرة الإدارية والعسكرية ، والتي كان لمؤسسيها دور في قمع حركات التمرد فأعادت الثقة بهم وكرمتهم من جديد وهذا ينطبق على أسرة بني الأشعث ، حيث كان لمؤسس الأسرة محمد بن الأشعث دور كبير في قمع حركات التمرد في أفريقيا [115]، ولم تنس الدولة له هذا الصنيع فكان لابنه جعفر بن محمد بن الأشعث دور في إدارة الدولة حيث تولى إدارة ولاية خراسان [116] ، ثم تتابعت الثقة في تلك الأسرة حين تولى الحفيد العباس بن جعفر بن محمد الأشعث ولاية خراسان أيضا [117] . ولم ينس العباسيون فضل النقباء في بداية الدعوة حيث تسلم أبناء النقباء مقاليد الحكم في الولاية وذلك تكريماً لما قدمه آباؤهم من جهود في نشر وتثبيت دعائم الدولة العباسية الناشئة ومن

هـؤلاء الـولاة حميـد بـن قحطبـة الطائـي ، حيـث كان أبـوه أحـد النقبـاء المشـهود لهـم بالتضحيـة والقيـادة وكذلـك الـوالي حمـزة بـن مالـك بـن الهيثـم الخزاعـي [118] ، وهـذا يـدل عـلى أن هنـاك رصيـداً سـابقاً يشـفع لهـم لتـولي أمـر الولايـة . ويمكـن القـول أن ولايـة خراسـان كولايـة هامـة مـن ولايـات الأطـراف كانـت الدولـة تحـرص عـلى عـدم زيـادة نفـوذ مـن يتولاهـا ، وتحـرص عـلى مراقبتـه بـل إن زيـادة نفـوذ الـوالي كان في أغلـب الحـالات عامـلاً مهمـا في عزلـه ، وهـو مـا كانـت تخشـاه الدولـة مـن التمـرد والاسـتقلال الـذي قـد يترافـق مـع ذلـك النفـوذ ، ويبـدو ذلـك واضحـاً مـن خـلال عـزل أبـي مسـلم الخراسـاني وعـزل عبدالجبـار بـن عبدالرحمـن الأزدي. وكان لعـدم قـدرة بعـض الـولاة عـلى إدارة الولايـة ، وعـدم قدرتهـم عـلى ضبـط الأمـور الداخليـة والتـي تسـببت في وجـود الكثـير مـن الاضطرابـات وحـركات التمـرد ، سـبب مهـم في عزلهـم كمـا حـدث مـع الـوالي المسـيب بـن عمـرو الضبـي الـذي قـام بإجـراءات تعسـفية بزيـادة الضرائـب ممـا أدى إلى اضطرابـات عمـت أنحـاء خراسـان [119]. وكان للثـورات والفتـن والاضطرابـات التـي حدثـت في خراسـان ، وعدم مقـدرة بعـض الـولاة القضـاء عليهـا سـبب في عزلهـم ، كثـورة يوسـف البـرم والتـي لـم يسـتطع إخمادهـا الـوالي أبـو عـون بـن عبدالملـك الأزدي فتـم عزلـه[120] ، وكذلـك الـوالي معـاذ بـن مسـلم الـرازي الـذي تـم عزلـه لعـدم قدرتـه عـلى القضـاء عـلى ثـورة المقنـع[121]، وأيضـا الـوالي الغطريـف بـن عطـاء الكنـدي لأنـه لـم يسـتطع القضـاء عـلى ثـورة حصـين الخارجـي [122] .

كمـا ولعبـت السياسـة الماليـة المتعسـفة دورا بـارزا في عـزل بعـض الـولاة مـن خـلال جمعهـم للأمـوال والممتلـكات دون وجـه حـق حتـى سـاد الاضطـراب والفـوضى في الولايـة ، ويظهـر ذلـك جليـا في سياسـة الـوالي عـلي بـن عيـسى بـن ماهـان الـذي كان أقسـى الـولاة ، «فظلـم النـاس وعـسر عليهـم»[123] ،واعتـدى عـلى أمـوال النـاس وجمـع أمـوالاً جليلـة ، إلى أن تـم عزلـه بعـد انكشـاف أمـره أثنـاء ثـورة رافـع بـن الليـث .

الخاتمة والنتائج :

إن الحديـث عـن جوانـب الإدارة العباسـية وعـلى وجـه الخصـوص إدارة مناطـق الأطـراف ليـس بالأمـر اليسـير ، خاصـة إذا علمنـا أن بعـض أقاليـم الأطـراف وعـلى رأسـها خراسـان كانـت عـلى درجـة كبـيرة مـن الأهميـة ، فهـي تمثـل البوابـة الشرقيـة للدولـة العباسـية ، عـلاوة عـلى ذلـك النفـوذ الكبـير للقبائـل فيهـا ، وكذلـك الاضطرابـات والثـورات والفتـن التـي شـهدها ذلـك الإقليـم . ورغـم قلـة إشـارة المصـادر إلى الجوانـب الإداريـة الخاصـة في إقليـم خراسـان ، إلاأن الدراسـة اسـتطاعت مـن خـلال تلـك الإشـارات وتحليلهـا الوقـوف عـلى جوانـب مهمـة في إدارة خراسـان .

فقد شهدت خراسان أواخر الدولة الأموية العديد من النزاعات والاضطرابات والثورات ، وكان هذا الإقليم يعاني من عدم الاستقرار في ولاته في العصر الأموي ، حيث كثر عزلهم لأسباب عديدة منها علاقاتهم مع المعارضين وامتناعهم عن دفع الخراج ، وفي بعض الأحيان عجزهم عن توفير الأمن في ولاياتهم . ويظهر انه كان للثورات ذات الطابع القبلي دور مهم في اضطراب إقليم خراسان أواخر الدولة الأموية ، وعلى رأس تلك الثورات ثورة جديع الكرماني (اليماني) الذي قام ضد الوالي (القيسي) نصر بن سيار . وهو ما يؤكد مدى سيطرة القبائل وعمق تواجدها في خراسان وهو ما سعت الدعوة العباسية على استثماره خلال مراحلها الأولى ، حيث وقفت القبائل اليمانية التي تشكل الأكثرية في خراسان إلى جانب الدعوة العباسية ، ونجح أبو مسلم الخراساني في نقل السلطة في خراسان من القبائل إلى العباسيين بعد انتصاره على الوالي الأموي نصر بن سيار وبمساعدة من القبائل اليمانية . وأوضحت الدراسة أن الدولة اعتمدت في إدارة خراسان على العنصر اليماني بشكل كبير جداً ، حيث بلغ عدد ولاة خراسان من هذا العنصر عشرة ولاة وهو عدد كبير، يدل دلالة واضحة على مدى اعتماد الدولة العباسية على اليمانية ، في حين لم يحظ القيسيون بفرصة مماثلة في إدارة خراسان ، وهو ما يجعلنا نقول أن كفة القبائل في خراسان كانت راجحة لصالح اليمانية . وكان من أسباب نجاح الثورة العباسية أنها خرجت من الأطراف ولم تخرج من المركز ، فبني أميه كانوا يسيطرون على المركز بشكل كبير ، كما كان لتماسك الأسرة العباسية بقيادة واحدة سبباً في بلوغها هذا النجاح . أما عن سبب اختيار خراسان لبدء الثورة هو ما تناولته رسالة الإمام محمد بن علي عندما وجه دعاته حيث قال « ... عليكم بخراسان فان هناك العدد الكبير ، والجلد الظاهر ، وصدوراً سليمة ... « ، ولذلك كانت خراسان من أهم الولايات للعباسيين إن لم تكن أهمها ، حيث حظيت باهتمام العباسيين المتزايد ، ويظهر ذلك من خلال عناية الخلفاء العباسيين باختيار الولاة على خراسان ، حيث كان للعنصر الخراساني حضوراً قوياً في إدارة خراسان ، ورغم ما فعله أبو مسلم من تحدٍ للخليفة المنصور ، إلا أن الدولة العباسية استمرت في اعتمادها على هذ العنصر عبر فترات مختلفة من عمر الدولة العباسية خلال فترة الدراسة ، حيث تولى تسعة ولاة من أصول فارسية ، ويبدو أن ثقة الرشيد بأسرة البرامكة أعادتهم للواجهة من جديد ، لاسيما وأن هذه الأسرة تمتعت بقدر كبير من الإدارة وحسن ضبط الأمور ، ونظراً لتنامي الدور لعبته هذه الأسرة في إدارة الدولة العباسية، استشعر الرشيد خطورة هذا الأمر الذي كان عاملاً مهماً في تغَير الرشيد وغضبه على البرامكة وبالتالي نكبتهم .

كما بينت الدراسة استقلالية إدارة خراسان حيث لم تتبع خراسان طوال فترة الدراسة لأي ولاية أخرى ، بل كانت بعض الولايات الأخرى تتبع في إدارتها لولاية خراسان ، وفي هذه الحالات كان الوالي الذي تجمع له ولايات أخرى مع خراسان يتمتع بالقوة وثبت ولاءه للدولة العباسية ، وفي اغلب الفترات كانت ولاية خراسان مستقلة في إدارتها حتى يتسنى للوالي فيها ضبط أمورها وإصلاح أحوالها المختلفة . وتظهر أهمية ولاية خراسان من خلال ملاحظة أنه تولاها اثنان من أفراد البيت العباسي ، وكلاهما قد وصل إلى مرتبة الخلافة حيث تولاها المهدي بن المنصور ، ثم تولاها المأمون بن الرشيد ، ويبدو أن هذه الولاية كانت بمثابة الاستعداد والتدريب على الحكم . ويبدو أنه بدأت إدارة خراسان تميل إلى الاستقلال منذ عصر المأمون ، حيث أصبح والي خراسان محصوراً على أسرة آل طاهر ، حيث بدأ آل طاهر بإدارة إقليم خراسان ، وقد قدم بنو طاهر خدمات جليلة للدولة العباسية من خلال دفاعهم عن حدود الدولة من الشرق ، وتصديهم للثورات والاضطرابات فحصلوا على الثقة من الخلفاء العباسيين .

أما عن المدة التي كان يقضيها والي خراسان في ولايته ، فيظهر أن الدولة كانت حريصة في هذه الولاية أن لا يتولاها الوالي أكثر من مره ، علاوة على أن هذه الولاية تميزت بقصر المدة التي كان الوالي يقضيها في ولايته ، ويعتبر علي بن عيسى بن ماهان من أطول الولاة الذين تولوا هذه الولاية ، حيث استمرت ولايته أحد عشر عاماً ، بينما نجد بعض الولاة تولاها لمدة عشرين ليلة ، وهو ما ينطبق على يحيى البرمكي ، ويبدو أن الأوضاع التي كانت تشهدها خراسان كان له أثر كبير في مدة ولاية الوالي ، من حيث الاضطراب أو تكليفه بمهمات محددة تنتهي ولايته عند إكمالها .ويمكن القول أن إدارة خراسان كانت نوعاً من التكريم لبعض الشخصيات الذين اثبتوا جدارتهم في خدمة الدولة العباسية أو كان لأبائهم دور في الدعوة العباسية ، فقد كرم العباسيون النقباء وعلى رأسهم قحطبة بن شبيب ، حيث جعلوا أولاده ولاة على هذه الولاية ، وربما كان لدورهم الإداري وقوتهم دور في ذلك ، كما كرم العباسيون أسرة ابن الأشعث التي قدمت خدمات كبيرة للدولة أيام المنصور . ويظهر أن عدم مقدرة بعض الولاة على إدارة الولاية وعدم قدرتهم على ضبط الأمور الداخلية ، والتي تسبب في وجود الكثير من الفتن والاضطرابات وحركات التمرد سبباً مهماً في عزلهم . كما لعبت السياسة المالية المتعسفة للولاة دوراً كبيرا في عزلهم ، حيث جمع بعضهم الأموال والممتلكات دون وجه حق حتى ساد الاضطراب والفوضى في الولاية ، وهو ما حدث مع الوالي علي بن عيسى بن ماهان.

وبينت الدراسة حرص الدولة على مراقبة من يتولى إدارة خراسان وسعيها إلى عدم زيادة نفوذه ، بل أن زيادة نفوذ بعض ولاتها كان عاملاً من عوامل عزلهم عنها ، وفي بعض الأحيان الفتك بهم ، وهو ما حدث مع أبي مسلم الخراساني .

التوصيات :

- تسليط الضوء على الجوانب الادارية الأخرى في خراسان من البحث والتحليل والمقارنة كالدواوين المختصة بشؤون القضاء والأحكام والشؤون المالية .
- اجراء المزيد من الدراسات التي تتناول دور القبائل في ادارة الولايات الشرقية التابعة للدولة العباسية .
- أوصي بضرورة التوسع في موضوع الدراسة ليشمل أهمية خراسان في الدعوة العباسية والنظم الادارية التي استحدثت في تلك الفترة .

المصادر والمراجع:

(1)ابن الأثير ، علي بن محمد، (ت630هـ/1233م) .
(2)الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ،1982م .
(3)البغدادي ، الخطيب أحمد بن علي (ت 463هـ/1070م).
(4)تاريخ بغداد، دار الغرب الإسلامي، بيروت،2001م.
(5)البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279 هـ/892م)
(6)أنساب الأشراف ، ط1، دار الفكر، بيروت ،1996م .
(7)الجهشياري ، أبو عبدالله محمد بن عبدوس(ت331هـ/942م) .
(8)الوزراء والكتاب ، تحقيق إبراهيم الابياري ، مصطفى السقا،مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ،1938م.
(9)الحموي ، ياقوتبن عبداللهالرومي(ت626هـ /1228م).
(10)معجم البلدان، بيروت، دارصادر،1986م .
(11)ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد (ت681هـ/1282م) .
(12)وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، د. ط ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1978م.
(13)7. خليفة ، أبو عمرو خليفة بن خياط (ت 240هـ/854م)
(14)تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار القلم، بيروت ، 1967م .
(15)الذهبي ،محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ/1374م) .
(16)سير أعلام النبلاء، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، 1996م.
(17)الطبري،أبوجعفرمحمدبنجرير) ت310هـ/ 923م (
(18)تاريخالرسل والملوك،دار التراث ، ط1 ، بيروت ، 1967م.
(19)ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسن(ت571هـ/1175م) .
(20)تاريخ مدينة دمشق، دار الفكر، بيروت، 1995م .
(21)أبو الفدا، عماد الدين إسماعيل أبو الفدا (732هـ/1331م).
(22)المختصر في اخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية ، ط1 ،1907م .
(23)ابنكثير،أبوالفداءإسماعيلبنعمربنكثير(774هـ/1372م) .
(24)البداية والنهاية، دار ابن كثير، ط2 ، دمشق ، 2010م .
(25)الكندي . ت 256هـ
(26)كتاب الولاة وكتاب القضاة ،مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، 1908م.
(27)المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت 346هـ / 957م) .

(28)مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، بيروت،1973.

(29)اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت 284هـ/897م).

(30)تاريخ اليعقوبي ، تحقيق عبد الأمير مهنا ، شركة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، 2010 م.

المراجع :

1الدوري ، عبدالعزيز .

–العصر العباسي الأول ، دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ،1997م.

2.الزركلي ، خير الدين بن محمود .

–الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 2002م .

الهوامش:

(1)الجهشـــياري ، أبـــو عبداللـــه محمـــد بـــن عبـــدوس(ت331ه/942م) الـــوزراء والكتـــاب ، تحقيـــق إبراهيـــم الأبيـــاري ، مصطفـــى الســـقا،مطبعة مصطفـــى البابـــي الحلبـــي، القاهـــرة ،1938م ، ص 84 .

(2)المســعودي: مــروج الذهــب ومعــادن الجوهــر(ت 346ه/957م) ، تحقيــق محمــد محيــى الديــن عبــد الحميــد، بــيروت ،1973،، ج 3، ص 188.

(3)الطـــبري، أبوجعفـــر محمـــد بـــن جريـــر) ت310ه/ 923م (تاريخالطـــبري،دار الـــتراث ، ط1 ، بـــيروت ، 1967م ، ، ج 9 ، ص 161.

(4) الـــدوري ، عبدالعزيـــز ، العـــصر العبـــاسي الأول ، دار الطليعـــة للطباعـــة والنـــشر ، بـــيروت ،1997م ، ص 60.

(5)كان مـــن الغـــزاة ومـــن القـــادة الكبـــار ، لـــه وقائـــع وأخبـــار . انظـــر ابـــن الأثـــير، ج 5 ، ص181، 186 .

(6)اليعقوبـــي، أحمـــد بـــن أبـــي يعقـــوب بـــن جعفـــر (ت 284ه/897م). تاريـــخ اليعقوبـــي ، تحقيـــق عبـــد الأمـــير مهنـــا ، شركـــة الأعلمـــي للمطبوعـــات ، بـــيروت ، 2010 م ، ج 1 ، ص 137 .

(7)الطبري ،تاريخ ، ج7 ، 503 .

(8)تعـــرف ايضـــا بكشـــميهن بالياء ، وهـــي قريـــة عظيمـــة مـــن قـــرى مـــرو . انظـــر الحمـــوي ، ياقـــوت بـــن عبداللـــه ، (ت 226ه/1228م)، معجـــم البلـــدان، دار صـــادر، بـــيروت ، 1982م ، ج 4 ، ص 526 .

(9)البـــلاذري ، أحمـــد بـــن يحيـــى بـــن جابـــر (ت 279 ه/892م). فتـــوح البلـــدان ، دار ومكتبـــة الهـــلال ، بـــيروت ، 1988م ، ج 4 ، ص 301 .

(10)كان عـــلى شرط ابـــي العبـــاس ، ثـــم عـــلى شرط المنصـــور ، ثـــم عينـــه المنصـــور واليـــا عـــلى خراســـان. انظـــر : الطـــبري ، ج 7 ، ص 480.

(11) الطبري ، تاريخ ، ج 7 ، ص 509.

(12)ولـــد محمـــد بـــن عبـــد اللـــه المنصوربالحميمـــة في عـــام١٢٦ه/743م. نشـــأ في بيـــت الخلافـــة وعنـــي بـــه أبـــوه المنصـــور بتثقيفـــه وعلمـــه تعليمـــا عربيـــا وجمـــع لـــه أمثـــال العـــرب ومختـــار شـــعرهم فمـــال إلى العلـــم والأدب . ابـــن طباطبا،محمـــد بـــن عـــلي (ت709هـــ /1309م) الفخـــري في الآداب الســـلطانية والـــدول الإســـلامية ،مطبعـــة محمـــد عـــلي صبيـــح ،القاهـــرة ،1962م ، ص 156.

(13)الطبري، تاريخ، ج 7، ص 450 .

(14)المصدر السابق ، ج 7، 507 .

(15)أحد القادة الشجعان ، من ذوي الرأي ، كانت اقامته في نسا (من مدن خراسان) وصحب ابا مسلم الخراساني قبل ظهر الدعوة العباسية ، فخدمه برايه وسعيه ، ثم كان اول من لبس السواد في نسا ، وجعله ابو مسلم على مقدمة جيشه حين دخل مرو ، وولي خراسان فتوفى فيها. ابن الأثير ، علي بن محمد، (ت630ه/1233م) الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ،1982م ، ج 5 ص 220 . الزركلي ، خير الدين بن محمود ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 2002م ،ج 1 ، ص 331.

(16) اليعقوبي ، تاريخ ، ج 2 ، ص 446 .

(17) هو حميد بن قحطبة بن شبيب الطائي، من القادة الشجعان ، ولي إمرة مصر سنة 143 ه، ثم إمرة الجزيرة ، ووجه لغزو أرمينية سنة 148ه/765م، ولغزو كابل سنة 152ه/769م، ثم جعل أميرا على خراسان فأقام إلى أن مات فيها . انظر ابن تغري ، يوسف جمال الدين (ت 874ه / 1468م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة ، القاهرة، 1963 م ، ج 2 ، ص 190 .

(18)الطبري ، تاريخ ، ج 6 ، ص 562 .

(19)المصدر السابق ، ج 8 ، ص 514 .

(20)المصدر السابق ، ج 8 ، ص 116 .

(21)هو ابو عون من أهل جرجان ، ولي مصر ثم خرج منها بسبب الوباء ثم استخلف مرة أخرى.انظر الكندي ، محمد بن يوسف (ت355هـ/965م) ،كتاب الولاة وكتاب القضاة ،مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ، 1908م ، ص101 .

(22)الطبري ، تاريخ ، ج 7 ، ص409.

(23)المصدر السابق ، ج 8 ، ص 128 .

(24)المصدر السابق ، ج 8 ، ص 128 .

(25)المصدر السابق ، ج 8 ، ص 149 .

(26)ابو مسلم ، قائد من الشجعان كان على شرطة المنصور والمهدي والرشيد ببغداد ، توفى في منى ودفن أسفل العقبة . البغدادي ، الخطيب أحمد بن علي (ت 463ه/1070م). تاريخ بغداد، دار الغرب الإسلامي، بيروت،2001م، ج 13 ، ص137 .

(27)الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 162 .
(28)الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 162 .
(29)المصدر السابق ، ج 8 ص 162 .
(30)المصدر السابق ، ج 8 ، ص235 .
(31)المصدر السابق ، ج 8 ، ص 235 .
(32)المصدر السابق ،ج 8 ، ص 238 . ابن الاثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 286 .
(33)الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 238 .
(34)هو خال الهادي والرشيد ابنى المهدى وامهما الخيزران بنت عطاء وهي أخت الغطريف. وكان من كبار الشخصيات اليمانية وكان مقيما ببغداد مع أخته ، تولى اليمن والفتنة ثائرة بين الجند وأهل صنعاء فأصلح الأمر، ينسب إليه الدرهم الغطريفي . السمعاني ،عبد الكريم بن محمد بن منصور(ت562هـ /1166م) ،الأنساب ،مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد ، 1962م ، ج 4 ، ص 301 .
(35) الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 223 .
(36)ابن الأثير ، الكامل ، ج 5 ، ص289 .
(37) كان يلقب بالعروس ، انظر الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص252 . كان صاحب الشرطة في عهد ابو جعفر المنصور وابنه محمد المهدي ، كما كان على ديوان الخاتم في خلافة هارون ، انظر خليفة ، بو عمرو خليفة بن خياط ، (ت 240ه/854م) تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري، دار القلم، بيروت، ط2، 1977م ، ص 435 ، 442 ، 465.
(38) الطبري ، تاريخ ، ج 6 ، ص 562 .
(39) المصدر السابق ، ج 8 ، ص 116 .
(40)أبو العباس الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي ،كان من أكثرهم كرما مع كرم البرامكة وسعة جودهم، وكانت أم الفضل قد أرضعت الرشيد، واسمها زبيدة من مولدات المدينة، والخيزران أم الرشيد أرضعت الفضل، فكانا أخوين من الرضاع . انظر ابن خلكان ، شمس الدين أحمد بن محمد (ت681ه/1282م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، د. ط ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1978م ، ص27. ابن تغري ، النجوم الزاهرة ، ج 2 ، ص 140.
(41) الطبري ، تاريخ ، ج 8 ص 242.

(42)المصدر السابق ، ج 8 ، ص 255 .
(43) المصدر السابق ، ج 8 ،ص 261 .
(44)المصدر السابق ، ج 8 ، ص 261 .
(45)المصدر السابق ، ج 8 ، ص261 .
(46)هو منصور بن يزيد بن منصور بن عبد الله بن شهر بن يزيد الزنجاني الحميري الرعيني أمير مصر وهو ابن خال المهدي . انظر ابن تغري ، النجوم الزاهرة ، ج 2 ، ص 41 .
(47)الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 266 .
(48)من كبار القادة في عصر الرشيد والأمين ، وهو الذي حرض الأمين على خلع المأمون من ولاية العهد ، ثم ان الامين امره بالمسير لحرب المأمون ، وتلقاه طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون ، فقتل علي بن عيسى في المعركة. الطبري ج 8 ص 389 ابن الاثير، الكامل ، ج 5 ،ص 143 . ابنكثير،أبو الفداءإسماعيلبنعمربنكثير(774ه/1372م)، البداية والنهاية، ط2، دار ابن كثير، دمشق ، 2010م ، ج 10 ، ص 226.
(49)الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص324 .
(50)المصدر السابق ، ج 8 ، ص 407 .
(51) الطبري ، تاريخ ، ج8، ص 389 .
(52)أمير من القادة الشجعان ، ولاه الرشيد مصر 178ه ، ثم وجهه الى افريقيا ، فدخل القيروان سنة 179ه/795م واستمر واليا على افريقية سنتين ونصف، ولما رأى ما بافريقية من الاختلاف ، واصل كتبه الى الرشيد يستعفي ، فأمره بالقدوم عليه الى العراق فسار عن افريقية سنة 181ه وعقد له على خراسان فأقام فيها ، ثم قدم مرو سنة 192ه ثم خرج نحو بلخ ، ولما بدأت الفتنة انحاز الى المأمون ، ثم حبسه المأمون ، فقتل في حبسه سرا بمرو سنة 200ه. انظر الأصفهاني ،حمزة بن الحسن (ت 360هـ /970م)، تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء ،دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1961م ، ص 143 . انظر الكندي ، الولاة ، ص 136 . ابن الأثير ،الكامل ، ج 5 ، ص 95.
(53)ابن تغري ، النجوم الزاهرة ، ج2 ، ص88-90 .
(54)الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 323 .
(55) أبو العباس ، عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهديبن أبي جعفر المنصور العباسي، ولد سنة سبعين ومائة .تولى الخلافة سنة 198هـ/813م

بعد مقتل اخيه الأمين ، وتوفي في رجب ، في ثاني عشره ، سنة ثمان عشرة ومائتين وله ثمان وأربعون سنة ، توفي بالبذندون فنقله ابنه العباس، ودفنه بطرسوس في دار خاقان خادم أبيه .انظر الذهبي،محمد بن أحمد بن عثمان (ت748ه/1374م) ، سير أعلام النبلاء، تحقيق : شعيب الأرناؤوط،مؤسسة الرسالة ، بيروت، 1996م ، ج 10 ، ص 273-290 .

(56)الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 269 .

(57)خليفة ، تاريخ ، ص 462 .

(58) الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 347 .

(59)أبو العباس ، الملقب ذا الرياستين (الحرب والرياسة) اتصل الفضل بالمأمون ، عندما كان وليا للعهد ، وكان مجوسيا ، اسلم سنة 190ه/805م ، وفوض اليه المأمون لما استخلف اموره كلها ، وجعله وزيره ، كانت وفاته سنة 202ه/817م في سرخس بخراسان ، قتله جماعة بينما كان في الحمام . انظر البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج 12 ، ص 339 . ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج 3 ، ص 213.

(60)الطبري ، تاريخ ، ج 8، ص 242 .

(61)من رجال المأمون العباسي ، ولي " خراسان " من قِبَل الحسن بن سهل . ثم ولاه المأمون " السند " سنة 213هـ/828م وكان العامل عليها بشر بن داود المهلبي، قد عصى المأمون ولم يحمل إليه خراجها، فلما دخلها غسان استأمن إليه بشر. وأقام نحو ثلاث سنوات أصلح فيها شؤون الإمارة. ثم استعمل عليها عمران بن موسى البرمكي، وعاد إلى بغداد سنة 216 هـ . انظر إبن طيفور،أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر(ت 280ه/893م)، بغداد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1949م ، ص 34 ، 115 .الزركلي ،الاعلام،ج 5 ، ص 119.

(62)من كبار الوزراء والقواد ، ادبا وحكمة وشجاعة ، وهو الذي وطد الملك للمأمون العباسي ، ولد في بوشنج (من اعمال خراسان) وسكن بغداد، كانت لأبيه منزلة عند الرشيد ، قتل الامين سنة 198ه وعقد البيعة للمأمون، فولاه شرطة بغداد ثم ولاه الموصل وبلاد الجزيرة والشام والمغرب .انظر الطبري ، تاريخ ، ج 8 ص 577 .

(63)الطبري ، تاريخ ، ج8 ، ص 415 .

(64) البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج 9 ، ص 253 .

(65)أمير خراسان ، وابن أميرها ، ولاه المأمون العباسي بعد وفاة ابيه طاهر ، فاستمر فيها الى ان توفي وكانت وفاته في بلخ . ابن الاثير، الكامل ، ج 6، ص138 . ابن تغري ، النجوم الزاهرة ، ج2 ، ص 183 .

(66) ابن الأثير ، ج 6 ، ص 414 .

(67)أمير خراسان ، ومن اشهر الولاة في العصر العباسي ، أصله من باذغيس بخراسان ، ولي صاحب الترجمة أمرة الشام ، مدة . ونقل الى مصر سنة 211هـ ، فأقام سنة ، ونقل الى الدينور ، ثم ولاه المأمون خراسان . انظر ابن خلكان ،وفيات ، ج 1 ، ص 260 . البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج9 ، ص 483.

(68)الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 581 .

(69)المصدر السابق ، ج 8 ، ص -609 613 .

(70) الدوري ، العصر العباسي ، ص 56 .

(71)الطبري ، تاريخ ، ج 7 ، ص 482 .

(72)الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 162 .

(73)المصدر السابق ، ج 8 ، ص 257 .

(74)الطبري ، ج 8 ، ص250. ابن عساكر،علي بن الحسن (ت571هـ/1175م) ، تاريخ دمشق ، دار الفكر ، بيروت، 1995م، ج 61 ، ص 190 . الذهبي ، تاريخ، حوادث سنة 171-180 هـ ، ص 417 . أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل ،(ت 732هـ / 1331م) اليواقيت والضرب في تاريخ حلب ، تحقيق محمد كمال ، فالح البكور ، دار القلم العربي ، حلب ، 1989م ، ص 52 .

(75))تاريخ ، ج8 ، ص 257.

(76) الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 266 .

(77)الطبري ، تاريخ ، ج8 ، ص 266 .

(78)الطبري ، تاريخ ، ج8 ، ص 415 .

(79)الطبري ، تاريخ ، ج8 ، ص-609 613 .

(80)الطبري ، تاريخ ، ج 7 ، ص 503 .

(81)المصدر السابق ، ج 7 ، ص 509 .

(82)اليعقوبي ، تاريخ ، ج 2 ، ص 446 .

(83)الطبري ، تاريخ ، ج8 ، ص116.

(84)المصدر السابق ، ج6 ، ص562 .

(85)المصدر السابق ، ج7 ، ص409.

(86)المصدر السابق ، ج7 ، ص458.
(87)المصدر السابق ، ج8 ، ص238. ابن الأثير ، الكامل ، ج5 ، ص 286 .
(88)ابن الأثير ، الكامل ، ج5 ، ص 289 .
(89)انظر خليفه ، تاريخ ، ص 435-442-465 .
(90)الطبري ، تاريخ ، ج8 ، ص116 .
(91)انظر ابن تغري ، النجوم ، ج2 ، ص 41 .
(92)البـــلاذري ، أنســـاب ، ج 4 ، ص 301 . اليعقوبـــي ، البلـــدان ، ج 1 ، ص 137 . الطـــبري ، تاريـــخ ، ج 7 ، ص 503 .
(93)الطبري ، تاريخ ، ج8 ، ص 149 .
(94)المصدر السابق ، ج8 ، ص 162. البغدادي , تاريخ ، ج13 ، ص 137 .
(95)الطـــبري ، تاريـــخ ، ج7 ، ص 450 – 507 . الأســـتاذ ســـيس هـــو زعيـــم فـــارسي، مـــن أهـــل باذغيـــس . انظـــر: الكرديـــزي ، أبـــو ســـعيد عبدالحـــي بـــن الضحـــاك (ت442هـ/1050م) ، زيـــن الأخبـــار ، ط 1، ترجمـــة عفـــاف الســـيد ، القاهـــرة ، 1982م ، ص 104 .
(96)الطبري ، تاريخ ، ج8، ص 269 .
(97) المسعودي ، مروج الذهب ، ج 3 ، ص 188 .
(98)البلاذري ، أنساب ، ج 4 ، ص 301 . الطبري ، تاريخ ، ج 7 ، ص 503 .
(99)الطبري ، تاريخ ، ج 7 ، ص 509 .
(100) الطبري ، تاريخ ، ج7 ، 503 .
(101) المصدر السابق ، ج 8 ، ص 149 .
(102)المصدر السابق ، ج 7 ، ص 509 .
(103)المصدر السابق ، ج 7 ، ص 409 .
(104)ابن الأثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 289 .
(105) الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 324 .
(106)الطبري ، تاريخ ، ج 7 ، ص 509 .
(107)المصدر السابق ، ج 8 ، ص 162 .
(108)المصدر السابق ، ج 8 ، ص 324، 407 .
(109)المصدر السابق ، ج 8 ، ص 407 .
(110) الدوري ، العصر العباسي ، ص 106 .
(111)الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 108 .

(112) المصدر السابق ، ج 8 ، ص 108 .
(113)المصدر السابق ، ج 8 ، ص 242 .
(114)اليعقوبي ، تاريخ ، ج 2 ، ص 446 .
(115) الطبري ، تاريخ ، ج 7 ، ص 459 .
(116) المصدر السابق ، ج 8 ، ص 242 .ابن الأثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 286 .
(117) المصدر السابق ، ج 8 ، ص 238 .
(118)المصدر السابق ، ج 6 ، ص 562 ، ج 8 ، ص 116 .
(119)المصدر السابق ، ج 8 ، ص 162 .
(120)الطبري ، تاريخ ، ج 8 ، ص 128 .
(121) المصدر السابق ، ج 8 ، ص 149 .
(122) المصدر السابق ، ج 8 ، ص 223 . ابن الأثير ، الكامل ، ج 5 ، ص 289 .
(123)المصدر السابق ، ج 8 ، ص 324 .

مؤتمر أكرا (1377هـ/1958م)
(دراسة تحليلية)

أ. عبد العزيز بن عبد الله بن سبيل الرشيدي

باحث- قسم التاريخ – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة أم القرى
المملكة العربية السعودية

المستخلص:

تهدف الدراسة لتناول مؤتمر أكرا الذي عقد في العام (1377هـ/1958م) ـ من خلال دراسة تحليلية لهذا المؤتمر والظروف التي سبقته وأهم النتائج التي توصل إليها ، تنبع أهمية الدراسة من كونها تسلط الضوء على واحد من أهم المؤتمرات الإفريقية التي عقدت وإفريقيا تقع معظم دولها تحت نيران الإستعمار الأوربي بمختلف دوله ، من بريطاني ، وفرنسي ، وبلجيكي، وهولندي وغيره .اتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي بغية الوصول لنتائج والتي من أهمها : أن فكرة مؤتمر أكرا (1377هـ/1958م) تقوم على وحدة القارة الإفريقية بمختلف مكوناتها الطبيعية والبشرية ، لعبت شخصية القائد كوامي نكروما دوراً مهماً في نجاح المؤتمر ، ناقش مؤتمر أكرا أهم قضية في ذلك الوقت وهي مستقبل الدول الإفريقية .

الكلمات المفتاحية: مؤتمر أكرا ، غانا ، كوامي نكروما ، الدول الإفريقية ، الإستعمار الأوربي .

Abstract:

The study aims to address the Accra Conference, which was held in the year (1377 AH/1958 AD) through an analytical study of this conference and the conditions that preceded it and the most important results it reached. The fires of European colonialism in various countriesFrom British, French, Belgian, Dutch and others. The study followed the historical, descriptive and analytical method in order to reach results, the most important of which are: The idea of the Accra Conference (1377 AH/1958 AD) is based on the unity of the African continent with its various natural and human components. The personality of the leader Kwame Nkrumah played an important role in the success of the conference. The Accra Conference discussed the most important issue in that Time is the future of nationsAfrican. pan-Africanism

Keywords: Accra Conference, Ghana, Kwame Nkrumah, African countries, European colonialism

مقدمة :

جاءت فكرة انعقاد مؤتمر الدول الإفريقية المستقلة في العاصمة الغانية آكرا لتُنهي الفكرة القائلة بالفصل بين إفريقيا العربية وإفريقيا السوداء، وأيضاً لتُسقط فكرة الصحراء كمنطقة عازلة بين شمال القارة الإفريقية وجنوبها، وبذلك وصلت الوحدة الإفريقية إلى تحديد مفهومها القاري وهو ضرورة الوحدة بين أقطار القارة الإفريقية.[1]

جاء هذا المؤتمر للتأكيد على وحدة إفريقيا بكامل أقطارها ، وهو الذي كان بمثابة الضربة القاضية لكل المحاولات الرّامية للتفريق بين إفريقيا العربية وإفريقيا السوداء، حيث أخذت بذلك الوحدة الإفريقية مفهومها القارّي ، وقد حضر المؤتمر ثماني دول إفريقية منها خمس دول عربية، وتأكد من خلال المؤتمر بصفة نهائية معنى الوحدة الإفريقية من خلال العزم على العمل المشترك من أجل إنهاء الاستعمار وتحرير إفريقيا بكل أقطارها، وتحميل الدول الإفريقية المستقلة مسؤولية خاصة لأجل المساهمة في تحرير الشعوب الإفريقية الواقعة تحت الاستعمار، سواءٌ كان ذلك من خلال هيئة الأمم المتحدة أو تقديم المساعدات المباشرة لها ، وهذا ما أعطى الدول الإفريقية المستقلة الشرعية للمطالبة باستقلال البلدان الإفريقية المستعمرة، وتبنّي قضاياها في المحافل الدولية خاصة في دورات الجمعية العامة للأمم المتحدة.[2]ويرجع الفضل في انعقاد مؤتمر آكرا إلى رئيس غانا كوامي نكروما الذي وجّه الدعوة للدول العربية الإفريقية من أجل حضور هذا المؤتمر بهدف التأكيد على محددة أقطار إفريقيا، فمن خلاله بدت واضحة جهود مصر ممثَلة في رئيسها جمال عبد الناصر للتأكيد على انتمائها الإفريقي، فكانت نتائج هذا المؤتمر نجاحاً لتلك الجهود وتتويجاً لسعيها دعم حركات التحرر الإفريقية.[3]

أهمية المؤتمر وأسبابه وأهدافه:

أتى انعقاد مؤتمر «أكرا» للحكومات الأفريقية المستقلة عام 1377هـ/ 1958م بعد فترة من الفراغ السياسي تحت سيطرة الاستعمار الأوروبي، وشكّل هذا المؤتمر البداية الحقيقة والرسمية للدول الأفريقية المستقلة آنذاك في اتجاه إنشاء منظمة سياسية إقليمية تجمع الدول المستقلة في القارة، وقد أدت إلى انعقاد هذا المؤتمر عدة عوامل وأسباب، نذكرها على النحو الآتي:

أهمية المؤتمـــــــر:

كان المؤتمر على جانب كبير من الأهمية، حيث شاركت فيه الدول الأفريقية المستقلة آنذاك، وعُقِدفي مدينة «أكرا» عاصمة دولة «غانا» حديثة العهد بالاستقلال؛ إذ دعا الرئيس الغاني «كوامي نكروما»[4] – خلال شهر

مارس (عام 1377هـ/1957م)والذي أُعلن فيه استقلال غانا - إلى عقد مؤتمر تشارك فيه الدول الأفريقية المستقلة في ذلك الوقت"Independent African State"؛ إذ كان يرى أن الوحدة الأفريقية هي حلم جميع الشعوب الأفريقية؛ ولذلك أصر على العمل من أجل هذه الشعوب، وتحقيق هذا الحلم، وهو المعنى الذي حمله عنوان كتابه «أفريقيا يجب أن تتحد»«AfricaMust Unit»، وتضمنته المادة الثانية من الدستور «الغاني»،والتي فتحت الباب أمام انضمام غانا لأي اتحاد أفريقي[5].

وقد اكتسبت دعوة «نكروما» أهميتها من شخصيته وشخصياترؤساء الدول الذين شاركوا في المؤتمر.وقد جاءت دعوة «غانا» لاحتضان أعمال المؤتمر في هذا الموعد، ليكون وقت انعقاده متزامنًا مع الاحتفال بالذكرى الأولى لاستقلالها.

أسباب انعقاد المؤتمر:

أوضح «نكروما» في المذكرات التي أرسلها إلى حكومات تلك الدول الأسبابَ التي أدّت إلى انعقاد المؤتمر، وهي:

1. بحث مستقبل الشعوب الأفريقية غير المستقلة، والخطوات اللازمة لتأمين استقلال الدول الأفريقية المستقلةوسيادتها، واقترح عقد المؤتمر في أكرا، أو طنجة، أو الرباط أو القاهرة[6].
2. تحرير القارة الأفريقية،فقد أعلنت الحرب على الاستعمار وعلى السياسة المتّبعة في جنوب أفريقيا، وأبدت جبهة التحرير الوطني الجزائرية تأييدًا كاملًا[7]. وقد تباحث سفراء الدول الأفريقية في لندن لعدة أشهر لوضع الترتيبات اللازمة للمؤتمر، وقامت بعثتان غانيتان بزيارة القاهرة للتشاور مع الحكومة المصرية بهذا الشأن، وقد حضرت خمس دول من أفريقيا، وهي: مصر، وتونس، وليبيا، والسودان، والمغرب، وجماعة من قيادات حركات التحرر الأفريقية، وقد وُصف هذا المؤتمر بأنه أهم حدث في تاريخ أفريقيا لعدة قرون[8]؛ لأنه كان أول مؤتمر ينعقد داخل أفريقياويضم الدول الأفريقية المستقلة حتى ذلك الوقت، ولأن مؤتمرات الوحدة الأفريقية السابقة قد عُقدت خارج أفريقيا[9]. وكانت أول صدمة للاستعمار الذيكان يأمل، بسبب نفوذه المتوطن لدى كثير من الدول الأفريقية المستقلة،أن تجامله هذه الدول، ولاتنكأ جراحهالتي تسيل دمًا في جبال الجزائر، وفي أدغال الكاميرون. وكان الاستعمار يأملأيضًا،بل ويُذيع أن تجمّع الأفريقيين قد أحدث شرخًا في الكتلة الأفريقية الآسيوية، التي تبلورت ونتج عنها مؤتمر «باندونج»، وإذ بالمؤتمر يؤكد ارتباط أفريقيا بأختها العظيمة آسيا، ويصدر أحد قراراته

التاريخية،وهو قرار إدانة الصهيونية، والاعتراف بحق عرب فلسطين في العودةإلى ديارهم[10].

أهـــداف المؤتمـــر:

عُقِد المؤتمر في ظل عدة ظروف إقليمية، أبرزها اشتداد حركات التحرر في أفريقيا من بينها ثورة التحرير الجزائرية مع زيادة التعسف الاستعماري، وتحقيق بعض الدول لاستقلالها على غرار مصر، وتونس، وأخرى دولية يبرز فيها صراع الحرب الباردة كواجهة للأحداث العالمية في تلك الفترة، ومحاولة الجانبين الغربي والشرقي استقطاب بعض الدول الأفريقيةواحتواءها، وذلك في ظل صعوبة الحفاظ على السيادة، والسعي نحو استكمال الاستقلال السياسي التام، وتجاوز تركة الاستعمار.وقد عُقد مؤتمر «أكرا» في الفترة من25رمضان إلى 3شوال 1377هـ/الموافق 15 - 23 أبريل 1958م، وكان من أهم أهدافه:

1. بحث القضايا التي تحظى باهتمام مشترك بين الدول والشعوب الأفريقية.
2. اكتشاف الأساليب والوسائل التي ترسخ الاستقلال وتحميه.
3. تعزيز الروابط الاقتصادية والثقافية بين الدول المستقلة.
4. تأييد سياسة عدم الانحياز، والعمل علىإيجاد وحدة ثابتة الدعائم بين الدول الأفريقية[11].
5. مساندة حركات التحرر الأفريقية، والمطالبة بحق تقرير المصير لشعوبها، والعمل على إنهاء التفرقة العنصرية، وتأييد الجزائر في نضالها لأجل الاستقلال، وحل مشكلتي توجولاند والكاميرون.
6. التعاون بين الدول الأفريقية في المجالات العلمية، وتبادل المعلومات الفنية والاستشارات المشتركة، والسعي لإقامة سوق أفريقية مشتركة، وإحياء الثقافة، وإقامة المراكز الثقافية في كل دولة أفريقية[12].
7. فيما يخص السياسة الخارجية، تضمن المؤتمر التأكيد على احترام ميثاق الأمم المتحدة وقراراتها، والتمسك بمقررات مؤتمر «باندونج» عام1375هـ/ 1955م[13]،
8. التأكيد على أهمية الأمن والسلام الدوليين، في إطار ميثاق الأمم المتحدة[14].
9. منع استخدام الجنود الأفارقة في خدمة مصالح الأوروبيين[15].

القوى المشاركة في المؤتمر:

الدول الأفريقية العربية:

شارك عدد من الدول العربية الأفريقية في مؤتمر «أكرا» للحكومات، حيث وجه الزعيم الغاني «نكروما» الدعوة إلى الدول العربية المستقلة آنذاك،

وتمثلت في مصر وتونس والمغرب وليبيا والسودان[16]، حيث كانت هذه الدول قد تخلصت من الاستعمار سواء البريطاني مثل مصر التي أُعلن استقلالها عام 1340هـ/ 1922م، وتم الجلاء عنها بعد ثورة يوليو 1952م، وكذلك السودان التي حصلت على استقلالها عام 1375هـ/ 1956م، وكانت ليبيا أيضًا تخضع للاستعمار البريطاني، وحصلت على استقلالها عام 1372هـ/ 1951م،وكان هناك الدول التي كانت تخضع للاستعمار الفرنسي، وهي المغرب حيث حصلت على استقلالها عام 1957م، وتونس أيضًا حصلت على استقلالها عن فرنسا عام 1375هـ/ 1956م[17].

تلك هي القوى العربية التي كانت مستقلة، وشاركت في المؤتمر بعد الدعوة الثانية لها والتنسيق معها.

الدول الأفريقية غير العربية:

كانت غانا على رأس الدول الأفريقية غير العربية التي شاركت في المؤتمر، والتي حصلت على استقلالها وتخلصت من الاستعمار البريطاني عام 1376هـ/1957م بزعامة«نكروما»، وكذلك ليبيريا، بينما كانت أثيوبيا قد تخلصت من الاستعمار الإيطالي لتشاركهاتان الدولتان بالإضافة إلى غانا في المؤتمر، وكانت الدول الثلاث هي الدول الأفريقية غير العربية المشاركة في المؤتمر باعتبارها دولاً مستقلة[18].

تلك هي الدول العربية وغير العربية من القارة الأفريقية التي وجهت لها الدعوة لحضور مؤتمر «أكرا» لحكومات الدول المستقلة.

قرارات المؤتمر وتوصياته:

شكل مؤتمر «أكرا» البداية الحقيقة والرسمية للدول الأفريقية المستقلة آنذاك في الاتجاه نحو إنشاء منظمة سياسية إقليمية تجمع الدول المستقلة في القارة[19]، وأثبت مؤتمر «أكرا» صحة أحد مفاهيم الجامعة الأفريقيةالذي يتلخص في وجود رابطة لونية بين شعوب المستعمرات السابقة،وأظهر المؤتمر فيما بعد أن بعض الدول الأفريقية السوداء تشترك مع بعض الدول الأفريقية العربية في سياستها بدرجة أكبر مما بين إحداها وبين جيرانها المباشرين[20].

قـــــرارات المؤتمـــــر:

وقد اتخذ المؤتمر عدة قرارات لعل من أبرزها:

القرار الأول:

تبادل الآراء حول السياسة الخارجية:

بعد تبادل الآراء حول جميع مظاهر السياسة الخارجية، وبعد الحصول علىإجماع الآراء بالنسبة للأهداف والمبادئ الأساسية، ورغبة منها في اتباع

سياسة خارجية موحدة بقصد المحافظة على استقلالالدول الأعضاءوسيادتها، أكد المؤتمر على عدة مبادئ أساسية جاءت على النحو الآتي:

أ. الولاء الذي لا يُحادُ عنه: احترام ميثاق الأمم المتحدة وقراراتها.

ب. التمسك بالمبادئ التي أعلنها مؤتمر «باندونج»[21].

ج. التأكيد على امتناع الأعضاء عن الاشتراك في أي عمل من شأنه التضييق عليهم وتقييد حريتهم بمايضر بمصالحهم واستقلالهم.

د. تأكيد الدول الأفريقية المستقلة على الشخصية الأفريقية، وأن تتكلم بصوت واحد لأجل خدمة السلام،وعلى التعاون مع الأمم الأخرى المحبة للسلام في الأمم المتحدة وفي المحافل الدولية[22].

ه. اللجوء إلى المفاوضات من أجل تسوية الخلافات بين الدول الأفريقية، مع إمكانية قبول الوساطة، بل واللجوء إلى التحكيم، مع التنديد بالتدخل الأجنبي.

و. العمل على تأسيس جهاز مسؤول عن التشاور والتعاون بين الدول الأفريقية،ويمثلأول تشكيل رسمي ويضم مندوبين من الدول الأفريقية المستقلة[23].

القرار الثاني:
مستقبل المناطق غير المستقلة في أفريقيا:

باعتراف المؤتمر بأن وجود الاستعمار بأي شكل أوصورة يهدد أمن الدول الأفريقية المستقلة واستقرارها واستقلالهاكما يهدد السلام العالمي،فقد رأىأن مشاكلالدول غير المستقلة في أفريقيا ومستقبلها ليست خاصة بالدول المستعمرة وحدها، وإنما خاصةبجميع أعضاء الأمم المتحدة، وبالأخص الدول الأفريقية المستقلة، ويجب إعلان موعد محدد لحصول كل هذه المناطق على استقلالها؛ تماشيًا مع رغبه أهلها ومع ميثاق الأمم المتحدة، وتم وضع عدة مطالبات، هي كالآتي:

1. مطالبة الدول التي تتولى إدارة هذه المناطق باحترام ميثاق الأمم المتحدة في هذاالخصوص.
2. مطالبة الدول التي تتولى إدارة المناطق المستعمرة بالامتناع عن إجراءات الكبت التعسفية، والحكم المستبد في تلك المناطق، واحترام جميع حقوق الإنسان المنصوص عليها فيميثاق الأمم المتحدة وفي إعلان حقوق الإنسان.
3. مطالبة الدول المستعمرة بإنهاء جميع أنواع التفرقة بالمناطق المسيطرة عليها[24].

القرار الثالث:
المسألة الجزائرية:

أبدى المؤتمر انزعاجه الشديد من جرّاء استمرارالحرب على الجزائر، وحرمان فرنسا الشعبَ الجزائري من حقه في تقرير المصيروالاستقلال، رغم قرارَي الأمم المتحدة والنداءاتالمتعددة التي تحث على تسوية سلمية، وخاصة عرض الوساطة المقدمة من المغرب وتونس، واعتبر أن الموقف في الجزائر يهدد السلامالعالمي وسلامة أفريقيا كلها، وجاءت القرارات الخاصة بالمسألة الجزائريةكالآتي:

1. شدد المؤتمر على حق الشعب الجزائري بالاستقلال وتقرير المصير.
2. التنديد بخطورة اتساع العمليات الحربية، وإراقة الدماء الناجمة عن استمرار الحرب على الجزائر.
3. طالب المؤتمر فرنسا بالآتي:
   أ. الاعتراف بحق الشعب الجزائري في الاستقلال وتقرير المصير.
   ب. إنهاء القتال وسحبجميع قواتها[25].
   ج. الموافقة علىالدخول في مفاوضات سلمية مع جبهة التحرير الجزائرية للوصول إلى تسوية نهائية عادلة.
4. ناشد المؤتمر جميع الشعوب المحبة للسلام بأن تضغط على فرنسا، لكي تتخذ سياسة تتماشى معمبادئ الأمم المتحدة.
5. تأكيد المؤتمر على بذل كل الجهود لمساعدة الشعب الجزائري في نيل استقلاله.

ومن الجدير بالذكر أن مصر كانت وراء إدراج القضية الجزائرية ضمن قضايا المؤتمر، حيث كانت بعض الدول المشاركة قد رأت ألا تصطدم مع فرنسا، ولكن أمام الضغط المصري تمت دعوة جبهة التحرير الجزائرية إلى الحضور، والذي أعطى لها صفة الاعتراف من جميع الدول الأفريقية التي حضرت المؤتمر[26].

القرار الرابع:
التفرقة العنصرية:

أكد المؤتمر أن التفرقة العنصرية من الشرور التي لا تمت للإنسانية بصلة، وأنها تتنافى مع المبادئ الأساسية لحقوق الإنسان وكرامته، وأصبحت عاملاً من العوامل التي تهدد بالانفجار، والتي مازالت تنفث سمومها وآثارها،كما أكد على عدة قرارات تتعلق بالعنصرية، وهي كالآتي:

1. التنديد بممارسة أساليب التفرقة العنصرية بجميع صورها في جميع أنحاء العالم، وخاصة اتحاد أفريقيا الوسطى وكينيا وغيرها من المناطق الأفريقية.
2. التأكيد على القضاء على العنصرية في القارة الأفريقية.
3. مطالبة جميع أعضاء الأمم المتحدة بمضاعفة جهودهم ومحاربة هذا اللون ومحوه من المعادلة المشينة غير العادلة[27].

القرار الخامس:

المحافظة على سيادة الدول الأفريقية المستقلة واستقلالها وسيادتها الإقليمية الكاملة:

1. التزام جميع الدول التي شاركت في المؤتمر بالاحترام الكلي لاستقلال الآخر وسيادته الإقليمية الكاملة[28].
2. التعاون فيما بينالدول المشاركة من أجل ضمان استقلالها وسيادتها السياسية والإقليمية الكاملة، والتعاون فيما بينها في مجالات التنمية الاقتصادية والفنية والعلمية.
3. التنديد بجميع أنواع التدخل الأجنبيالموجه ضد استقلال الدول الأفريقية المستقلة وسيادتها الكاملة[29].

القرار السادس:

توجولاند والإدارة الفرنسية:

1. عدم رضاء المؤتمر عن الذييحدث في توجولاند؛ بسبب قوانين الانتخاب والنظام الانتخابي للمنطقة.
2. طالب المؤتمر السلطات الحاكمة بالتعاون مع مندوب الأمم المتحدة لضمان إجراء انتخابات عادلة وديمقراطية[30].

القرار السابع:

الكاميرون والإدارة الفرنسية:

1. ندّد المؤتمر باستعمال القوة المسلحة ضد الشعب الأعزل في منطقة الكاميرون، والموضوعة تحت الوصاية.
2. طالب الدول صاحبة الوصاية بأن تنفذ ميثاق الأمم المتحدة، وأن تحقق الأماني المشروعة للدول الموضوعة تحت وصايتها، والبدء بمباحثات مباشرة مع من يمثلها.
3. ناشد المؤتمر الأمم المتحدة مضاعفة جهودها من أجل مساعدة شعب الكاميرون على تحقيق أمانيه السياسية المشروعة.

القرار الثامن:

قرارات اللجنة الاقتصادية والاجتماعية:

1. ناقش المؤتمر الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في كل دولة، آخذًا بالاعتبار أن الأحوال الاقتصادية في الدول لا تتفق مع المصالح الكاملة لشعوب أفريقيا.
2. تحرير اقتصاد الدول المستقلة، مع وجود الإمكانيات للتبادل التجاري بين الدول الأفريقية المستقلة، وتشجيعها على نطاق واسع.
3. اتخاذ الخطوات اللازمة لجمع المعلومات الفنية فيما بينها.
4. تبادل الاستشارات بين دول أفريقيا، وإقامة مؤتمرات اقتصادية، ومعارض أفريقية.
5. تقوية التعاون بين وكالات متخصصة تابعة للأمم المتحدة، وخاصة اللجنة الاقتصادية التي اقترح المؤتمر إنشاءها لأفريقيا،أيضًا القيام بجهود لإنشاء طرق المواصلات بين دول القارة، مع تبادل العمال والمعلومات الخاصة بالعمل، وتشجيعالتعاون بينمنظمات العمل الوطنية.
6. طالب المؤتمر بأن تكون هناك جهود مشتركة لمنع الأمراض البشرية وأمراض النبات والحيوان ومقاومة الجراد، وأكد على إنشاء سياسات اقتصادية اجتماعية عادلة تجلب الرفاهية والتأمين الاجتماعي لكل المواطنين[31].

وهكذا، خرجت قرارات المؤتمر معبرة عن آمال الشعوب الأفريقية، ومعبرة عن دور الحكومات الأفريقية، ورغبتها في تحرير القارة وشعوبها من الاستعمار، حيث كانت القرارات مقسمة إلى خمسة أقسام على النحو الآتي:

القسم الأول: كان متعلقًا بأهمية الوحدة الأفريقية، والتأكيد على قرارات مؤتمر «باندونج» للدول الآفروآسيوية.

القسم الثاني: تحدث عن واجب الدول الأفريقية المستقلة في مساعدة الشعوب الأفريقية غير المستقلة ودعمها ضد الاستعمار.

القسم الثالث: تعلّق بمساندة الدول الأفريقية المستقلة للثورة الجزائرية، حيث أكد على ضرورة إبراز قضية الجزائر للرأي العام العالمي.

القسم الرابع:أكد على القضاء على العنصرية في القارة الأفريقية.

القسم الخامس والأخير: تعلّق بضمان استقلال كل الدول الأفريقية المستقلة وسيادتها، ونبذ جميع الخلافات بينها[32].

توصيات المؤتمـــــر:

مـن خـلال هـذه القـرارات والمبـادئ يمكـن القـول بـأن المؤتمـر أوجـد جـوًّا وَحدَوِيًّـا نضاليًّـا في القـارة الأفريقية،وتعـد توصياتـه أول دليـل عـلى الوحـدة النضاليـة في القـارة الأفريقيـة في وجـه الأخطـار التـي تواجههـا. والواقـع أن نتائـج مؤتمـر «أكـرا» كانـت مهمـة جـدًّا عـلى مختلـف الأصعـدة والمسـتويات، وقـد ظلـت الحكومـة الغانيـة تعتـبر توصياتـه بـضرورة التحـرر والتخلـص مـن الاسـتعمار دسـتورًا ينبغـي أن تسـير عليـه جميـع الـدول الأفريقيـة المسـتقلة مـن أجـل الوحـدة الأفريقيـة، وقـد أكد»نكرومـا» نفسـه عـلى أهميـة هـذا المؤتمـر وقراراتـه عندمـا زار الجمهوريـة العربيـة المتحـدة «مـصر»في يونيـو عـام 1958م، وخـرج البيـان المشـترك عـن مباحثاتـه مـع الرئيـس المـصري جمـال عبدالنـاصر ليؤكـد عـزم الحكومتـين عـلى دعـم الصداقـة بـين البلدينوالتمسـك والتأييـد للمبـادئ التـي خرجـت وأقرهـا المؤتمـر الأفروآسـيوي في «باندونـج» ومؤتمـر الـدول الأفريقيـة المسـتقلة الـذي انعقـد في «أكـرا» في أبريـل عـام 1958م[33]. ومـن ناحيـة أخـرى، كانـت حكومـة «غانـا» قـد أشـارت في البيـان الـذي صـدر عنـد افتتـاح الـدورة البرلمانيـة الجديـدة في 13ذو الحجـة 1377هـ/ الموافـق الأول مـن يوليـو 1958م - إلى نجاحمؤتمـر «أكـرا» لاسـيما في إيجـاد شـخصية أفريقيـة مسـتقلة، وفي إيجـاد ميادين للتعـاون الاقتصـادي والثقـافي والسـياسي والاجتماعـي بـين الـدول الأفريقيـة وبعضهـا[34]. وكان «نكرومـا» قـد قـام بزيـارة الـدول المسـتقلة التـي شـاركت في المؤتمـر، وقـد تحـدث عـن ذلـك في خطـاب ألقـاه عـلى الشـعب الغانـي يـوم17 ذو الحجـة 1377هـ/ 5 يوليـو 1958م، ومما جـاء فيـه: «الغـرض مـن التحـدث إليكـم هـو إعطاؤكـم تقريـرًا ضمـن رحلتـي للـدول الأفريقية المسـتقلة، والتـي اشـتركت مـع غانـا في المؤتمـر، وكمـا تعلمـون كان المؤتمـر تاريخيًّـا؛ فـلأول مـرة يجتمـع ممثلـو الـدول المسـتقلة في هـذه القـارة بنـاء عـلى رغبتهـم لمناقشـة مشـاكلنا المشـتركة، وبعـد مناقشـات أسـبوع توصلنـا إلى قـرارات بالإجمـاع تشـتمل عـلى تنفيـذ أهدافنـا وإعـلان شـخصيتنا الأفريقيـة»[35].

هكـذا كان مؤتمـر «أكـرا» للـدول الأفريقيـة المسـتقلة، ومـن الواضـح دور الزعيـم الغانـي «نكرومـا» فيـه، ومـدى التمسـك بالقـرارات والمبـادئ التـي أعلنهـا، حتـى إنـه عمـل عـلى دعـم الشـعوب الأفريقيـة المسـتقلة لعقـد مؤتمـر يمثـل الهيئات الشـعبية الأفريقيـة للتأكيـد عـلى تلـك القـرارات الداعيـة إلى الوحـدة الأفريقيـة، وخرج المؤتمـر بعـدة توصيـات، وهـي كالآتـي:

1. طالـب المؤتمـر جميـع الـدول الأعضـاء بمـد الشـعوب غـير المسـتقلة بجميـعأنـواعالمسـاعدةفينضالهـامـنأجـلتحقيـقالمصـيروالاسـتقلال.

2. تقديم التسهيلات لتدريب شعوب المناطق غير المستقلةوتعليمها.
3. قيام جميع أعضاء المؤتمر، كل في بلده، باتخاذ إجراءات فعّالة لمحو آثار العنصرية،إن وجدت.
4. من الناحية الثقافية،أوصى المؤتمر بالتشجيع على تبادل المدرسين والأساتذةوتيسير ذلك، والتشجيع على إقامة مراكز ثقافية في كل دولة أفريقية بشرط موافقة تلك الدول وبما يتماشى مع قوانينها وأنظمتها وتقاليدها[36].

الخاتمة:

شكل مؤتمر أكرا في العام 1958م نقطة تحول كبيرة في العمل الإفريقي المشترك ، والمناهض للإستعمار الأوربي ، كما أوضح المؤتمر أن بمقدور أبناء القارة الإفريقية التكتل والاتفاق حول القضايا المصيرية والمهمة التي تهم إنسان ومستقب القارة الإفريقية بشرط وجود القيادة الملهمة والتي تعمل لمصلحة شعبها .

كما أن المؤتمر نجح في تشكل مستقبل القارة الإفريقية وحث الدول التي تعرضت للاستعمار على الاستمرار في نيل حريتها . وبهذا المؤتمر المهم والاستراتيجي ظهرت بوادر الوحدة الإفريقية التي ينادي بها كل من يعلم بأن هذه الوحدة فيها مصلحة القارة وتطورها وريادتها.

النتائج:

1. كان مؤتمر أكرا مرحلة هامة في تاريخ الوحدة الأفريقية حيث كان يناشد الافارقة ويندد باستقلال الدول الأفريقية المستعمرة.
2. جاء هذا المؤتمر ليقضي على فكرة الفصل بين أفريقيا العربية وأفريقيا السوداء وفيه زالت الصحراء التي كانت تعتبر عازلا يفصل بين شمال القارة وجنوبها وأخذت الوحدة الأفريقية مفهومها القاري عندما اجتمعت فيه ثماني دول أفريقية من بينها خمس دول عربية وقد تم التوصل وبصفة نهائية أن تكون الوحدة الأفريقية كرد فعل لما يتعرض له الافارقة من سياسة التفرقة والاضطهاد.
3. كان نقطة التحول في القارة الأفريقية التي من خلاله استطاعت ان تعقد مؤتمر يدعوا الي استقلال القارة وهو اول مؤتمر يعقد داخل القارة الأفريقية .

المصادر والمراجع

(1)كرفاع، المختار الطاهر، فكرة الوحدة الأفريقية في تطورها التاريخي، المجلة الجامعة، العدد 15، م3، 2013

(2)منصور، وسام أحمد طه، التطور التاريخي لفكرة الوحدة الأفريقية حتى قيام المنظمة 1963م، مجلة بحوث الشرق الأوسط، العدد التاسع والثلاثون، الجزء الأول.

(3)ملتقي الدول الأفريقية في أكرا، المجاهد، العدد21، 1 ابريل 1958م.

(4)عبدالقادر، عميري،المجلة الجزائرية للدارسات التاريخية والقانونية،العدد الرابع، الجزء الثاني، ديسمبر 2017م، جامعة الجزائر.

(5)كولين، ليجوم: الجامعة الأفريقية. ترجمة: أحمد محمود سليمان، الدار المصرية للترجمة والتأليف، سلسلة دراسات أفريقية، مصر، 1966م.

(6)عبدالعزيز، إسحاق محمد، ماذا حدث بعد أكرا، مجله نهضة أفريقيه، العدد 5،السنه الأولى،دار أخبار اليوم للتوزيع، القاهرة،ابريل،1958م

(7)حافظ، حمودي، والشرقاوي محمود، أفريقيافيطريقالحرية، دارالقاهرةللطباعة، القاهرة، 2016م.

(8)عبدالتواب، أسامة: العلاقات المصرية الغانية (1957– 1966م)، رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 2011م

الهوامش:

(1)كرفاع، المختار الطاهر، فكرة الوحدة الأفريقية في تطورها التاريخي، المجلة الجامعة، العدد 15، م3، 2013، ص 136.

(2)ملتقي الدول الأفريقية في أكرا، المجاهد، العدد21، 1 ابريل 1958، ص 6.

(3)دول المجموعة أمام مسئولياتها، مجلة المجاهد، العدد83، 28 نوفمبر 1960، ص5.

(4)**كوامي نكروما**: الرئيس الغاني (1909م- 1972م) كان أحد القادة الأفارقة البارزين الذين دعموا مبدأ الحق في تقرير مصير الشعوب الخاضعة للاستعمار، كما دعم حركات المقاومة والتحرير في أفريقيا وآسيا، بعد تأسيس مكتب جبهة التحرير الوطني في أكرا (عاصمة غانا).للمزيد يُنظر: عامر الهادي، «نماذج لعلاقات قادة دول أفريقيا جنوب الصحراء بالثورة الجزائرية بين الدعم والحياد والمعارضة»، ص ص -459 460

(5)عبدالتواب، أسامة: العلاقات المصرية الغانية (1957– 1966م)، رسالة ماجستير، معهدالبحوث والدراسات الأفريقية، جامعة القاهرة، 2011م، ص142

(6)حافظ، حمودي، والشرقاوي محمود، أفريقيافيطريقالحرية، دارالقاهرةللطباعة، القاهرة، 2016م، ص 95.

(7)كولين، ليجوم: الجامعة الأفريقية. ترجمة: أحمد محمود سليمان، الدار المصرية للترجمة والتأليف، سلسلة دراسات أفريقية، مصر، 1966م، ص52.

(8)كوامي، نكروما، المصدر السابق، ص187.

(9)عبدالقادر، عميري،المجلة الجزائرية للدارسات التاريخية والقانونية،العدد الرابع، الجزء الثاني، ديسمبر 2017م، جامعة الجزائر، ص41.

(10)عبدالعزيز، إسحاق محمد، ماذا حدث بعد أكرا، مجله نهضة أفريقيه، العدد 5،السنه الأولى،دار أخبار اليوم للتوزيع، القاهرة،ابريل،1958م،ص4.

(11)منصور، وسام أحمد طه، التطور التاريخي لفكرة الوحدة الأفريقية حتى قيام المنظمة 1963م، مجلة بحوث الشرق الأوسط، العدد التاسع والثلاثون، الجزء الأول، ص 190.

(12)كولين، ليجوم: الجامعة الأفريقية. ترجمة: أحمد محمود سليمان، الدار المصرية للترجمة والتأليف، سلسلة دراسات أفريقية، مصر، 1966م، ص ص219-221.

(13)منصور، وسام أحمد طه، المصدر السابق، ص 189.

(14)كولين، ليجوم: المصدر السابق، ص ص 225-228.

(15)كرفاع، المختار الطاهر، فكرة الوحدة الأفريقية في تطورها التاريخي، المجلة الجامعة، العدد الخامس عشر، م 3، 2013م، ص144.

(16)عبدالتواب، أسامة، العلاقات المصرية الغانية، المصدر السابق، ص143.
(17)غربال، محمد شفيق وآخرون: الموسوعة العربية الميسرة، مج 1، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، 1965م، ص356
(18)المرجع السابق، ص356.
(19)كرفاع المتخار، المرجع السابق، ص 146.
(20)كولين، ليجوم، المصدر السابق، ص 52.
(21)للمزيد عن مبادئ مؤتمر باندونج؛ انظر: كولين لجوم، المرجع السابق، ص219
(22)كولين، ليجوم، المصدر السابق، ص219-220.
(23)منصور، وسام أحمدطه، المرجع السابق، ص189.
(24)كولين، ليجوم، المصدر السابق، ص221.
(25)منصور، وسام طه، المصدر السابق، ص189.
(26)عبدالتواب، أسامة، المصدر السابق، ص144.
(27) كولين، ليجوم، المصدر السابق، ص ص 222-223.
(28)منصور، وسام أحمد، المصدر السابق، ص189.
(29)كولين، ليجوم، المصدر السابق، ص ص 223–ص224.
(30)كولين، ليجوم، المصدر نفسه، ص225.
(31)كولين، ليجوم، المصدر السابق، ص ص225،226.
(32)للمزيد حول قرارات المؤتمر، انظر:
(33)-The Accra Conference Africa Today , Vol. 5, No. 3, May – June 1958, Indiana University Press, PP. 9 – 10.
(34)- Thompson, W.: Op. Cit., PP. 3639-.
(35) انظر البيان المشترك بين الزعيمين في:
(36)- P.R.O. – F.O. 371 / 131346- No. JE106312 – Report By The Foreign Office, Subject: Nasser and Nkrumah Talks – 25 Jun, 1958.
(37)عن الدورة البرلمانية، انظر: دار الوثائق القومية: وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف السري، محفظة رقم 867، ملف 55 أكرا، وثيقة رقم 88 بشأن الدورة البرلمانية الغائبة، سري، في 2 يوليو 1958م.
(38)عن خطاب نكروما، انظر: دار الوثائق القومية، وزارة الخارجية المصرية، الأرشيف السري، محفظة رقم 867، ملف 55، وثيقة 141، بشأن خطاب نكروما في 8 يوليو 1958م.
(39)كولين، لجوم، المصدر السابق، ص ص225-226.

أثر الحركة الوهابية خارج الجزيرة العربية التيار السلفي في السودان (أنموذجا)

د.هاجر أبو القاسم محمد الهادي
أستاذ مشارك - جامعة أم درمان الأهلية

مستخلص :

ظهرت الحركة الوهابية في القرن الثاني عشر الهجري – الثامن عشر الميلادي ، تدعو إلى منهج التوحيد وتصحيح العقيده وضرورة العودة إلى الكتاب والسنة ، في وقت ابتعد الناس عن القرآن وكثرت البدع والخرافات ، ولما كان تطور ظهور هذه الدعوة في نجد فقد كتب الله لها الذيوع والانتشار خارج الجزيرة العربية عن طريق حجاج بيت الله الحرام. وشرحت الورقة الأسباب التي أدت إلى إندياح الفكر السلفي والمقومات والمضامين التي ساهمت في إنتشاره. وهدفت الدراسة إلى تبيين آثار التيار السلفي في السودان و إنتشاره كما بينت الورقة أثر هذه الثورة الإصلاحية عقدياً وإجتماعياً وثقافياً وسياسياً, كما حاولت الورقة تتبع وتقويم الحركة الوهابية وتسربها إلى أفريقيا ومن ثم إلى السودان مبينة ركائزها التي أهلتها للإنتشار في المدن والأرياف وكفلت لها التأثير الكبير في المجتمعات الإسلامية. وإتبعت الدراسة المنهج الإستقرائي التاريخي الذي يتناسب مع مثل هذه الدراسات.

الكلمات المفتاحية : التيار السلفي، الحركة الوهابية ، تصحيح العقيدة، الفكر الإسلامي، الثورة الإصلاحية.

Abstract:

The Wahhabi movement appeared in the twelfth century AH - the eighteenth-century AD, calling for the approach of monotheism, correcting the creed, and proving necessity of returning to the Book and the Sunnah, at a time when people moved away from the Qur'an and fads and superstitions abounded. Since this Wahhabi call emerged in Najd, God has written for it to spread outside the Arabian Peninsula through pilgrims to the House of God. The paper explained the reasons that led to the decline of Salafi thought and the components and contents that contributed to its spread. The study aimed to show the effects of

the Salafi trend in Sudan and its spread, as the paper showed the impact of this reformist revolution doctrinally, socially, culturally and politically in Islamic societies.The paper also tried to track and evaluate the Wahhabi movement and its leakage to Africa and then to Sudan, outlining its pillars that qualified it to spread to cities and rural areas and ensured that it had a significant impact on Muslim societies. The study followed the historical inductive approach that is appropriate to such studies.

Key word: Salafi current - The Wahhabi movement- Doctrine Correction - Islamic thought Reformist revolution

المقدمة :

استعرضت الورقة مراحل تطور الفكر الإسلامي الإصلاحي وارتباطه بالتحولات الاجتماعية والسياسية ، مبينة المرتكزات الاساسية التي استندت عليها الدعوة الوهابية.

والسودان كغيره من البلدان الإسلامية فقد تعرض لتأثير هذا التيار عبر كوكبة من العلماء الذين تأثروا بجماعة انصار السنة المحمدية في مصر ، فأسسوا جمعية دعوية مماثلة قادها عدد من الدعاة ، تمحورت أهدافها في الدعوة إلى تصحيح العقيدة والإلتزام بالكتاب والسنة ، ومحاربة البدع والخرافات وضرورة تأصيل منهج الحياة في المجتمع المسلم.

لقد ظهرت الحركة الوهابية كثورة تصحيحية تطالب بالعودة للكتاب والسنة مطالبة بمنهج التأصيل في الحياة، وقد تأثرت بهذه الحركة دعوات تأصيلية في مختلف البلدان الإسلامية عن طريق حجاج بيت الله الحرام ، وقد لقى هذا التيار السلفي الذيوع والانتشار وكان السودان من الدول التي تأثرت بهذا التيار الإصلاحي.

الإطار المنهجي للدراسة :

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في ضرورة معرفة الأسباب التي أدت إلى انديا ح الفكر السلفي في دول عديدة، وماهي المقومات والمضامين التي ساهمت في انتشاره كواحد من حركات البعث الإسلامي التي ظهرت في العالم الإسلامي آنذاك..

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تبيين آثار التيار السلفي في السودان وانتشاره ، وكيف تغلغل هذا التيار في مدن وارياف السودان.

أهمية الدراسة :

تأتي أهمية هذه الدراسة من أهمية هذه الثورة الإصلاحية منهاجاً تطبيقياً في حياة الأمة المسلمة ، وآثارها في السودان عقدياً واجتماعياً وسياسياً وثقافياً.

فروض الدراسة :

إلى أي مدى استطاعت الدراسة تقويم مسيرة التيار السلفي من خلال تتبع تطور حركة الإصلاح الوهابية وتسربها إلى القارة الأفريقية ، ومن ثم إلى السودان مبينة ركائز هذه الدعوة التي أهلتها للذيوع والانتشار إلى المدن والأرياف عبر كافة المنابر والوسائل المتاحة.

منهج الدراسة :

منهج هذه الدراسة هو المنهج الاستقرائي التاريخي الذي يتناسب مع مثل هذه الدراسات خلال تتبع تطور الدعوة السلفية في السودان.

اثر الحركة الوهابية في السودان:

نشأة الحركة الوهابية:

كان القرن الثاني عشر الهجري، الثامن عشر الميلادي هوبداية عصر الدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب وفي هذا القرن كان العالم الإسلامي يسير علي نهج سيطرة مفاهيم مغلوطة علي العقل الإسلامي، ومن تمزق سياسي،وفوضي اقتصادية، وهبوط اجتماعي بحيث أصبح المجتمع في حالة القابلية للاستعمار[1].

لقد ظهر الإمام محمد بن عبدالوهاب في جزيرة العرب كمصطلحاً إسلاميا، وولد في العيينة غربي الرياض (111هـ – 1703م) مجمعٌ مزاياه الموروثة والمكتسبة وعلي خلائقه الفاضلة[2]، وقد استظهر القرآن الكريم، قبل بلوغه العشر[3]، وعاش حياة حافلة بالتعلم والارتحال في طلب العلم والجهاد في سبيل الله ما اهتدي إليه من حقائقرأى فيها صلاح حال الأمة الإسلامية وسبيل عودتها إلي مكانتها التاريخية حتى وافته المنية (1306-792) بعد أن شهد آثار إصلاحه في الجزيرة العربية، وبعد أن انتقل البدو من حياة الجاهلية إلي حياة الحاضرة، وأنارت نجد والجزيرة العربية بدعوته العظيمة. لقد كانت الجزيرة العربية قبل دعوة محمد بن عبدالوهاب مرتعاً للخرافات والعقائد الفاسدة التي تتنافي مع أصول الدين الصحيحة، والحج فيها إلي القبور، ويطلب من الموتى الحاجات، ويستغاث بهم لدفع الكروب[4]. ولما كانت صور الوثنية والتخلف والظلام سبباً في كثير من مراحل التاريخ لظهور دعوات التنوير والتوحيد كذلك كانت هذه الظروف داعية في خارج الجزيرة لتقف دعوة الإصلاح الآتية من جزيرة العرب.

لقد لخص ابن بشر الحالة الدينية لنجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بقوله (كان الشرك إذ ذاك قد فشي في نجد وغيرها وكثر الاعتقاد في الأحجار والقبور والبناء عليها والتبرك بها والنذر لها، والاستعانة بالجن والنذر لهم والحلف بغير الله وغير ذلك الشرك الأكبر والأصغر((5).وقد صور الكاتب الأمريكي لثروب ستودارد هذه الحالة أبلغ تصوير فيقول: (في القرن الثامن عشر كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ، ومن التدني والانحطاط أعمق درك، فأربد جوه، وطبقت الظلمة كل صقع من أصقاعه، وأنتشر فساد الأدب والأخلاق واستغرقت الأمة الإسلامية في إتباع الأهواء والشهوات وماتت الفضيلة في الناس، وساد الجهل، وانطفأت قبسات العلم الضئيلة وانقلبت الحكومات الإسلامية إلي مطايا استبداد وفوضي واغتيال (6).

أما الدين فقد غشيته غاشية سوداء، فاقترنت الوحدانية بالخرافات والقشور وخلت المساجد من أرباب الصلوات، وكثر عدد الأدعياء الجهلاء وغابت عن الناس فضائل القرن، وعلي الجملة بدل المسلمون غير المسلمين، وهبطوا مهبطا بعيد القرار((7).

تاريخ الفكر الإصلاحي:

لقد مر الفكر الإصلاحي في تاريخه الطويل بمراحل متعددة ارتبطت بالتحولات الاجتماعية والسياسية التي عاشتها ديار الإسلام بعد اتساع رقعتها في زمان الأمويين خاصة، فوجدت بعض أفكار البلاد المفتوحة من زندقة وتفلسف طريقها إلي مجتمعات المسلمين الأمر الذي دفع البعض للدفاع عن العقيدة الإسلامية بذات الوسائل الفلسفية الفكرية كالمعتزلة الذي حملوا لواء علم الكلام لمدة قرن ونصف من الزمان ثم ما لبثوا أن وجدوا أنفسهم في خلاف مع المحدثين وأهل السنة والجماعة (8).

وشهد العصر العباسي تبلورا ملحوظا لتيار السلفية التي عدها بعض الباحثين ظاهرة عباسية حيث اشتد الخلاف بين المعتزلة والسلفية الذين مثلهم أحمد بن حنبل (ت241ه) رضي الله عنه حيث باءت سياسة المعتزلة بالفشل، وانتصرت عاطفة التدين الشعبي التي آثرت الاعتصام بالسنة والآثار والابتعاد عن تشقيقات المتكلمين ودعواهم في تحكيم العقل دون النقل، ولعل ما ميز مذهب ابن حنبل عن سائر المذاهب السنية أنه كان أشدها حربا علي البدع الدخيلة علي الإسلام مما هيأه أن يكون الدعامة التي قامت عليها أول حركة إصلاحية في العالم الإسلامي في العصر الحديث (9).

استمرت المدرسة السلفية في تطورها لتشهد صحوة فكرية تحت زعامة الشيخين الجليلين ابن تيمية (-661 725ه) وتلميذه بن قيم الجوزية

(691—751ه) وبوراثة العثمانيين للمماليك تفشت البدع ومحدثات الأمور، ومرة أخري تطلب الأمر تصحيحا لتلك الأوضاع، فشهد تاريخ الفكر الإسلامي صحوة فكرية عظيمة بزعامة الإمام محمد بن عبدالوهاب (1115-1206ه)، ثم سار علي ذات الطريق كوكبة من الأئمة والمصلحين منهم الإماممحمد بن علي السنوسي، والشيخ عثمان دان فوديو والإمام محمد أحمد المهدي ثم لحقوا بهم كوكبة من العلماء الذين جمعوا بين السلفية والتجديد أمثال، جمال الدين الأفغاني ومحمد رشيد وابن باديس[10] وغيرهم من الدعاة الذين تأثروا بهذه الحركة الإصلاحية التصحيحية.

لقد قيض الله لهذه الأمة من يحفظ الدين حفظا لكتاب الله، وحفظا لسنة رسول الله ﷺ وحفظاً لإفهام سلف الأمة من علمهم واجتهادهم وتفسيرهم وفقههم، وكل ما له مطلب من الدين من عقائد وأصول دين، وعلم وتوحيد، وسنةحسنة من السلف الصالح حتى أطلقوا علي من يعتني بحفظ الدين بالمسلمين السلفيين تمييزا لهم من أهل الرأي من أصحاب الفرق الإسلامية الأولي التي ظهرت في القرنين الثالث والرابع الهجريين[11].
والسلفية تعني عند ابن منظور: السابق أو المتقدم منه أسلاف الرجل[12]))، وفي الصحاح أسلاف الرجل((13] هم آباؤه والمتقدمون. أما اصطلاحا فالسلفية تعني في مفهوم معتنقيها التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، بينما هي في مفهوم الدارسين للفكر الإسلامي فالسلفي هو من يرجع في الأحكام الشرعية إلي الكتاب والسنة((14].

وأبرز ما يميز هؤلاء هو الدعوة إلي التأصيل، ومعناه وجوب الرجوع إلي أصل الوحي قرانا وحديثا في الأخذ بأحكام الدين عقيدة وشريعة[15]، وانطلاقامن هذا المفهوم فقد تأثر الإمام محمد بن عبدالوهاب بابن تيمية، فدعا إلي إصلاح النفوس، وتأكيد عقيدة التوحيد وتركزت دعوته إلى الرجوع إلى إسلام السلف الصالح الخالي من البدع والشوائب[16]، وقد ائتلف مع الأمير محمد بن سعود وتعاهد معه علي نشر الدعوة وتطبيق مبادئها، فكان قيام الدولة السعودية الأولي علي منهاج هذه الدعوة السلفية[17].

المبادئ التي ارتكزت عليها الدعوة الإسلامية:

لقد قامت الدعوة الإصلاحية الوهابية علي مبادئ وركائز استندت عليها لتحقيق أهدافها وأهم هذه المبادئ:

1. العودة بالإسلام إلي صفائه الأول، وترك مختلف البدع والشركيات، وذلك بالرجوع إلي الكتاب والسنة في معالجة أمور الحياة.
2. الدعوة إلي التوحيد، وتحرير الذات الإنسانية من الاستعباد للبشر،

فلا إله إلا الله وحده، والخلاص من كل ما يتنافي مع التوحيد وكماله مثل التبرك بالأولياء، والتمسح بالمشائخ، والتقرب إلي الله بزيارة قبور الصالحين.

3. إنكار تأويل القران والاهتمام بظاهر النص.
4. فتح باب الاجتهاد، وتحرير الفكر الإنساني من مذلة التقليد، واتباع السابقين، إلا أن يكون عملاً نتبعه، عمله الرسول ﷺ، وصحبه فذلك إتباع لا تقليد.
5. الدعوة الصادقة للإسلام بالجهاد في سبيل الله، أمرا بالمعروف أو ائتماراً به، ونهيا عن المنكر أو انتهاء به، فمن ثم فإن أهم ما تهدف إليه الدعوة إفراد الله سبحانه وتعالي بالعبادة، ومحاربة الشرك بجميع أنواعه، وسد الذرائع المؤدية إليه، وتطبيق الشريعة الإسلامية في كل أمور الحياة في ظل دولة قادرة علي تحقيق هذه الأهداف[18].

وقد كانت لهذه الدعوة آثار واضحة في عدد من بلدان العالم الإسلامي، وتأثرت بها دعوات إصلاحية سواء كان ذلك في الهند، أو في اندونيسيا، أو في غرب أفريقيا، أو في شمالها، أو حتي في تايلاند[19] وكان لأثرها هذا عدة أسباب منها:

- أن الدعوة قامت وقويت في أواسط الجزيرة العربية، بعيدة عن التحديات التي واجهها العالم الإسلامي من خلال النفوذ الاستعماري الزاحف.
- كان ابتعاث هذه الدعوة في الجزيرة العربية مهد للإسلام، وأنها استهدفت المسلمين القادمين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي قاصدين بيت الله الحرام[20].

أثر الدعوة خارج الجزيرة العربية:

حرص الاستعمار علي وأدها والقضاء عليها، فأوغر صدر الدولة العثمانية عليها، وأوهمها أن فيها خطراً عليها، وعلي نفوذها فأوغرت الدولة بدورها إلي محمد علي باشا في مصر بإسقاطها، فجرد الجيوش، واستطاع القضاء علي دولتها في الدرعية، ولكنه لم يستطع القضاء علي الدعوة وفكرها، فاستطاعت الدعوة أن توسع مداها، وتأثر بها دعاة سلفيون آخرون في الهند[21]، والعراق والشام، ومصر، والمغرب، وكان من تلاميذها الألوسي الكبير في بغداد، وجمال الدين القاسمي في الشام، وخير الدين التونسي في تونس، وأحمد بن عرفان الشهيد، وصديق حسن خان في الهند، وعثمان دان فوديو في غرب أفريقيا، وغيرهم[22]. ولما كانت حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بقوتها

وريادتها ونقائها قد نشأت في البلد الذي تؤدي فيه شعيرة الحج، فقد أدي هذا الارتباط دورا كبيرا في نشر الدعوة علي امتداد العالم الإسلامي فعن طريق الحج انتشرت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الهند والبنجال، وعن طريق الحج انتشرت في جاوة وأندونيسيا كما انتشرت في أفريقيا، ولذلك كان للحج أعظم الأثر في انتشار الدعوة الوهابية خارج .[23]الجزيرة العربية

كما انتشرت دعوة الوهابية من خارج نجد من أجل استيلاء الدولة السعودية علي مكة المكرمة 1218هـ وأصبح حجاج البلاد الإسلامية يفدون إلي مكة المكرمة ويشاهدون علماء هذه الدعوة الحقة، ويستمعون خطبهم ومواعظهم وإرشاداتهم السديدة وتوجيهاتهم القيمة، فتأثر بعض الحجاج بدعوة الشيخ، فأخذ ينشر في بلاده التوحيد ويحارب الخرافات الشائعة في بلاده فانتقلت – بهذا – مبادئ الدعوة إلي كافة أنحاء العالم الإسلامي[24]. وقد أشار المؤرخ توماس ارنولد إلي تأثير دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب في العالم الإسلامي فاعتبرها من أهم عاملين أثرا علي انتعاش الحياة الإسلامية في العصر الحديث، وأكد أن تأثيرها الديني ملموس في كافة أنحاء أفريقيا والهند، والملايو إلي الوقت الحاضر، وأن ما إثارته هذه الحركة من حماسة متقدة، وما سكبته في النظم الدينية القائمة من حياة جديدة وما بنته في الدراسة النظرية الدينية وتنظيم الشعائر المنسكبة من روح دافعة... كل ذلك كله قد عمل علي إيقاظ روح الإسلام الفطرية[25].

أما ثاني العاملين اللذين ذكرهما ارنولد في مجال انبعاث النهضة الإسلامية الحديثة، هو عامل حركة الوحدة الإسلامية التي تسعي إلي ربط جميع شعوب العالم الإسلامي برباط مشترك من المودة والتعاطف[26]، كما كانت دعوة الجامعة الإسلامية التي دعا إليها السيد جمال الدين الأفغاني، وهو من المتأثرين بالدعوة الوهابية عن طريق أدائه لفريضة الحج 1213هـ فكانت جهوده لها نتائج متينة وراسخة[27]، والتي عملت علي إعادة تأكيد المذهب السني القراني. وأياً كان فقد شهد تاريخ السلفية تيارات تجديدية كتلك التي قادها شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه بن قيم الجوزية ويشمل مصطلح السلفية الرجوع إلي الكتاب والسنة، وكذا مذاهب التابعين وتابعي التابعين، حتى إذا كان السلف هو النصوص قراناً وسنة فإن تفسيرها ورؤيتها قد تعددت بتعدد المناهج في المدارس الفكرية والفرق والتيارات[28].

أثر الدعوة السلفية في أفريقيا:

قُدِر لأفريقيا أن تتعرف علي الإسلام السني من منابعه الأولي في زمن الرسول ﷺ، والخلفاء الراشدين، ولم تكن أفريقيا بمعزل عما يدور في ديار

الإسلام، وخاصة الحجاز الذي شهد انتصار الثورة الوهابية، وبذلك ظل طريق الحج السوداني يحمل أفكار السلفية إليه كسائر الطرق الأفريقية الأخرى. ولما كان الحج مؤتمرا إسلاميا جامعا تلقف وفود الحجيج الأفريقي بواكير الدعوة السلفية من الحجاز، وكان أثر هذه الأفكار واضحا جليا في الثورات التصحيحية التي شهدتها القارة الأفريقية منها حركة الشيخ عثمان دان فوديو في شمال نيجيريا (1754-1817) وقد أسس خلافة إسلامية استمرت حوالي قرن كامل من الزمان، وصنف الشيخ دان فوديو عشرات الرسائل والكتب في شتي مسائل الفكر الإسلامي السياسية – والاجتماعية والثقافية، ومن أشهر كتبه (إحياء السنة وإماتة البدعة) و(بيان وجوب الهجرة علي العباد)[29].ومن الحركات الأفريقية ذات الأثر السلفي – الحركة السنوسية في ليبيا والحركة المهدية في السودان، وأدي كل ذلك لأن يشهد القرن الماضي بدايات صحوة إسلامية سلفية ابتدرتها أرض الكنانة مصر، وعلي امتداد وادي النيل والأقطار المجاورة حيث أسس الشيخ محمد حامد الفقي (1310هـ1892م) ما عرف بجماعة أنصار السنة المحمدية التي تجاوز تأثيرها مصر إلي السودان وأثيوبيا، وأرتيريا، والصومال[30].

الدعوة السلفية في السودان:

يمثل السودان الشرقي أو سودان وادي النيل بوتقة انصهرت فيها العديد من الثقافات الإنسانية والأعراف، وظل ارتباط جنوب الوادي بشماله حقيقة لا تخطئها العين، أما ارتباطه بشرق القارة وغربها عبر الحزام السوداني فحقيقة أخري لا تزال ماثلة للعيان، ولكل ذلك صار السودان هو القطر الوحيد الذي احتفظ بالاسم التاريخي من بين أقطار ذلك الحزام المتعددة، ولكل ما تقدم، كان طبيعيا أن يؤثر ويتأثر بكل التيارات الثقافية التي شهدتها القارة والعالم الإسلامي.

تعرف السودان علي الإسلام السني في زمان مبكر وغلبت عليه روح التصوف عقب تدفق الهجرات العربية عليه، ورغم أن الفقهاء كما يقول - يوسف فضل - لم يكونوا يحسنون الظن بالمتصوفة إلا أنهم بدءوا يترسمون خطاهم عندما شاهدوا ما حققوا من نجاحات[31]. وكما لم يكن السودان بمعزل عما يدور في العالم الإسلامي وفي مصر خاصة، فقد بدأت الأفكار السلفية تأخذ طريقها إلي البلاد[32].

لا شك أن طريق الحج السوداني كانقناة لتشرب بواكير التيار السلفي من الحجاز إلي السودان، غير أن حيثيات ذلك التدفق السلفي لا تزال تفتقر إلي كثير من الشواهد التاريخية التي توثق لها. الأمر الذي يجعلنا نعتبر القرن

العشرين بداية لنشأة هذا التيار في كثير من مدن السودان، من خلال المعلومات المتاحة من النذر اليسير من الأبحاث التي تناولت هذا الأمر. وتشير الدراسات إلي أن السودان تعرف إلي هذا التيار عن طريق كوكبة من العلماء كان أولهم الشيخ عبدالرحمن أبوحجر الجزائري الذي ولد في عام (1286-1870م)، وكان قد نشأ نشاةجهادية في كنف والده الذي كان قائدا في جيش الأمير عبدالقادر الجزائري، وقد حفظ القران يافعا، ثم عمل بالتجارة والاستيراد بين مصر والسعودية، وأنه كان علي صلة بالسيد محمد رشيد رضا صاحب تفسير المنار، وكان قبل ارتحاله إلي مصر قد أقام في السودان، ثم سافر إلي الحجاز وبقي به حتى وفاته في (1395هـ – 1939م)[33]. ويبدو أن آثار الشيخ الجزائري بدأت في التبلور في السودان إثر تجمع عدد من السلفيين بالبلاد كان أشهرهم الشيخ يوسف ابّو، الشيخ أحمد حسون الكنزي، من مواليد كورتي شمال السودان (1897م) والشيخ الفاضل التقلاوي الذي صار مدرسا بالمعهد العلمي، وقد تلقي الدعوة علي يد الشيخ عوض الكريم الأزهري، إضافة إلي الشيخ محجوب مختار، والأمين سيدأحمد، وجعفر الثوري، وطيب الأسماء، وأحمد ياسين، فتكونت بذلك جماعة أنصار السنة المحمدية التي يترأسها الشيخ الفاضل التقلاوي، كأول رئيس لها، بينما أصبح يوسف أبّو سكرتيرا عاماً والشيخ محجوب مختار أميناً للمال، وعضوية عدد من الشيوخ الذين لا يتسع المجال لذكرهم[34]. والسلفية الحديثة في السودان لها تاريخ قديم يعود إلي أوائل القرن الماضي حيث جاء الشيخ عبدالرحمن الجزائري واستقر في مدينة النهود بجنوب غرب السودان عام (1917م) وانتظم في حلقاته التعليمية التي كان يعقدها في السوق بالقرب من متجره، وكانت تركز علي المنهج السلفي وبيان عقيدة التوحيد، ومعه ثلاث شخصيات هم: الشيخ أحمد حسون موظف مكتب البريد، والزعيم الروحي لأنصار السنة فيما بعد، والشيخ محمدأحمد أبودقن، القاضي الشرعي بالنهود، والشيخ يوسف أبّو من قبيلة التعايشة[35].

هؤلاء هم الذين تأثر بهم الشيخ محمد الفاضل الشريف التقلاوي، والذي تلقي الدعوة علي يد عوض الكريم الأزهري، والحاصل علي شهادة الإجازة العلمية من الأزهر الشريف، وتلميذ حلقات الشيخ محمد عبده، والشيخ محمد رشيد رضا في مصر، واتفقا علي إنشاء جماعة تدعو إلي التوحيد والسنة تحت مسمي أنصار السنة المحمدية، تأسيا بجماعة أنصار السنة المحمدية في مصر، التي كانت تصلهم مجلتهم (الهدي النبوي)[36]. وكان إعلان انطلاقة جماعة أنصار السنة المحمدية في السودان عام (1936م) بهدف الدعوة إلي التوحيد والعقيدة الصحيحة أسوة بالجماعة التي أسسها محمد حامد

الفقي في مصر، الذي عمل تلاميذه في السودان علي تأسيس جمعية دعوية مماثلة – حيث ظلت تعمل بصفة غير رسمية حتى تكللت الجهود بتسجيلها رسميا في حكومة السودان في عام (1948م) وتعاقب علي قيادة الجماعة عدد من العلماء والمشائخ أشهرهم محمد فاضل التقلاوي، والشيخ محمد هاشم الهدية، والدكتور إسماعيل عثمان[37].

وتمحورت الأهداف الأساسية لجماعة أنصار السنة المحمدية عند تأسيسها حول تصحيح العقيدة من كل شائبة شرك ودعوة السودانيين إلي الالتزام بصريح الكتاب وصحيح السنة ومحاربة البدع ومحدثات الأمور والقضاء علي الخرافات والتقاليد الرجعية، وخلت هذه الأهداف المنصوص عليها من أي أهداف سياسية سواء في مجال أسلمة الدولة أو مكافحة الاستعمار، حيث تهتم نظيراتها من منظومات العمل العام في السودان آنذاك وهو يرزح تحت وطأة الاستعمار[38]، وكرست جهودها في إصلاح عقيدة الفرد حتى يتحرر عامة الناس من العبودية لغير الله، والدعوة لتحقيق العدالة الاجتماعية، والعمل لتوحيد كلمة الأمة تحت راية القران وزعامة الرسول ﷺ.

كما تأثرت الجماعة السلفية في السودان بأفكار جماعة الأخوان المسلمين في مصر ومصطلحاتهم مثل (تحت راية القران) (زعامة الرسول ﷺ)،كما تأثروا فيما بعد بفكرة الإسلام دين ودولة، وشاركوا في مشروع الجبهة الإسلامية للدستور التي طافت مدن السودان الكبرى للدعوة إلي دستور إسلامي للسودان بعد نيل الاستقلال.

ثم ظهر التأثير السعودي علي جماعة أنصار السنة المحمدية بتعيين الشيخ محمد عبدالرحمن العبيكان سفيرا للسعودية لدي السودان. يقول الشيخ الهدية: اتصل بنا وأكد لنا أن دعوته دينية قبل أن تكون سياسية فارتبطنا به ارتباطا وثيقا، وقد عملنا في مجال التوجيه بطلب من المفتي الأعظم الشيخ محمد بن إبراهيم، وتولي العمل معنا من بعده الشيخ عبدالعزيز بن باز، وقد ساهم الدعم السعودي الرسمي الجماعة في الانتشار والذيوع عبر توفير المنح الدراسية للسلفيين للالتحاق بالجامعات الإسلامية السعودية وتفريقهم بدوام كامل من أجل العمل للدعوة ومن خلال مشاريع الدعم الاجتماعي ودعم النشاطات الدعوية السلفية في الجامعات السودانية، وعبر بناء المساجد التي قُدر عددها في منتصف الثمانينات ب (400) مسجد[39]. وكان أول الفروع إنشاء في عام (1949م) وأعلن سكرتير الفرع يومذاك جيلاني الشريف بركات في أول اجتماع لهم برئاسة الشيخ عبدالله حمد رئيس المركز العام بأم درمان

عـن تشـكيل لجنـة التسـيير للعمـل عـلي النحـو التـالي:

- الحاج محمدأحمد علي – مديرا للدار.
- الشيخ محمد البشير – مساعدا له.
- الشيخ أمين نقد الله – أمين المال.
- الشيخ أحمد التهامي – مساعدا له.
- الشيخ حسن دفع الله – محصلاً.
- الشيخ جيلاني الشريف بركات – سكرتيرا
- الشيخ عمر عبدالله صبير – مساعدا للسكرتير.

وتـم لهـم التصديـق بإنشـاء مركـز عـام في عـام (1959م) وحصلـت الجماعـة عـلي التصديـق بمنحهـم قطعـة أرض ثـم كان بنـاء الجامـع الصغـير الأول، ثـم الجامـع الحـالي عـام (1967م)، وقـد افتتحـه الملـك فيصـل بـن سـعود وكانـت خطـب الشـيخ مصطفـي ناجـي القـادم مـن شرق السـودان، والموظفآنـذاك بالبريـد والـبرق تسـتقطب جموعـا مـن المصلـين غفـيرة في صـلاة الجمعـة، وذلـك لطبيعـة الخطـاب الدعـوي المبـاشر للجماعـة والـذي يعالـج قضايـا يتحـرج الكثـيرون مـن تناولهـا لأسـباب عـدة[40]. وشـهدت السـنوات التاليـة انضمـام أعـداد مـن الدعـاة الذيـن قـدم بعضهـم مـن مـصر مـن أمثـال الشـيخ أبوزيـد محمـد حمـزة وغـيره، وكان لجهـود المؤسسـين الأوائـل مـا دفـع بالسـلفية إلي الإمـام، ومـن هـؤلاء الشـيخ محمـد عبدالقـادر في كسـلا، والشـيخ الشريـف محمـد عبدالباقـي مـن قريـة أم سـنط، والشـيخ الزبـير عبدالمحمـود، والشـيخ عمـر عبدالله صبـير، والشـيخ عبدالـرؤوف التكينـة، وبذلـك اتسـعت دائـرة العمـل الدعـوي، وانضـم لفيـف مـن التجـار والموظفـين. وقـد بذلـوا جهـوداً في محاولـة التقـارب مـع الاتجـاه الإسـلامي أو جماعـة الأخـوان المسـلمين وانتهـي الأمـر إلي الانضمـام كليـة إلي الجبهـة الإسـلامية القوميـة الواجهـة الجديـدة لحركـة الأخـوان المسـلمين في السـودان[41]. ولـم تخـل مسـيرة التيـار السـلفي في السـودان مـن أزمـات وصراعـات داخليـة انتهـت بتكويـن جماعـات منشـقة كجماعـة (جمعيـة الكتـاب والسـنة)، والتـي انفصلـت عـن التنظيـم الأم للجماعـة لأسـباب ماديـة وإداريـة وسياسـية، كمـا أن مشـاركة الجماعـة السـلفية في التشـكيل الـوزاري لحكومـة الإنقـاذ أوجـدت انشـقاقا لا تـزال آثـاره مسـتمرة يتمثـل ذلـك في مواقـف جماعـة الشـيخ أبوزيـد في السـلطة لا مـن حيـث مبـدأ المشـاركة، ولكـن لعـدم تمكـن المشـاركين مـن الـوزراء وغيرهـم مـن اسـتصحاب أفكارهـم السـلفية مـن خـلال مشـاركتهم في الحكـم وفـق تصريحاتهـم في المقابـلات والحـوارات في الأجهـزة الإعلاميـة[42]. وركـزت جماعـة أنصـار السـنة المحمديـة عـلي صـلاح الفـرد باعتبـار أن صـلاح المجتمـع يبـدأ مـن صـلاح الأفـراد، فسـعوا جاهديـن

لإصلاح الفرد عقيدة وعبادة وسلوكاً وهم وإن كانوا ينادون بتطبيق شرع الله، ويدعون إلي إقامة الدولة المسلمة، ولكنهم يرون أن الطريق لتحقيق ذلك لا يتأتي إلا بتربية الناس وإرجاعهم إلي المنهج الحق والطريق القويم[43].

وتري جماعة أنصار السنة المحمدية أن أهم وسائل التربية هي القدوة الصالحة، وذلك بربط الناس بسلف هذه الأمة باعتبارهم قدوة ومثالا رائعا لترجمة معاني الدين، وتجسيد قيم الإسلام التي تقوم علي التوافق بين المظهر والمخير الذي يدل علي وجود القدوة الفعلية التي تفعل ما تقول ليكون تأثيرها كبيرا قويا[44]، كما قال تعالي: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ* كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ)سورة الصف الآيات 2-1. وقوله تعالي: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ)سورة البقرة الآية44.

جهود الجماعة السلفية في السودان:

كانت لهذه الجماعة جهوداً واسعة في التغيير الديني والاجتماعي والثقافي ومن قبلها تصحيح العقيدة والدعوة للتوحيد نوجز هذه الجهود في مختلف المجالات في الآتي:

أولاً: في جانب العقيدة:

ظلت جهود التيار السلفي متواصلة فيما يتعلق بالدعوة إلي اتوحيد وقد نجح هذا التيار في تصحيح العقيدة بالطرق المستمر علي موضوع الشركيات والبدع، كما بذلت جهودا في مواجهة التغيير بجنوب السودان (قبل الانفصال) وجبال النوبة، إضافة إل محاربتهم لكثير من العادات الضارة في المجتمع فأسهموا بمحاضراتهم في الميادين العامة ومن بناء المساجد ومؤسساتهم التعليمية في تزكية المجتمع وبث الوعي الإسلامي بين شرائح المجتمع المختلفة ونجحوا في بادئ الأمر في استهداف كثير من الطبقات الشعبية والعمال والتجار علي خلاف الجماعات الدعوية الأخرى التي خرجت خطابها الدعوي للطلاب والنخبة المثقفة من خريجي الجامعات وغيرهم.

ثانياً: في العمل الدعوي:

شرعت الجماعة في عقد مؤتمرات عامة تنادي الأعضاء من جميع المراكز والأقاليم، فقد دعت الجماعة إلي مؤتمر عام (1370هـ - 1950م)، وأصدرت منشورا إلي جميع المراكز والفروع فحواه الاشارة إلي حيثيات الانعقاد منها:

1. -1 تحديد شعار المرحلة وتمثل ذلك في قوله تعالي: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)سورة الأعراف الآية 199، وقوله

تعالى: ({لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)سورة البقرة256 الآية. وقول الرسول ﷺ، «ما كان الرفق في شئ إلا زانه، وإن الصبر ليبلغ بالرفق مالا يبلغ بالعنف»صحيح مسلم.

2. الطاعة للرئاسة العامة والمحلية فيما لا يخالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.
3. توحيد الوسائل وفق الأهداف والنشرات التي يصدرها المركز العام.
4. التحلي بالفضائل ومجانبة الرذائل.
5. أهمية طلب العلم.
6. تبادل المنافع المادية والأدبية بين الأعضاء.
7. علي الأخوان محاولة إيجاد شركات تعاونية تبدأ بدكاكين وغيرها.
8. محاربة العادات السيئة والتقاليد الجاهلية في الأعياد والمناسبات بالحكمة والموعظة الحسنة.
9. التعاون مع الناس ومشاطرتهم في البأساء والضراء.
10. اتخاذ الشفقة والرحمة في دعوة الناس.
11. تهيئة الزمان والمكان المناسبين، وتهيئة الأسماع لسماع كلمة الحق.
12. التزام روح العمل والكسب والانجاز ومحاربة البطالة والعطالة.
13. التبرؤ من التشدد والتهور والتهوس.
14. الانتظام في دفع المشاركات والمساعدات(45).

أما قرارات المؤتمر الثاني (1371هـ – 1951م)، فقد أمنت علي قرارات المؤتمر الأول، وشملت قرارات تنظيم عامة، وظهرت توصيات ذات صلة بالعمل الدعوي بصورة مباشرة منها:

1. ألا يدخل الأخوان في جدال مع المتشابه وغيره، مع ضرورة الاستزادة من العلم كما في قوله تعالي: (وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً)سورة طه الآية 114، وقوله تعالي: (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)سورة يوسف الآية76.
2. ضرورة العمل بإخلاص لمحاربة العقائد الإلحادية الهدامة التي تدعو للإباحية والتحلل والفساد.
3. العمل علي محاربة السفور.
4. ضرورة التعاون مع جميع الهيئات التي تعمل لرفعة المسلمين.
5. العمل لإيجاد مكتبة سلفية شاملة.
6. التذكير بان الإسلام دين ودولة وعليه تسعي الجماعة الإصلاح

عقيدة الفرد وجمع كلمة الأمة تحت راية القران الكريم، وزعامة الرسول ﷺ،وعندها يتهيأ الجو العام لقيام حكومة إسلامية تسير حسب التشريع السماوي العادل[46] مما يدل علي صحة منهجهم في أخذ الدين من مصادره الأصلية.

انتهت قرارات المؤتمر الثاني، وجاءت ممهورة باسم عمر يوسف أغا سكرتير عام جماعة أنصار السنة المحمديةبالسودان، ولعل هذا يدل علي تطور في المنهج والخططالدعوية والأهداف، مع الإشارة إلي ضرورة التعاون والتأكيد علي شمولية الإسلام دين ودولة، وأهمية توخي الرفق في الأساليب الدعوية مما يُعد تقدما كبيرا في منهجية جماعة أنصار السنة المحمدية[47].

ثالثاً :المجال العلمي:

وكان لجماعة السلفية آثار بارزة في المجال العلمي والمعرفي نجملها في الآتي:

- شيوع العلوم الشرعية والفقه في الدين وربط المتلقين بهيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية وبعض العلماء المعاصرين.
- نشر التراث السلفي لمؤلفات ابن تيمية وابن القيم، وكتب السنة والحديث والشروح والتفاسير.
- الاهتمام بتدريس الكتب السلفية والتركيز علي حفظ المتون وتزويد الدعاة والمساجد بالمكتبات.
- نشر السنة ودراسة قواعد مصطلح الحديث، وضرورة تمييز الحديث الصحيح من الضعيف[48].
- تأثر التيارات الإسلامية الأخرى بجماعة أنصار السنة المحمدية بتحولها كلها إلي منهج السلف وظهور العقيدة السلفية.
- تأثر وسائل الإعلام بجماعة أنصار السنة، ومشاركة دعاة الجماعة في البرامج الإذاعية والتلفزيونية.
- قيام المعاهد العلمية المتخصصة، كمعهد الأفارقة الذي يعني بتعليم اللغة العربية ومبادئ العلوم الشرعية لإعداد دعاة في بلدانهم وإقامة مجمعات نسويه تأهيلية وقيام المعسكرات الطلابية، والدورات العلمية لتدريس العلوم الشرعية[49].

رابعاً: المجال السياسي:

لجماعة أنصار السنة آثار في الحياة السياسية من خلال منطلقاتها في الإصلاح، وإيمانها بأن الإسلام دين ودولة وذلك بدفع عجلة الصحوة الإسلامية، وضرورة إصلاح العقيدة تمهيداً لإصلاح المجتمعومعرفة المنهجالأمثل في التعامل مع الحكام.وضرورة إبداء رأي الجماعة المعضد بالأدلة الشرعية

في الحوادث والمواقف السياسية، وكذا القضايا الإسلامية والدولية، والتفاعل الإيجابي أثناء الانتخابات، وذلك من خلال التأثر بالمعيار الشرعي في اختيار الأفضل والأنسب من المرشحين والتصويت لهم مقابل الوقوف مع الشريعة والمناداة بتحكيمها في المجلس التشريعي[50].وقد جاء في مؤتمرهم الثامن المنعقد في أم درمان يوم الجمعة الثامن من شوال (1375ه 1855-م) في خطاب الشيخ الفاضل التقلاوي توجيهات للجماعة بأن تحصر جهودها في أمرين الأول: أن يكون علي رأس الدستور ما يدل علي هوية الأمة السودانية، فتعرف بأنها جمهورية إسلامية، مما يدل علي حرص الجماعة علي أسلمة القوانين وتأكيد الهوية الإسلامية للأمة السودانية لذلك شاركت في جبهة الميثاق الإسلامي التي خاضت الانتخابات علي امتداد القطر في عام (1964م).وفي بداية الثمانينات اتخذت الجماعة موقفا ضد التمرد الذي قاده جون قرنق في جنوب السودان، ونظمت حملة لدعم القوات المسلحة ثم أنشأت أمانة السياسة والبحوث، وبدءوا في شرح منافاة الديمقراطية الغربية للإسلام من خلال إصدارتهم «الاستجابة» وتوضح مخاطر الماركسية علي المجتمع المسلم[51].

خامساً: المجال الاجتماعي:

لم تكن الجماعة السلفية بمعزل عن حياة الناس، ولا عن معاملاتهم، فقد كان لها الأثر البالغ في ترقية السلوك وربطه بقيم الإسلام وآدابه، وهذه الآثار يمكن إجمالها في الآتي:

1. بث روح التدين وإحياء السنن حتى أصبحت السنن معروفة ومهتما بها عند سائر قطاعات المجتمع.
2. استقبال مساجد أنصار السنة لأفواج التائبين من الشباب وظهور الاستقامة في أوساطهم.
3. الحرص علي صحة العبادات، وانتشار الكتب المعنية بذلك مثل كتاب صفة الرسولﷺ، للشيخ الألباني وكتاب مناسك الحج والعمرة للشيخ عبدالعزيز بن باز، كما عرف المفهوم الصحيح للبدع[52].
4. انحسار كثير من العادات والتقاليد المخالفة لأحكام وتوجيهات الشريعة الإسلامية، كعدم توريث المرأة في بعض المناطق، وكذلك عادات المآتم والأفراح، وأنشئوا مراكز للتدبير المنزلي وتعليم الخياطة.
5. ظهور الحجاب الإسلامي وسط النساء وانتشاره بين قطاع كبير من قطاعات المرأة حتى استقر لدي عامة الناس أن كل محجبة منقبة هي من جماعة أنصار السنة المحمدية[53].

6. العمل الخيري والانمائي والخدمي الذي قدمته الجماعة لكافة قطاعات الشعب من حفر الآبار ومساعدة المتضررين من الكوارث ورعاية الأُسر الفقيرة وكفالة الأيتام، وبناء المستشفيات والمراكز الصحية، وتسيير القوافل الصحية والدعوية، واهتمت بالمجمعات النسوية، ومراكز تحفيظ القران الكريم كما ركزت علي رتق النسيج الاجتماعي بجمع عناصر المجتمع المختلفة تحت ديانة واحدة وذلك بانتشار الدعوة في الجنوب وجبال النوبة[54].

سادساً: المجال الثقافي:

أدركت الجمعية السلفية أهمية التعليم النظامي في إكمال رسالتها الدعوية، فسعت إلي تأسيس المعاهد الدينية بمراحلها المختلفة للطلاب السودانيين والوافدين من الخارج فساهمت في انشأ المركز الإسلامي الأفريقي منذ بدايته الأولي في أم درمان، ثم أنشأت معاهد دينية في عدد من المدن وأرياف السودان، وفق مناهج المعاهد التابعة للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة[55].

ثم أنشأت الجماعة المعهد العالي للدعوة في الخرطوم، ولأهمية نشر اللغة العربية فأنشأت معهد اللغة العربية للناطقين بغيرها والكثير من المعاهد في مجال الدراسات الإسلامية، وعكفت علي إقامة معسكرات ومخيمات شبابية، وأسابيع ثقافية ودورات علمية حيث عملت علي استقدام العلماء السلفيين من خارج السودان، من مصر والسعودية وموريتانيا[56].

وأقامت الجماعة أول معسكر للطلاب عام (1981م)، وانتقلت الحركة السلفية بذلك من مرحلة مخاطبة جموع المواطنين في الساحات والمساجد إلي مرحلة تكوين النخب الشبابية، وأصبحت الجماعة تيارا جاذبا للشباب الجامعيين مما ينبئ بمستقبل واعد لهذا التيار.

كما أصدرت الجماعة مجلة الاستجابة، يرأس تحريرها الشيخ محمد هاشم الهدية، ومدير تحريرها هو عبدالله أحمد التهامي. ولتحديث الجانب الإعلامي أنشأت الجماعة عام (1988م) مطبعة الفلاح في الخرطوم جنوب، وبدأت في إعادة طبع الكتيبات والرسائل السنية الصادرة من المملكة العربية السعودية والكويت ومصر، وخطت بذلك خطوات واسعة في تحديث الدعوة بالبلاد[57].

الخاتمة :

ظهرت الدعوة الوهابية في الجزيرة العربية تدعو إلى التوحيد والتأصيل وتطبيق الإسلام في كافة أمور الحياة ، وتأثرت بها دعوات إصلاحية تصحيحية خارج الجزيرة العربية كما لها من ركائز قوية.

والسودان من تلك الدول التي تلقفت هذه الدعوة ، فقد بدأت الأفكار السلفية تأخذ طريها إلى البلاد عن طريق عدد من العلماء القادمين من الحجاز ، أو ممن تلقوا تعليمهم في الأزهر الشريف.

واستطاعت الجماعة السلفية التي عرفت بجماعة انصار السنة المحمدية تطوير هيكلها الإداري والدعوي في العاصمة والأقاليم وتنوعت أنشطتها ما بين المحاضرات والندوات والدورات العلمية والاسابيع الثقافية عبر المراكز والمنابر والمساجد، وكانت تعقد المؤتمرات بصورة دورية لوضع الخطط والبرامج.

وقد وجدت هذه الجمعيات والمراكز الدعم من دولتي السعودية والكويت، فكان التأثير الكبير للتيار السلفي في المجتمع السوداني في كل مجالات الحياة عقديا واجتماعياً وسياسياً وثقافياً.

النتائج :

1. بدأت الدعوة السلفية في السودان بتكوين جماعة انصار السنة المحمدية.
2. عملت الجماعة السلفية على تحقيق أهدافها من خلال تصحيح العقيدة وتأصيل منهج الحياة ، استناداً على الكتاب والسنة.
3. تمكن التيار السلفي أو جماعة انصار السنة المحمدية من النهوض بالمجتمع السوداني من خلال البرامج الدعوية والتصحيحية.
4. استمدت افكارها وآراءها من منهج ابن تيمية وتلميذه ابن القيم كمبادئ اساسية في الفقه الحنبلي.

التوصيات :

1. ضرورة تطوير الهيكل التنظيمي بما يتناسب مع مستجدات الحياة من خلال الاجتهاد في الفقه السياسي.
2. الاهتمام بالتوثيق لتاريخ تطور الحركة السلفية بدلاً من الإعتماد على الروايات الشفهية والمقابلات الشخصية.
3. ضرورة التعاون مع الجماعات الاسلامية والتوحد معها لمجابهة المخاطر التي تهدد الإسلام والمسلمين.
4. تحديد موقف الجماعة السلفية من قضايا الحكم الراشد والديمقراطية من خلال منهج ابن تيمية رضي الله عنه.

الهوامش:

(1)مالك بن نبي ،شروط النهضة، ترجمة عبدالصبور شاهين وعمر كامل مسقاوي، دار الفكر دمشق 1957م، ص 329.

(2)أحمد عبدالغفور الغطار ،الشيخ محمد بن عبدالوهاب، مكتبة الفرقان، ط3 بيروت ص 33.

(3)أحمد عبدالغفور ، مرجع سابق، ص 101.

(4)أحمد عبدالغفور الغطار ، مرجع سابق، ص 19.

(5)ياسين بن علي، خروج الوهابية علي الخلافة العثمانية – مجلة الزيتونة، 1435هـ، ص 165.

(6)لثروب ستودارد، حاضر العالم الإسلامي، وضع شكيب أرسلان. ترجمة عجاج نويهض، ج1، المطبعة السلفية، القاهرة 1343هـ، ص 259.

(7)المرجع نفسه، ص 26

(8)محمد عمارة – تيارات الفكر الإسلامي، القاهرة، 1982م ص 37.

(9)ولتر. م. باتون ،أحمد بن حنبل والمحن، الترجمة العربية القاهرة (ب ت) ص215.

(10)عمر فروخ ،تاريخ الفكر العربي، إلي ابن خلدون، بيروت 1392هـ - 1972م، ص 105.

(11)حيدر إبراهيم علي ، الاتجاه السلفي – مجلة عالم الفكر ،السنه -26 العددان 3-4 يناير 1998م ص 13.

(12)ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي،لسان العرب، دار الكتب العلمية ، القاهرة، ص 410.

(13)الجوهري أبو نصر اسماعيل بن حماد، الصحاح في اللغة والعلوم، بيروت 1975م، ص 236.

(14)محمد عمارة ،تيارات الفكر الإسلامي، مرجع سابق، ص 324.

(15)عبدالحميد عمر النجار، مشاريع الإشهاد الحضاري، دار الغرب، 1999م، ص35.

(16)ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم – مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق محمد حامد الفقي، مكتبة السنة المحمدية (د،ت) ص 8 وما بعدها.

(17)عبدالله الصالح العثيمين ،تاريخ المملكة العربية السعودية، ج1، ط3، الرياض، 1411هـ - 1990م، ص 59-72.

(18)عبدالله الصالح العثيمين، مرجع سابق، ص 101-139.

(19)تاج السر أحمد حران ،حاضر العالم الإسلامي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض 1422هـ - 1901م، ص 108.

(20)المرجع السابق، نفسه، ص 109.
(21)أبـو المكـرم بـن عبدالجليـل السـلفي، دعـوة الشـيخ محمـد بـن عبدالوهـاب في شـبه القـارة الهنديـة بـين مؤيديهـا ومعانديهـا – الريـاض، 1413هـ.
(22)داوود عـلي القاعـوري ،محـاضرات في حـاضر العالـم الإسـلامي، عمـان الأردن، 1410هـ - 1989م، ص -106 109.
(23)محمـد كمـال جمعـة، انتشـار دعـوة الشـيخ محمـد بـن عبدالوهابخـارج الجزيـرة العربيـة، ص 73-106.
(24)أحمد بن حجر أبوطامي ، مرجع سابق، ص 47.
(25)توماس أرنولد ،الدعوة إلي الإسلام، طبع نهضة مصر، ب ت_ص 31.
(26)عبـاس محمـود العقـاد ،الإسـلام في القـرن العشريـن، (حـاضره ومسـتقبله) الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب ، القاهـرة 1993م، ص 89.
(27)محمد عمارة ، مرجع سابق، ص 42.
(28)محمد عمارة ، مرجع سابق، ص 42
(29)أحمد محمد طاهر ،جماعة أنصار السنة المحمدية، مرجع سابق، ص 235.
(30)يوسـف فضـل حسـن ،في تاريـخ الممالـك الإسـلامية بالسـودان الشرقـي، الخرطـوم 1972م، ص 72.
(31)المرجع نفسه، ص 84.
(32)يحيي هويدي ،فلسفة الإسلام في أفريقيا، القاهرة 1966م، ص 72.
(33)أحمد محمد طاهر ، مرجع سابق، ص 238.
(34)أحمد محمد طاهر ، مرجع سابق، ص 242.
(35)مانـع بـن حمـاد الجهينـي ،الموسـوعة الميسرة في الأديـان والمذاهـب المعـاصرة، الرياض،النـدوة العالميـة ص173.
(36)حـوار مـع الشـيخ هاشـم الهديـة ،مجلـة البيـان، لنـدن ، العـدد 91 ربيـع أول 1416هـ أغسـطس 2015م، ص 100.
(37)أحمـد محمـد طاهـر ،جماعـة أنصـار السـنة المحمديـة (نشـأتها وأهدافهـا ومنهجهـا)، القاهـرة ، دار الهـدي النبـوي، 2004م، ص 253.
(38)المرجع نفسه، ص 116.
(39)حـوار مـع الشـيخ الهديـة ، موقـع شـبكة المشـكاة الإسـلامية 2004/4/12 عـلي الرابـط:
(40)Chttp:// w ww. meshkat-net/14 465.
(41)مهـدي سـاتي، التيـار السـلفي في السـودان، ورقـة علميـة ، مركـز التنويـر المعـرفي الخرطـوم ،2007، ص 115.

(42)أحمد محمد طاهر: مرجع سابق، ص 484.
(43)مهدي ساتي ، مرجع سابق، ص 120.
(44)أحمد محمد طاهر ، مرجع سابق، ص 47.
(45)ابو الوفاء درويش ، موضوعات في التوحيد ، مجلة الهدي النبوي ، العدد 39 ، صفر 1309ه ، السنة الرابعة ص13
(46)أحمد محمد طاهر ، مرجع سابق، ص 487.
(47)أحمد محمد طاهر، مرجع سابق، ص 488.
(48)مهدي ساتي، مرجع سابق، ص 125.
(49)مجلة الاستجابة ، العدد الأول، مرجع سابق ، ص 2.
(50)أحمد محمد طاهر، مرجع سابق، ص 489.
(51)أحمد محمد طاهر، مرجع سابق، ص 490.
(52)أحمد محمد طاهر، مرجع سابق، ص 490..
(53)حول بدعة المولد ،مجلة الاستجابة، العدد (3) ربيع أول 1406هـ.
(54)أحمد محمد طاهر، مرجع سابق، ص 478.
(55)مهدي ساتي ، مرجع سابق، ص 127.
(56)أحمد محمد طاهر، مرجع سابق، ص 480.
(57)المرجع نفسه، ص 482.
(58)مهدي ساتي، مرجع سابق، ص 129.